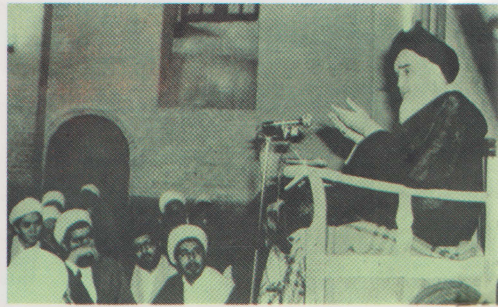


قبسات من سيرة الإمام الخميني

في ميدان التعليم الحوزوي والمرجعية











الدار الإسلاميّة

قبسات من سيرة الإمام الخميني(قده)

الإمام في ميدان التعليم الحوزوي والمرجعية

بسم الله الرحمن الرحيم

قبسات من سيرة

الامام الخميني (قده)

الإمام في ميدان التعليم الحوزوي والمرجعية

إعداد

غلام علي الرجائي

ترجمة

عرفان محمود

الدار الإسلامية

بيروت - لبنان

اسم الكتاب: قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)
الإمام في ميدان التعليم الحوزوي و المرجعية
إعداد: علي غلام الرجائي
ترجمة: عرفان محمود
الناشر: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
تاريخ الطبع: الطبعة الأولى ٢٠٠٢م/ ١٤٢٣هـ



حارة حريك - شارع دكاش - مقابل مدرسة الليسيه أميكال مودرن
هاتف: ٠١/٥٥٣٨٦٣ - ٠٣/ ٣٨٩١٦٦ - ص.ب: ١٤/٥٦٨٠
WWW-DARALISLAMIA.COM INFO@DARALISLAMIA.COM

مقدمة الناشر

انطلاقاً من إتمام هذا العمل المبارك، إصدار كتاب قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)، تواصل الدار الإسلامية رفد المثقف والقارىء العزيز بإصدارها الجديد من القبسات، وهو يتناول الجوانب العبادية والمعنوية من حياة الإمام العظيم والتي تجلّت فيها الروح العالية للإمام، والنفس الكبيرة التي عزمت على تجسيد الإسلام سلوكياً والتي قهر فيها الإمام نوازع عالم المادة وأطلق لها نوازع السمو إلى الكمال محكماً فيها العقل الكبير مما أذهل الكثير وبان عجزهم عن مباراته في سيرة التكامل. وقد انطلق بسيره المبارك مقتدياً بالصالحين من آبائه الغرّ الميامين الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والدار الإسلامية إذ تنشر هذا الكتاب ـ **قبسات من سيرة الإمام الخميني ـ الإمام في ميدان التعليم الحوزوي والمرجعية**. تأمل أن يزداد القارىء العزيز غوراً في شخصية الإمام الراحل (قده)، واستشراف مضامين سلوكه العظيم وتعاهد القارىء الكريم على مواصلة السعي الدؤوب في نشر الثقافة الهادفة التي تبني الإنسان في أعماقه الخيرة.

ومن الله نستمد العون

الدار الإسلامية

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

يختص هذا الجزء ـ الرابع من هذه الموسوعة ـ بعرض لطائفة من الذكريات التي تبين جوانباً من سيرة الإمام في الوسط الحوزي في إثنتين من أهم الحوزات العلمية الشيعية هما حوزة النجف الأشرف وحوزة قم المقدسة.

ولا يخفىٰ أن لهذه الحوزات دوراً مهماً ومحورياً في حفظ الإسلام والدفاع عنه وترويجه وتعريف الناس بأحكام مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الحوادث الواقعة المستجدة وفي شؤونهم الحياتية المختلفة وخدمتهم وقيادتهم علىٰ الصراط المستقيم، فهي التي تخرج الفقهاء الذين هم حصون الإسلام، والعلماء الربانيين الذين يبلغون رسالات ربهم ويخشونه ولا يخشون سواه، وطلبة العلم المجاهدين المرتوين من فقه الكتاب والسنة المحمدية النقية التي حفظها أئمة العترة النبوية الطاهرة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

كما لا يخفىٰ أن مثل هذه المراكز الإلهية ودور نشر وإشعاع الأنوار الربانية هي أهم الأهداف التي تستهدفها سهام شياطين الأنس والجن الساعية إلىٰ تدميرها أو إصابتها بالأمراض المهلكة المانعة لها عن القيام

بدورها الإلهي المقدس ولذلك فقد شاءت حكمة الله جلت قدرته أن يبعث فيها بين الحين والآخر مَن يجدد حياتها ويعالج جراحها ويزودها بوقود إلهي خالص للقيام بدورها الريادي المقدس، فيظهر فيها عالماً ربانيّاً فذاً من خلّص أتباع مدرسة الثقلين ـ القرآن والعترة النبوية ـ، ليجسد بسيرته القيم التي ينبغي أن يلتزم بها حصون الإسلام وورثة الأنبياء ونواب خاتم الأوصياء المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ.

والفقيه العارف روح الله الخميني ـ رضوان الله عليه ـ هو أحد الأفذاذ من هؤلاء العلماء الربانيين، وقد جاءت سيرته في الوسط الحوزوي ـ أستاذاً ومربياً ـ منصبة في اتجاه إحياء تلك القيم في الوسط الحوزوي وتطهيره من سهام شياطين الأنس والجن والدفاع عن كيان الحوزات وحرمة علمائها ومجاهدة أشكال حب الرئاسة والمتاجرة بالدين سعياً للدنيا. فجسد خصال العالم الرباني المخلص الذي سحق كل أهواء «الأنا» الظاهرة منها والخفية، وانبرىٰ للاجتهاد في العمل ـ بكل ما استطاع ـ لإعداد الحوزويين لخدمة الأمة وعباد الله ومواكبة طموحاتهم المشروعة، واجتهد ـ بكل سعيه ـ لتربية المجتهدين القادرين علىٰ مواكبة متطلبات العصر، واندفع ـ بكل وجوده ـ لحفظ وحدة الموقف الحوزوي وحفظ مكانته ودعم مرجعياته بإخلاص مقرون بكامل الورع والتنزه عن كل عمل فيه شائبة السعي لمقام المرجعية أو الرغبة فيه.

ومما لا شك فيه أن ما يشتمل عليه هذا الجزء من ذكريات لا يفي بإعطاء صورة كاملة تظهر جميع أبعاد الدور الخميني في هذا المجال، فإنجاز ذلك يحتاج إلىٰ دراسة أوسع لسيرة الإمام ـ رضوان الله عليه ـ وتراثه الفكري إلاّ أنّه يفي ـ بلا شك ـ أيضاً بإعطاء صورة مشرقة عامة عن هذا الدور. كما أن القبسات النورانية التي اشتمل عليها من سيرة

هذا العالم الرباني تحمل الكثير من الدروس التربوية لطلبة العلم الإلهي من الحوزويين وغيرهم، وتبين لهم الخصال التي ينبغي أن يتحلىٰ بها علماء الدين الربانيّون، فتعين طلبة العلم علىٰ نحو التخصص الحوزوي علىٰ التحلي بها من خلال تعريفهم بأسوة حسنة معاصرة، كما أنّها تعين سائر المؤمنين علىٰ معرفة وتمييز العالم الديني الربّاني الذي يرجعون إليه.

أعاننا الله وإيّاكم علىٰ التدبّر في سيرة روح الله الخميني فهو من أفذاذ العلماء والعباد الصالحين، ووفقنا الله وإيّاكم علىٰ الاستضاءة بأنوارها في السير إلىٰ الحياة الكريمة في الدارين بحرمة محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. إنه سميع مجيب.

عرفان محمود

٢٤، صفر الخير / ١٤٢٣ للهجرة المباركة

الفصل الأول

الإمام ودفاعه عن حرمة العلماء والمرجعية الدينية

القسم الأول

الإمام ودفاعه عن حرمة العلماء والمرجعية الدينية

يرىٰ نفسه مديناً لأساتذته

كان الإمام يذكر أساتذته في أكثر مجالسه وكان يستغفر الله لهم باستمرار فقد كان يرىٰ نفسه مديناً لهم[1].

ويولي اهتماماً خاصاً بآراء الشيخ الحائري

كان الإمام يولي اهتماماً خاصاً بآراء ومنهج استاذه المرحوم الحائري وكان يعتقد أنه لو كان حيّاً لاستثمر الفرصة التي حانت بعده وقام بتأسيس الحكومة الإسلامية. فكان يقول: «لو كان المرحوم الحاج الشيخ (عبد الكريم الحائري) حيّاً في هذه الأيام لقامَ بما قمتُ به أنا، ولم يكن تأسيسه الحوزة العلمية [في قم] بأقل أهمية من تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران»[2].

---

(١) السيدة فرشته الأعرابي، مجلة (راه نور).

(٢) مجلة حوزة، العدد: ٦، ومن الضروري هنا الإشارة إلىٰ أن تأسيس المرحوم الحائري ـ رضوان الله عليه ـ للحوزة العلمية المعاصرة في قم واجتهاده في حفظها جاء في خضم =

حفظ الأمانة أصعب الأوضاع

كان الإمام يقول عن مؤسس الحوزة العلمية في قم المرحوم الشيخ الحائري: «يكفي لمعرفةِ عظمته أنه استطاع حفظ الحوزات العلمية وعلماء الدين في تلك الأوضاع الصعبة التي قرر رضا شاه فيها إبادة الحوزات والعلماء، ولقد حفظ هذه الأمانة وسلمها لنا لكي نسلمها بدورنا لمن بعدنا»[١].

يبين مقام الشيخ البافقي

اشتدت الضغوط والممارسات الإرهابية التي كانت تقوم بهاحكومة رضا خان في أعوامها الأخيرة، وكان الإمام يُلقي في تلك الأيام دروساً أخلاقية في المدرسة الفيضية، وقد كرر فيها مراراً القولَ بأنّ «من يريدُ زيارة مؤمن استسلمت له الشياطين وآمنت علىٰ يديه في هذا العصر، فليذهب إلىٰ مدينة «ري» وليتوجه ـ بعد ذلك ـ إلىٰ زيارة السيد عبد العظيم الحسني ـ عليه السلام ـ ثمّ إلىٰ زيارة الشيخ البافقي»[٢]. وكان

= واحدة من أصعب الحقب التأريخية التي مرت بها الحوزات العلمية الدينية في إيران، وهي حقبة حكم «رضا بهلوي» والد الشاه الإيراني الأخير، فقد جاءت بريطانيا المستعمرة برضاخان لحكم إيران أسقطت به حكم العائلة القاجارية لكي يقوم بمهمة الإسراع في تغريب إيران علىٰ غرار ما كان يفعهل زميله مصطفىٰ أتاتورك في تركيا بعد إسقاط الخلافة العثمانية، وقد فرض رضا خان حالة شديدة من الإرهاب ضد الحوزات الدينية في إيران ومنع ارتداء العمامة والزي الحوزوي إلا طبق شروط صعبة للغاية ووضع الكثير من العقبات بوجه التوجه لطلب العلم الديني الأمر الذي كان يهدد الحوزات العلمية المستقلة بالانقراض مثلما حدث في تركيا، ومن هنا تتضح أهمية ما قام به آية الله الحائري في تأسيس حوزة قم وحفظها في ظل تلك الأوضاع الصعبة. كما سيشير لذلك الإمام في الفقرة اللاحقة، راجع في هذا الباب كتاب الحياة السياسية للإمام الخميني محمد علي الرجبي، [المترجم].

(١) آية الله الشيخ حسين المظاهري، كتاب خطوات في أثر الشمس، ج:٤، ص:١٦٠.

(٢) آية الله الشيخ محمد تقي البافقي، من كبار علماء حوزة قم ومن الذين كان لهم دور مهم =

يقرأُ أحياناً هذا البيت المشهور:

جه خوش بودكه برآيد به يك كرشمه دوكار

زيـارت شـه عـبـد الـعـظـيـم وديـدن يـار[1]

الإمام يتحدث عن علاقته بأستاذه الشاه آبادي

في لقاءٍ جمعني والشيخ الرفسنجاني بسماحة الإمام، تحدث الإمام عن علاقته بالمرحوم والدي، فقال:

«عندما كنتُ أدرس في الحوزة؛ كنت أشعر باستمرار بأنني أفتقد شيئاً، وقد سعيتُ كثيراً للعثور علىٰ ضالتي هذه، وكان المرحوم الشيخ محمد صادق الشاه آبادي من العارفين بحالي هذه، فصادفني يوماً في المدرسة الفيضية وقال لي: إذا أردت العثور علىٰ ضالتك فاعلم أنّه جالسٌ في الحجرة الفلانية! سألته: مَن تعني؟ قال: إنّه سماحة الشيخ الشاه آبادي، هو ضالتك التي تبحث عنها».

توجهت إلىٰ الحجرة المقصودة، فرأيت المرحوم الشيخ الشاه آبادي

= في معاضدة آية الله الحائري في تأسيس الحوزة العلمية في قم وحفظها وإدارة شؤونها، وكان من العلماء المجاهدين الأتقياء المتعبدين ويتناقل الثقات الكثير من كراماته، كان من عشاق صاحب العصر الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ ومن الذين فازوا برؤيته، كان ملتزماً بزيارة مسجد جمكران مشياً على الأقدام تعظيماً له، وقد نفاه رضاخان بهلوي إلىٰ مدينة ري في طهران بعد أن عرضه للضرب والأذىٰ إثر اعتراضه الجريء علىٰ انتهاك نساء العائلة الملكية لحرمة حرم السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام وحضورهن متبرجات بزينة مبتذلة في هذا الحرم المقدس ضمن مساعي رضاخان لترويج السفور والابتذال في إيران. وقد كتب تلميذه آية الله المرحوم الشيخ محمد الرازي كتاباً قيماً عن حياته مطبوع بالفارسية. [المترجم].

(١) الترجمة النثرية لهذا البيت هي:
ما أطيب أن تحظىٰ في نظرة واحدة
بزيارة السلطان عبد العظيم ولقاء الحبيب.

(٢) الحياة السياسية للإمام الخميني: ١٣٠.

جالساً مع آية الله الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم وهما يتباحثان، وقد جلس آخرون إلىٰ جانبهما وهم يصغون لتحاورهما ويشتركون في الحديث أحياناً، فوقفتُ منتظراً في زاوية إلىٰ أن انتهىٰ البحث وخرج المرحوم الشيخ الشاه آبادي متوجهاً إلىٰ منزله فتبعتُهُ وطلبتُ منه ـ في وسط الطريق ـ أن يخصص لي درساً في الفلسفة لكنه لم يوافق!

وكان الأهالي والكسبة يسلمون عليه ـ أثناء سيرنا في الطريق ـ ويسألونه عن بعض الأمور فكان يجيبهم بأجوبة، لا تتناسب مع مستواهم الفكري!! فقلت له: إن هؤلاء لا يستطيعون فهم أجوبتكم يا سيدي، فلماذا تجيبونهم بها؟! أجاب: لا تخلو هذه الأجوبة من ثمرةٍ هي أن تطرق هذه الأقوال الكفرية أسماعهم فهي أقوال يرونها كفراً!!.

وعلى أي حال فقد أقنعته قبل وصولنا المنزل أن يبدأ تدريسي الفلسفة، وعندما وافق قلتُ: لا أريد دراسة الفلسفة يا سيدي! إن ضالتي شيءٌ آخر، أريدُ منكم تدريسي العرفان! لكنه لم يوافق علىٰ طلبي إلىٰ أن وصلنا منزله فعرَض عليّ الدخول مجاملةً فوافقتُ لكي أصل إلىٰ بغيتي، وقد أصابتني في منزله حالة شعرتُ معها أنني عاجزٌ عن الكف عن الطلب منه! ألححت عليه كثيراً لكي يستجيب إلى طلبي ورجوته وتوسلت إليه حتىٰ وافق، وحدد عصر أحد الأيام موعداً لبدء الدرس المعهود.

بدأت التتلمذ علىٰ يديه في عصر ذلك اليوم، وبعد درسين أو ثلاثة وصلت إلىٰ حالة رأيتُ فيها أنني لا أطيق فراقه، كنتُ أحضرُ في البداية دروسه العرفانية فقط ثم أخذت بالتزام الحضور في دروسه الأخلاقية أيضاً والتي كان يُلقيها في مسجد «عشق علي» ليالي الجمعة وبعد إقامة الصلاة، ثم التزمتُ بالحضور في جميع دروسه ومحاضراته؛ وكنت أكتب تقريراتها جميعاً أيضاً سواءٌ تلك التي كان يلقيها للعامة أو الدروس الخاصة.

وكانت علاقتي تتوثق يوماً بعد آخر به ويشتد حبي لهن وأستطيع

اليوم أن أقول بأنني لم أر روحاً بشفافية ولطافة روح المرحوم الشيخ الشاه آبادي.

كان للمرحوم الشاه آبادي تلامذةٌ من مستويات متباينة، يحضرون دروسه بصورةٍ متفرقة، أي لم يكونوا ملتزمين بحضورها جميعاً، باستثنائي أنا وبضعة أشخاص آخرين كنا ملتزمين بالمواظبة علىٰ حضور دروسه وحتىٰ هولاء السادة كانوا يحضرون أحياناً ثلاثة دروس أو خمسة في الأسبوع، أمّا أنا فقد التزمت بالحضور المستمر في دروسه طوال السنين السبع التي قضاها المرحوم الشاه آبادي مقيماً في قم.

لقد تتلمذت في جميع هذه الأيام علىٰ يديه واستفدتُ من دروسه المختلفة، وبقي الحال علىٰ هذا المنوال إلى أن انتقل إلىٰ طهران فلم أستطع بعد ذلك أن ألازمه في جميع الأوقات لأنني كنت منهمكاً في الدراسة في قم، لكنني كنت أذهب إليه في كل عطلة ـ في أيام عاشوراء، وأيام شهر رمضان وغيرها ـ، إذ كنتُ أسافر إلىٰ طهران لحضور دروسه حيثما كان يلقيهما سواء في منزله أو في المسجد، فكنتُ أحرص علىٰ ملازمته قدر المستطاع طوال مدة بقائي في طهران[١].

يمسح قبر الملكي التبريزي بعمامته

عندما عاد الإمام من باريس وجاء إلىٰ قم، ذهب لزيارة مقبرة «شيخان»، وقد فتح عمامته عندما زار قبر استاذه الشيخ الميرزا جواد الملكي التبريزي ومسح بذؤابتها صخرة القبر وجلس عنده وقرأ القرآن وسورة الفاتحة: وفي ذلك مظهرٌ من مظاهر تكريمه لأستاذه[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصرالله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٥٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد قاسم البطحاني، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٧.

وما أدراك ما ملا صدرا

أخبروا الإمام ـ في أيام تدريسه الأصول عصر كل يوم في مسجد السلماسي في قم ـ أن بعض الأشخاص الذين يحضرون الدرس قد أهانوا الملا صدرا، الأمر الذي أغضبه كثيرا فقال ـ وهو يعظهم ناهياً لهم عن التجرأ علىٰ عظماء الدين: «وما أدراك ما ملا صدرا؟! لقد حلّ المعضلات الفلسفية التي عجز أبو علي ابن سينا عن حلها! فلماذا لا نراقب ألسنتنا وما نتفوه به؟!»[١].

غضبه بسبب الإساءة لمؤلف الأسفار

لم أر لدىٰ الآخرين ما رأيته لدىٰ الإمام من استنباطات عميقة وإدراك دقيق للمعارف الإلهية وللفلسفة وآراء محي الدين ابن العربي، وأتذكرُ أنّه وكما يبدو قد سمع ـ عند بدأية التدريس في بداية أيام الدراسة في منتصف شهر «شهريور» بعد عودته من السفر ـ بأن أحد السادة ـ وقد توفي رحمه الله ـ قد أساء القول في مؤلف كتاب الأسفار، فغضب إلىٰ درجة، قال معها: «الأسفار، وما أدراك ما الأسفار؟! هل تعرف ما يضمه هذا الكتاب؟ وهل تعرف مَن هو مؤلفه؟!».

لم يكن الإمام يتطرق إلىٰ مثل القضايا عادةً، ولكن شدة الأذىٰ الذي أصابه اضطرته إلىٰ مثل هذا التعامل[٢].

دفاعه عن الحجج الإلهية

كان يوجد في حوزة قم العلمية المقدسة أشخاص ساذجون فكرياً

---

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٢، ص:٣.

(٢) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٣.

وذوو نوايا خيرة لكنهم لم يكونوا يحسنون الظن أبداً بالفلسفة والحكمة الإلهية والعرفان، وقد أوجدت معارضتهم لها أجواءً مضادة للفلسفة والعلوم العقلية، كانت من القوة إلىٰ درجة تكفي لاغتيال شخصية كل مَن يقوم بتدريس الفلسفة، فانبرىٰ الإمام بكل شجاعة لمحاربة هذه الأجواء ودحض هذه الأفكار، ودافع عن الملاصدرا الذي حكموا بكفره!! فقد بلغ هجومهم ضد آرائه درجة كان الذين يدرسون كتبه يضطرون إلىٰ التخفّي في ذلك واختيار «السراديب»[1] والأماكن البعيدة عن الأنظار لدراسة كتب هذا العالم الجليل.

أما الإمام فقد بلغ من دفاعه عنه أنّه كان يقول عنه: «الملاصدرا، ما الملاصدرا؟! وما أدراك ما الملا صدرا؟!»؛ وكان يؤيد أفكارَهُ التي عارضها أولئك المقدسون طويلاً، ومنها قوله في المعاد الجسماني فكان يقول علىٰ اعتراضات المقدسين علىٰ هذا القول: «إن عقيدة المعاد التي يقول بها الملا صدرا هي العقيدة نفسها التي تؤمن بها المرأة العجوز»[2].

وأعتقدُ أن الثورة التي فجرها الإمام في دفاعه عن هؤلاء الحجج الإلهية أعظم من هذه الثورة الإسلامية، فهو بتصديه الشجاع للخواص من ذوي الظاهر الصالح؛ والذين تصعب للغاية مواجهتهم عادة؛ وقد أنهىٰ مؤامرة إستمرت ثلاثة قرون ضد الملاصدرا ونظرائِهِ[3].

---

(١) جمع «سرداب»، الطابق تحت الأرضي الذي يُبنىٰ في البيوت. [المترجم]

(٢) قد تكون في هذا القول إشارة إلىٰ أن التفسير الذي يقدمه صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي وهو مجدد الفلسفة الإسلامية في القرون الأخيرة، لحقيقة المعاد لا يختلف في جوهره عن العقيدة البسيطة اتي تقرها الفطرة السليمة وتتلقاها المرأة العجوز بطواعية فطرية بعيداً عن تعقيدات الذين يعقدون العقائد بالجدليات، فما قام به الملا صدرا هو إزالة الغبار الذي أوجدته الجدليات التعقيدية عن العقائد الفطربة النقية. [المترجم]

(٣) آية الله الشيخ المحمدي الجيلاني، مقابلة خاصة محفوظة في أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

إحضروا دروس الشيخ الشاه آبادي

رویٰ السيد النصيري السرابي ـ وهو من تلامذة الإمام ـ قال: زرت الإمام قبل شهر رمضان المبارك من إحدیٰ السنين وسألته: نرغب في حضور دروس أحد السادة في هذا الشهر المبارك للإستفادة منها، فأيهم أنسب في رأيكم؟ أجاب: «أحضروا دروس الشيخ الشاه آبادي».

وقد حضرنا دروس الشيخ الشاه آبادي طوال الشهر في أحد مساجد طهران واستفدنا منها. وقد سألت الإمام يوماً: لقد سمعت من هنا وهناك يا سيدي، أن السيد الحجة[1] كان يعارض تدريسكم الفلسفة، فهل أن ما سمعته صحيح؟ فقال: «كلا، هذا الأمر لا أساس له من الصحة، إن أجهزة وعملاء رضا خان هم الذين كانوا يعارضون ذلك».

وكان جلاوزة رضا خان أيام حكومته يؤذون العلماء كثيراً، ولذلك كان الإمام وطلبته يذهبون للدراسة إلیٰ البساتين المحيطة بمدينة قم[2].

كان يریٰ نفسه من أهل بيت استاذه الشاه آبادي

لقد أنشد الإمام ـ أيام دراسته ـ إلیٰ المرحوم الشيخ الميرزا محمد علي الشاه آبادي (وهو عمي) إلى درجة لم يترك معها حضور دروسه العرفانية أبداً في حين كان للمرحوم الشاه آبادي تلامذةٌ كثيرون لا يلتزمون بالحضور المستمر في دروسه، فكانوا يتركونها أحياناً أما الإمام فقد كان ملتزماً بحضورها وقد انشدّ منجذباً إليه إلیٰ درجة كان یریٰ

---

(١) آية الله السيد محمد الحجة ـ رضوان الله عليه ـ أحد العلماء الكبار الثلاثة الذين تولوا إدارة الحوزة العلمية في قم بعد وفاة مؤسسها آية الله الحائري واستمروا في إدارتها إلیٰ حين مجيء آية الله السيد البروجردي حيث توحدت له زعامة الحوزة القمية والمرجعية الدينية. [المترجم]

(٢) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٤.

نفسه معها أنّه من أهل بيته، فمثلاً إذا قال المرحوم عمي لولده مهدي: إذهب لشراء رغيفاً من الخبز، كان الإمام يبادر إلىٰ القيام بنفسه ويقول: لا حاجة لذهابه، أنا أذهب لشراء الخبز، ويذهب بالفعل ويشتري الخبز ويرجع به، لقد توثقت علاقته بالمرحوم عمي إلى هذه الدرجة[١].

أنت لم تعرف أباك!!

كان المرحوم آية الله المطهري يقول: لم أسمع الإمام ولا لمرة واحدة يذكر إسم المرحوم الشاه آبادي دون أن يردفه بعبارة «روحي فداه»! كانت علاقة الإمام بالمرحوم والدي وثيقة وقلبية عميقة، حدثَ مرةً أن جرىٰ الكلام في حضوره (في النجف) بشأنِ قضية معينة وذُكر إسم أحد السادة أثناء الحديث فتصور الإمام أنني أقارنه بالمرحوم والدي، ولذلك تأذىٰ بعمق وقال لي بحدة:

«إنك لم تعرف أباك! إن من غير الممكن مقارنته لا بهذا السيد ولا بنظائرهِ»[٢].

الشاه آبادي موجود رباني لطيف

قال الإمام يوماً في وصف أستاذه في العرفان، آية الله المرحوم الشيخ الشاه آبادي ـ رضوان الله عليه ـ: «إن المرحوم الشيخ الشاه آبادي هو موجود رباني لطيف». وقد درس الإمام العرفان ـ أي القضايا المعنوية ومعرفة الله ـ عند هذا الأستاذ[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق الشاه آبادي، (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٥٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصر الله الشاه آبادي، المصدر السابق، ص:٢٥٦.

(٣) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٢.

احترامه لصورة استاذه

زار منزلنا في النجف يوماً عددٌ من كبار علماء النجف، وقد جلس الإمام في مكان مستدبراً القبلة، ثم التفت إلىٰ أن صورة والدي المرحوم فوق رأسه فقام فوراً وجلس مستقبلاً القبلة وصورة المرحوم والدي! وقد أثار هذا الموقف تعجب الجميع من شدة احترامه حتىٰ لصورة أستاذه[١].

دفاعه عن العلامة المجلسي والعلماء المخلصين

في تلك الأيام التي أخذ بعض الكتاب بمهاجمة المرحوم العلاّمة المجلسي ـ عن جهل أو لإغراضٍ مشبوهة ـ، وكانوا يعيبون عليه ارتباطه بالبلاط الصفوي: ألقىٰ الإمام كلمةً في مسجد الشيخ الأنصاري ـ بعد اطلاعه علىٰ هذه الهجمات ـ دافع فيها عن حرمة العلماء المخلصين، وبيّنَ فيها أن بعض العلماء الأجلاء مثلا العلامة المجلسي كانوا علىٰ علمٍ يقيني بأن ارتباطهم بسلاطين الجور يضعف مكانتهم السامية ويسيء إلىٰ شخصياتهم المرموقة، لكنهم حفظوا هذا الارتباط مضحين بسمعتهم من أجل أن يستفيدوا من قدرتهم ونفوذهم المعنوي في سبيل الحد من ممارسات هؤلاء السلاطين الاستبدادية ويدفعوا شرورهم عن الإسلام قدر المستطاع ويحدوا من ظلمهم للعباد قدر الإمكان[٢].

اعرفوا قدر هذا السيد

كنت في بيت السيد الكاشاني في شارع (بامنار) في طهران في أحد أيام الصيف، فقال السيد الكاشاني: اعرفوا قدر هذا السيد فهو الذي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصر الله الشاه آبادي، المصدر السابق، ج:٣، ص:٢٥٨.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد:٧.

ينقذكم، أيها الجاهلون اعرفوا قدر هذا السيد!.

كنا يومها شباباً مفعمين بالحماس وكنا علىٰ ارتباط بمنظمةِ «فدائي الإسلام»، أمّا الإمام فلم يكن يظهر الارتباط بها[1].

علت صرخة الاعتراض من الإمام

استغلت إحدىٰ المجلات حالة الانفلات في أوضاع الصحف التي ظهرت بعيد انتصار الثورة، فوجهت إهانة للمرحوم الشهيد آية الله الشيخ فضل الله النوري، فعلت صرخة الاعتراض من الإمام منكرةُ هذا الفعل[2].

أين وجدت هذا الأعجوبة

كان الإمام يكن المودة للسيد الكاشاني، وكانا قد التقيا في بيت والدي الذي كان صديقاً للسيد الكاشاني وكان منزله ومنزل والدي يقعان في الزقاق نفسه، وذلك عندما جاء السيد [الإمام] إلىٰ طهران لأمر الزواج وبقي في بيت والدي ثمانية أيام، وقد قال السيد الكاشاني لوالدي بعد اللقاء: أين وجدت هذا الأعجوبة![3]

---

(١) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٦، والسيد الكاشاني المذكور هنا هو آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني أحد كبار العلماء الإيرانيين في عقد الخمسينيات من القرن الميلادي المنصرم وصاحب الدور الأهم في حركة تأميم النفط في إيران. أوائل حكم محمد رضا بهلوى لإيران، راجع كتاب الحياة السياسية للإمام الخميني وشرح موقف الإمام من السيد الكاشاني. [المترجم]

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رضا الاستادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٢٣١، وآية الله الشيخ فضل الله النوري، هو من كبار العلماء الذين شاركوا في حركة النهضة الدستورية في إيران وصاحب دعوة «الدستورية المقيدة بالشرع» مقابل الدستورية غير المقيدة. وقد كتبت بالفارسية الكثير من الدراسات بشأن موقفه من النهضة ودعوته إلىٰ الدستورية المشروعة. [المترجم].

(٣) السيدة خديجة الثقفي (زوجة الإمام)، مجلة (ندا)، العدد:١٢.

الإسلام هو مصدر قوتنا

محمد حسنين هيكل: ما هو العامل الأساس في هذا الاتساع العظيم لنهضتكم؟

الإمام: الإسلام هو مصدر قوتنا. كان البعد السياسي أقوىٰ في نهضة آية الله السيد الكاشاني والدكتور مصدق وقد كتبت يومها رسالة للسيد الكاشاني بشأن ضرورة الاهتمام بالبعد الديني للنهضة، لكنه وبدلاً من تقوية هذا البعد وتغليبه علىٰ البعد السياسي تعامل علىٰ العكس من ذلك وإلىٰ درجة صار معها رئيساً لمجلس الشورىٰ الوطني، وكان هذا الإجراء اشتباهاً(١).

يجب مناصرة وتأييد آية الله الكاشاني

سافرتُ إلىٰ قم سنة ١٣٢٧ هـ.ش، [١٩٤٨م] برفقةِ عدد من طلبة الحوزة بهدف الزيارة، وقد التقينا آية الله البروجردي في منزله ذات ليلة وكان اللقاء أثناء مجلس للإجابة علىٰ الاستفتاءات عقده بحضور عدد من الأشخاص، فقبلنا يده وجلسنا في زاوية الغرفة، وقد جرىٰ الحديث في هذا اللقاء عن قضية سياسية ترتبط بما أعلنه أحد رؤوساء الجامعات الإيرانية من أن الجامعات يجب أن تكون مستقلة بالكامل فلا يسمح بفرض شيءٌ عليها لا من الدين ولا من المواقف السياسية، وقد تصدىٰ المرحوم آية الله الكاشاني لهذا التحرّك وكان يسعىٰ لملاحقة هذا الشخص قضائياً، وكان خبر هذه القضية قد وصل إلىٰ قم، وكان الإمام حاضراً في المجلس المذكور وكان أحد الذين طلبوا بقوة من آية الله البروجردي التدخل في هذه القضية، ولكن آية الله البروجردي كان

---

(١) صحيفة كيهان بتأريخ ١٣٥٧/١٢/٢هـ.ش، مقطع من المقابلة التي أجراها هيكل مع الإمام.

متحفظاً تجاه ذلك كما يبدو لأسباب معينة، أما الإمام فكان يقول: «يجب مناصرة وتأييد آية الله الكاشاني الذي تصدىٰ لهذا الأمر».

لقد كان واضحاً منذ تلك الأيام أن للإمام موقفاً تجاه هذه القضايا بل وكان يسعىٰ لإقناع آية الله البروجردي أيضاً باتخاذ مواقف حازمة تجاه إجراءات الجهاز الحاكم، وقد أصبح موقفه فيما بعد موقف الحوزة العلمية في قم عموماً[1].

يزور السيد الكاشاني في غربته

أساؤا كثيراً إلى المكانة الاجتماعية للمرحوم آية الله السيد الكاشاني بسبب مواقفه المعارضة لمصدق والاختلاف الذي نشب بينهما، وقد أصيب السيد الكاشاني بمرض في تلك الأيام فكان الشخص الوحيد الذي ذهب من قم إلىٰ طهران لعيادته هو الإمام الذي عطّل درسه في الأصول من أجل ذلك، إذ ذهب لعيادة آية الله الكاشاني بعد أن ألقىٰ درسه الصباحي في الفقه.

لقد قام الإمام بهذه الزيارة في وقت كانوا ينشدون أشعاراً مبتذلة تسيء للسيد الكاشاني وينشرون في الصحف أشعاراً تنتهك حرمته، وكان الإمام يحظىٰ بشخصية علمية وإجتماعية مرموقة في الحوزات العلمية ولدىٰ الخواص، لذلك فلا يمكن العثور علىٰ شاهد ـ أوضح من سفره إلىٰ طهران وعيادته لآية الله الكاشاني ـ يبين اهتمام الإمام بجميع أبعاد القضايا.

إن مما لا شك فيه أن الإمام لم يذهب لعيادة آية الله الكاشاني كمسلم عادي يذهب لعيادة مريض، كما لم يقم بزيارته لأنّه عالم ديني،

---

(١) آية الله محمد واعظ زاده الخراساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٣٠٢.

فكان الكثير من العلماء يمرضون، ولم يكن الإمام يعودهم في مرضهم، فقط كان الإمام حريصاً علىٰ وقته مقتصراً علىٰ الواجبات، فمثلاً لم يكن يشارك في مراسم التشييع عادة؛ لذلك كان الإمام يسعىٰ لتحقيق هدف آخرٍ وهو يذهب لعيادة آية الله الكاشاني خاصة وأنه عطّل درسه من أجل ذلك[١].

يعقد مجلساً تابينياً

أقام الإمام مجلساً تأبينياً للمرحوم آية الله الكاشاني في المسجد الأعظم إثر وفاته، وقد كان يحضر بنفسه هذا المجلس الذي أقامه ليومين[٢].

وهكذا ينبغي أن يكون عالم الدين

نقل آية الله السيد السلطاني: كان السيد البروجردي مقيماً في بروجرد في عهد مرجعية المرحوم السيد أبو الحسن الاصفهاني وكان الإمام يسألني أحياناً عن السيد البروجردي وعن طبيعة شخصيته، وقد قلت له: إن السيد البروجردي لا يصغي لكلام المسؤولين الحكوميين، إنه مستقل، فقال الإمام بارتياح : «بارك الله فيه، هكذا ينبغي أن يكون عالم الدين»[٣].

إدعوا آية الله البروجردي للمجيء إلىٰ النجف

سعىٰ الإمام وأكثر من الجميع من أجل مجيء آية الله البروجردي

---

(١) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢

(٢) آية الله الشيخ غلام رضا الرضواني، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ١٢٩.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي، أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

إلىٰ قم وإقامته فيها، وكان ذلك منه لأنّه يعرف شخصية السيد البروجردي. وكان يقول بنفسه عن هذه القضية:

«عندما زرت النجف سنة [١٣٢٣ ه.ش، ١٩٤٤م] كان السيد أبو الحسن الاصفهاني في قيد الحياة، وقد قلت يومها في اجتماع حضره عدد من فضلاء حوزة النجف: إنّ الإيرانيين لا يعرفونكم أيها السادة، ينبغي لكم أن تدعوا ـ بعد السيد أبو الحسن ـ عالماً يعرفه الإيرانيون لكي يحفظ حوزة النجف وإلاّ فإنّها ستنهار. فقالوا: مَن مثلاً؟ قلت: آية الله السيد البروجردي.

لم يستسيغوا يومها هذا الكلام، ولكن بعد وفاة السيد أبو الحسن لم يكن في النجف مرجع يعرفه الإيرانيون لكي يحفظ النجف وحوزتها»[١].

اهتمام الإمام بحفظ كيان المرجعية والحوزات العلمية

رافقت الإمام في سفرٍ إلىٰ طهران بعد وفاة آية الله البروجردي، وقد روىٰ لي يومها: «عند تشرفي بزيارة النجف الأشرف اقترحتُ في اجتماعٍ حضره السادة العلماء أن يدعو آية الله البروجردي للمجيء إلىٰ النجف وبدأ التدريس فيها كمقدمة، لكي يتولىٰ زعامة الحوزات العلمية ومرجعية الشيعة بعد وفاة آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني، وقد قلت في هذا الاجتماع: إنني أقدم هذا الاقتراح لسببين:

أولاً: أن آية الله البروجردي هو الأعلم إثباتاً.

ثانياً: أنه رجل اجتماعي، وهو أجدر شخص يمكن الاعتماد عليه لمسؤولية المرجعية وحفظ كيان الحوزات العلمية.

وبعد مدة من هذا الاجتماع قال لي أحد السادة: إنّ السادة الذين

---

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٠٥.

حضروا ذلك الاجتماع قد قالوا: إن السيد روح الله لا يعرف حوزة النجف، إن فيها علماء بارزون، فقلتُ: إنقلوا للسادة قولي لهم: إنكم لم تنتبهوا إلىٰ مغزىٰ قولي، إنني قلتُ: إنّه رجل اجتماعي، وهذه الصفة غير الأعلمية كما هو واضح؛ كما أنني قلت: إن السيد البروجردي هو الأعلم في مقام الإثبات وهذا لا ينافي أن يكون السادة الآخرون أعلم في مقام الثبوت وإن كان السيد البروجردي هو الأعلم في مقام الثبوت أيضاً!»[1].

يجب تقوية السيد البروجردي

بعد وفاة آية الله السيد أبو الحسن الإصفهاني ـ قدس سره ـ ترشح للزعامة الدينية آيات الله السيد البروجردي والسيد القمي، وكان الإمام يدعو للسيد البروجردي ويرجع الناس إلىٰ تقليده، وقد سافر إلىٰ عدة مدن للدعوة إليه، فسألته: لماذا لا ترجعون الناس إلىٰ تقليد آية الله القمي؟ فقال: «إن سماحة آية الله السيد حسين القمي يقيمُ في العراق لا في إيران، لذلك يجب تقوية السيد البروجردي بهدف تقوية حوزة قم وعلماء إيران».

كان الإمام يعتقدُ أن السيد البروجردي عالمٌ متنورٌ وبالإمكان التحرك عن طريقه لتحقيق أهدافه الثورية، وقد قلتُ له بعد مدة مديدة: لقد بلغتم كثيراً لمرجعية آية الله البروجردي ولكنها لم تكن علىٰ وفق ما أردتم! فقال: «صحيحٌ، والسبب هو أنهم أوحوا للسيد آية الله البروجردي أن الناس ليسوا راسخين في عهودهم وإيمانهم فلا يمكن اتخاذ شيء مهم بالاعتماد عليهم»[2].

(١) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، المصدر السابق، ص:٢٨٦.
(٢) آية الله السيد مرتضىٰ البرقعي (الفقيه)، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:١٣١.

اهتمامه بوحدة الحوزة العلمية

ذهب الإمام عدة مرات لعيادة آية الله البروجردي أيام رقوده في المستشفىٰ للعلاج بعد أن غادر مدينة بروجرد إلىٰ قم [وطهران] بسبب مرضه، وقد كرّر الطلب منه مراراً خلال هذه الزيارات أن يقيم في قم بصورة دائمية، وكان يقول بهذا الخصوص: «إن مجيء السيد البروجردي إلىٰ قم ينقذ حوزتها العلمية من اختلاف الأذواق بين مراجعها المتعددين (السادة: الخوانساري، الحجة، والصدر)، ومن الاختلاف بين مؤيديهم»[1].

شعور بالمسؤولية تجاه الحوزة

كان الإمام من الذين بذلوا الكثير من المساعي في سبيل مجيء المرحوم آية الله البروجردي إلىٰ قم، يقول المرحوم والدي: قال لي سماحة السيد روح الله بعد مجيء آية الله البروجردي إلىٰ قم: «لقد جئنا بالسيد إلىٰ قم وعليكم أنتهم مهمة إبقاءَهُ فيها»!

ولم يتوانّ الإمام في بذل أي مسعىٰ أو القيام بأي عمل لدعم آية الله البروجردي، يدفعه إلى ذلك شعوره بالمسؤولية تجاه الحوزة، ولذلك لم يأنف عن القيام بالأعمال التي تبدو غير مناسبة لمكانتهِ العلمية والاجتماعية، فمثلاً كان يقوم حتىٰ بمهمات من قبيل شراء قماش الحجاب الخفيف المانع لدخول البعوض وينصبه للسيد البروجردي!

وقد أخذ المرحوم آية الله البروجردي بإلقاء درسين في الفقه والأصول بعد إستقراره في قم، وكان يحضر دروسه جميع علماء قم الكبار تقريباً باستثناء الآيات الثلاثة (الخوانساري، الصدر، والحجة)، وقد حضر الإمام هذه الدروس عدة سنين، وكتبَ تقريرات، لها، وكان

---

(١) آية الله السيد حسين بُدلا، المصدر السابق، ج:٢، ص:٣٠٢.

ينقل في دروسه في السطوح العالية (الخارج) آراءً لآية الله البروجردي لم نقرأها ولم نسمعها من غيره، ثم اتضح فيما بعد أنّها من التقريرات التي كتبها بنفسه لدروس السيد البروجردي[1].

يغسل عباءة السيد البروجردي

حظي آية الله البروجردي في زيارته الأولىٰ لقم بحفاوة بالغة، من علمائها خاصة من الإمام الذي احتفىٰ به كثيراً وإلىٰ درجة، رأيتُهُ معها بنفسي يغسل عباءة السيد البروجردي؛ فقد نزع عباءتَهُ ووضعها علىٰ كتفي آية الله البروجردي وأخذ عباءة السيد وغسلها بالماء ثم جاء بها إليه[2].

اهتمامه بحفظ الحياة العلمية لحوزة قم

كان الإمام يرىٰ أن مجيء آية الله البروجردي إلىٰ قم من العوامل الضرورية لحفظ الحياة العلمية لحوزة قم بعد وفاة المرحوم الشيخ الحائري اليزدي، وكان السيد البروجردي يومها من علماء الطبقة الأولىٰ علمياً وأخلاقياً، ولذلك فقد بذل الإمام مساعٍ واسعة من أجل إقامة السيد البروجردي في قم. وطبقاً لما نقلته والدتي فإن الإمام كان يكتب بخطه أحياناً (٥٠ ـ ٦٠) رسالة إلى علماء مختلف أرجاء إيران لكي يطلبوا من السيد البروجردي أن يقيم في قم وكان ذلك عندما رقد آية الله البروجردي في مستشفىٰ «الفيروز آبادي» في مدينة ري لإجراء عملية جراحية له، وقد أثمرت جهود العلماء الشاملة وخاصة الإمام وأقنعت السيد البروجردي في النهاية بالإقامة في قم[3].

---

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مقابلة بثتها مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المحسني الملايري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ٢٥٤.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (حضور)، العدد الأول.

هدف السادة الاستفادة العلمية من وجودكم

وافق آية الله البروجردي علىٰ الإقامة في قم بصورةَ مؤقتة بعد أن سمحوا له بمغادرة المستشفىٰ في طهران، وبالفعل جاء إلىٰ قم بعد انتهاء علاجه في المستشفىٰ، وقد أُستقبل عند وصوله إلىٰ قم بحفاوة، واحترام، وبعد شهرين أو ثلاثة من ذلك قال لي الإمام يوماً: «سمعتُ أن آية الله البروجردي قرر مغادرة قم، حققوا في الأمر، إذا غادر قم فمن الصعب إرجاعه إليها».

وكان السيد البروجردي في تلك الأيام يلقي درس الخارج في الفقه[1] عصر كل يوم فسألته بعد انتهاء الدرس: سمعت أنكم تريديون العودة، فهل هذا الخبر صحيح؟ قال: ربّما، قلت: وما السبب؟ قال: لقد وعدني عدة أشخاص في طهران بتقديم المساعدات لي في قم لكي أستطيعَ ترتيب الأوضاع لكنهم لم يقدموا شيئاً إلىٰ اليوم.

وكان الإمام قد قال لي مسبقاً: «إذا تحجج آية الله البروجردي بالمشاكل المالية، فقولوا له: إن السادة العلماء الذين دعوكم للمجيء إلى قم لم يكن هدفهم الحصول علىٰ منافع مالية من سماحتكم، بل هدفهم هو الاستفادة العلمية من وجودكم، لذلك فحتىٰ لو لم تبدأوا بدفع الرواتب الشهرية للحوزة بعد عشر سنين من الإقامة في قم فلن يكون ذلك نقصاً فيكم، بل ولا يتوقع أحدٌ منكم أن تقوموا بدفع الرواتب».

أجل، كان الإمام يصرُ علىٰ إبقاء السيد البروجردي في قم ويعلله ذلك بأن حوزة قم ضعيفة من الناحية العلمية وإزالة الضعف هو ببقاء

(١) «بحث الخارج» هو المستوىٰ الأعلىٰ في الدروس التي تُلقىٰ في الحوزات العلمية، ويلقيها عادة مجتهدون كبار والهدف منها تدريب طلبة الحوزة الذي اكتسبوا العلوم المقدماتية، علىٰ الاستنباط الفقهي والأصولي. [المترجم]

السيد البروجردي فيها، وقد قال لي يوماً: «إن من الحيف أن تفتقد حوزة قم حضور آية الله البروجردي، يا ليت الأوضاع اللازمة لمجيئه إليها تتوفر لكي يأتي». وقد كان للإمام السهم الأوفر من مساعي الإتيان بآية الله البروجردي إلىٰ قم، كما بذل جهوداً كبيراً في التبليغ لمكانته العلمية بعد النجاح في إقناعه بالمجيء إلىٰ قم[1].

هدفه إلهي من احترام المرجعية

في إحدىٰ السنين وقع شك في رؤية هلال العيد، فجاء الإمام إلىٰ بيت آية الله البروجردي وجلس إلىٰ قبيل الظهر في غرفة سكرتير السيد البروجردي، الحاج محمد حسين الأحسني بانتظار صدور حكم آية الله البروجردي. وكان للإمام هدفٌ إلهي من القيام بجميع هذه الأعمال المعبرة عن شدة احترامه للسيد البروجردي: لكنه انقطع عن حضور درس السيد وقلل التردد علىٰ بيته في السنين الأخيرة من حياته، وصرح بعلةِ ذلك بالقول: «كان هدفنا هو أن نعرّف الآخرين بأن السيد هو المرجع العام للتقليد، وقد حققنا هذا الهدف، لذا فعلينا التوجه لدراستنا فنحن أيضاً من طلبةِ العلم»[2].

سعيد لدعم مطالب المرجعية وحفظ كرامتها

إبان رئاسة السهيلي للحكومة [الإيرانية في عهد الشاه] بعث له سماحة السيد حسين القمي رسالة طالبة فيما بإلغاء قرار الرفع الإجباري للحجاب الذي فرض في عهد رضا شاه وأن تمنح الحرية ـ كحد أدنىٰ ـ في ارتداء الحجاب أو عدم ارتدائِهِ، أما مطلبه الآخر فهو تدريس

---

(١) آية الله السيد محمد باقر الطباطبائي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٤٣ـ٤٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي بناه الاشتهاردي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٢، ص: ٣١٩.

التشريعات القرآنية في جميع المدارس حتىٰ الحكومية منها؛ ولكن الحكومة رفضت القبول حتىٰ بهذا المقدار من المطالب علىٰ الرغم من أن الحكومة كانت يومذاك ضعيفة للغاية.

وكان من الطبيعي أن يبادر العلماء والحوزويون إلىٰ بذل مساعيهم لمنع الحكومة من الاستهانة بمرجع ديني جليل مثل السيد حسين القمي وتجاهل مطالبه. وقد كنتُ في تلك الأيام مقيماً في بروجرد وأتذكر أن الإمام قد جاء يومها إلىٰ بروجرد برفقة أحد علماء قم وتحدثا مع السيد البروجردي بهذا الخصوص فأرسل السيد البروجردي رسالة شديدة اللهجة إلىٰ الحكومة هددها فيها بأنّه سيتحرك بمعيةِ جميع عشائر منطقة «لرستان» باتجاه طهران إذا تجاهلت مطالب سماحة السيد حسين القمي، وبذلك أجبر النظام الشاهنشاهي علىٰ الرضوخ لهذه المطالب.

وقد عرفت من هذه الحادثة أن السيد الخميني، يجاهد في سبيل الدين، وقد سعىٰ كثيراً ـ بعد ذهابي إلىٰ النجف ـ في نقل آية الله البروجردي إلىٰ قم وقد نجح في تحقيق ذلك في النهاية ـ وكان سبب مساعيه هذه هو أن الحوزة العلمية القمية كانت يومذاك ضعيفة للغاية ولم يكن لأي من مراجعها الثلاثة شهرة ومكانة وعظمة آية الله البروجردي الذي أدىٰ انتقاله إلىٰ قم إلىٰ تقوية حوزتها من جميع الجهات[1].

لهذا السبب دعمت مرجعية السيد البروجردي

كنّا يوماً في خدمة الإمام في منطقة «إمام زاده قاسم»، كان ذلك بعد أسبوع من وفاة آية الله البروجردي فقال: «إن سبب إصراري علىٰ مجيء آية الله البروجردي إلىٰ قم هو أنّه كان في قم بعض المراجع مثل آية الله الخوانساري، آية الله الحجة، آية الله الصدر، ولكن لم يكن في حوزة قم

(١) آية الله الشيخ أحمد الآذري القمي، مجلة (باد)، السنة الأولىٰ، العدد الرابع، ص: ٢١.

كيانٌ يمكن اعتباره مركز قوة، للحوزة، يُضاف إلىٰ ذلك أن صفة الجامعية التي كانت في السيد البروجردي كانت مفقودة في السادة الآخرين، فقد كان يتحلىٰ بروحٍ قويةٍ تمكنه من السيطرة علىٰ المسؤولين الحكوميين. ومثلاً جاء بختيار يوماً إلىٰ هناك وكان العلماء جالسين فجلس هو علىٰ درجة ومدّ رجليه فقال له المرحوم آية الله البروجردي: اجلس متأدباً في حضور العلماء!

هذه الروح لم تكن موجودة بهذه الصورة لدىٰ السادة الآخرين».

ثمّ تطرق إلىٰ حال أحد السادة وقال: «إنّه يتجنب حتىٰ الشرطي العادي فكيف يمكن أن يفكر بالسيطرة علىٰ الحكومة؟!، ولكن هذه الروح كانت موجودة في آية الله البروجردي ولذلك ضغطت من أجل الاستفادة من قوة نفوذه بهدف إقامة الحكم الإسلامي، وإسقاط الحكومة أو السيطرة عليها علىٰ الأقل»[١].

طريقة استلامي الراتب من السيد البروجردي

كان السيد البروجردي يقدم مساعدات لأساتذة الحوزة، وكان الإمام أيضاً يستلمُ منها شيئاً وقد قال لي بصراحة عنها مجيباً علىٰ سؤالي بشأنها: «إن طريقة استلامي هذه الأموال منه كانت علىٰ هذا النحو: كان السيد الحاج محمد حسين المدير الأول في بيت السيد البروجردي، يأتي إلىٰ بيتنا مرتين في العام ويقدم لي ظرفاً فيه مال من طرف السيد».

ثم حان الوقت الذي بدأ الإمام بدفع رواتب الحوزة بنفسه، ولم يكن يقتصر علىٰ دفع الرواتب لحوزة قم بل كان يقدم المساعدات والرواتب لحوزات النجف وباكستان وأفغانستان والإمارات ومناطق أخرىٰ كثيرة[٢].

---

(١) آية الله الشيخ فضل الله المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

(٢) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ٥٥.

يحضر درس السيد احتراماً له

كان الإمام يحضر دروس آية الله البروجردي فقد كنت أراه في المدرسة عصراً، وأعتقد أنّه لم يكن حضوره لحاجته لهذه الدروس بل كان حضوره بهدف التعبير عن احترامه للسيد البروجردي[١].

ويرافقه إلىٰ باب منزله إكراماً له

كان الإمام يحضر ـ لعدة سنين ـ دروس الفقه والأصول التي كان يلقيها آية الله البروجردي وكان يبدي من الاحترام له أكثر من المألوف بين التلميذ وأستاذه، وكان يرافقه إلىٰ باب منزله إذا ذهب إليه مشياً[٢].

يصطحب تلامذته لحضور درس السيد البروجردي

كان الإمام يصطحب تلامذته بعد انتهاء إلقاء درسه عليهم ويذهب معهم لحضور درس المرجع الأكبر للشيعة آية الله البروجردي رغم أن عدد الذين كانوا يحضرون دروس الإمام في الفقه والأصول يومذاك يتراوح بين (٤٠٠ ـ ٥٠٠) طالب[٣].

ويحضر دروسه رغم غناه عنها

كان الإمام يحضر دروس البحث الخارج في الأصول التي كان يلقيها السيد البروجردي رغم أنّه كان يومها فقيهاً وأصولياً مرموقاً وغنياً عن حضور دروس الآخرين، لكنه كان يحضر دروس السيد البروجردي ويجلس في زاوية بين طلبته احتراماً له وتقوية لمكانته، وكان ذلك منه

---

(١) آية الله الشيخ فضل الله المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي بناه الاشتهاردي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٤٣ـ٤٤.

(٣) آية الله محمد واعظ زاده الخراساني، مجلة (آينده سازان)، العدد: ١٨٢.

في وقت كنا ـ نحن طلبة الحوزة ـ نرىٰ أن الإمام وآية الله البروجردي في منزلةٍ علمية واحدة[1].

كان هدفه تقوية المرجعية

جاء آية الله البروجردي إلىٰ قم بعد وفاة المرحوم الشيخ الحائري، فكان الإمام ـ ورغم أنّه كان في منزلةٍ علمية مرموقة ـ يحضر دروس السيد البروجردي بهدف تقويته وكان يقول: «إنني استفدتُ كثيراً من دروس السيد البروجردي»[2].

واجبي اليوم هو التدريس لا غير

أتذكّرُ أن أحد الأصدقاء إسمه الشيخ أسد الله نور اللهي طلب من الإمام في مجلس درسه أن يتدخل في قضية انتخابات مجلس الشورىٰ الوطني التي كانت حُماها قد تصاعدت في سنة ١٣٣٠ هـ. ش، [١٩٥١م] في عهد مرجعية السيد البروجردي، وكان التنافس يومها شديداً بين مؤيدي مصدق وبين مؤيدي الشاه، ولكن أيّاً من المرشحين لعضوية المجلس لم يكن يحظىٰ بتأييد من فضلاء الحوزة، ولذلك طلب صديقنا المذكور من الإمام في مجلس درسه أن يتدخل ويرشح مؤمنين ملتزمين للإنتخابات عموماً أو لتمثيل قم علىٰ الأقل، ولكن الإمام اعتذر عن الاستجابة لهذا الطلب، وقال: «إن واجبي اليوم هو التدريس فقط»[3].

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدزاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:٥٧.

(٢) آية الله السيد مرتضىٰ بسنديده، (شقيق الإمام الأكبر)، كتاب (خطوات في أثر الإمام)، ج:١، ص:٢٩.

(٣) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة حوزة، العدد:٣٢.

والنصيحة لأئمة المسلمين

لقد شاهدنا من الإمام التزاماً بصمت عظيم في عهد زعامة آية الله البروجردي استمر من يوم وصوله إلىٰ قم إلىٰ يوم وفاته في شهر شوال سنة ١٣٨٠هـ.ق، فلم يتدخل الإمام مباشرة طوال هذه المدة في الشؤون السياسية وانصب علىٰ التدريس والتأليف والاجتهاد في تهذيب النفوس والنصحية للمراجع وبالخصوص المرجع الأكبر المرحوم السيد البروجردي، رغم أنّه كان من المتوقع منه وهو مؤلف كتاب «كشف الأسرار» أن يواصل جهوده لتجسيد تلك الأراء السياسية التي عرضها في ذلك الكتاب خاصة مع وجود بعض الفرجة في الأجواء السياسية يومذاك، ولكن الإمام لم يقم يومها سوىٰ بالتأليف وتربية الطلبة والتزام الصمت!

فما الذي حدث وأدىٰ إلىٰ غياب صرخاته الساحقة تلك وحلول صمت كامل محلها بمجرد دخول المرحوم السيد البروجردي إلىٰ قم؟! إن السر يكمن في أن الإمام رجلٌ ربانيٌّ تدورُ جميع حركاته وسكناته وكلامه وصمته حول محور القيام بالواجب الشرعي، فلم يكن واجبه ـ في ظل الزعامة العامة للمرحوم البروجردي ـ سوىٰ «النصيحة لأئمة المسلمين»، ولذلك اكتفى في ذلك العهد بالبحث العلمي والنشاطات التربوية، فالتزامه الصمت في عهد المرحوم البروجردي هو كالتزام الإمام علي عليه السلام الصمت في عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله[1].

إختار العزلة تجنباً للتحزب مقابل المرجع المطلق

تجنباً للتحزب في مقابل المرجع الأعلم والمطلق في تلك الأيام اختار الإمام العزلة وملازمة البيت في معظم أوقاته، حتىٰ دروسه كان

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

يلقيها في بيته الذي لم يكن يخرج منه سوىٰ لزيارة الحرم الطاهر للسيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام]، أو الذهاب لصلاتي المغرب والعشاء في الحرم المطهر والحجرة التي فيها قبر آية الله الشهيد الشيخ فضل الله النوري أو للإشتراك في مجلس العزاء الذي كان يقيمه آية الله البروجردي أو لزيارة السيد البروجردي أحياناً[(١)].

شبيه بالمعجزة

قال الإمام مراراً عن آية الله البروجردي: «إن ما يشبه الكرامة والمعجزة أن يدير شيخ كبير بهذه الصورة الجيدة الحوزة العلمية بل العالم الشيعي»[(٢)]!

لا يجلس بالقرب من السيد البروجردي

كنت أشاهد الإمام يجلس بكل أدب وتواضع بين الطبقة المتوسطة من طلبة الحوزة بعيداً عن محل جلوس آية الله العظمىٰ البروجردي في مجلس العزاء الذي كان يقيمه في منزله السيد البروجردي بمناسبة أيام الفاطمية من سنة ١٣٣٢ هـ. ش، [١٩٥٣م]، وكان المرحوم التربتي يرتقي المنبر في هذا المجلس.

كنت أشاهد الإمام طوال هذه الأيام التي كنت أحضر فيها مجلس العزاء المذكور، وهو يجلس متر عاً بكل أدب يصغي لما يقوله خطيب المجلس ويبقىٰ علىٰ هذه الحالة مُنذ بداية المجلس إلىٰ نهايته، وكنت أتعجّب من عدم جلوسه بالقرب من المرحوم البروجردي وجلوسه بكل تواضع كمستمع عادي بين الطلبة الشباب غير المعروفين رغم ما كان

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، ص: ١٠١.

(٢) آية الله الشيخ حسين المظاهري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ١٦٠.

يتمتع به في الحوزة من مكانة مرموقة وقدسية معروفة(١).

ادعوه إلى هنا حفظاً له من المزيد من الانحراف

أراد النظام البهلوي ـ في عهد مرجعية المرحوم السيد البروجردي ـ تشكيل مجلس «المؤسسين» [الأعيان]، وكان بحاجة لأن يكون أحد أعضائِهِ من رجال الدين، فوجه دعوة لأحد الخطباء في قم إسمه السيد البرقعي لعضوية هذا المجلس، ولم يقلْ السيد البروجردي شيئاً له بهذا الخصوص، فذهب الرجل إلىٰ طهران وأجريت معه مقابلة إذاعية قال فيها: إنني ممثل لرجال الدين وقد جئتُ من قم ولدي ذكريات لا تنسىٰ عن لقائي بالملك والملكة!!

وأشيرُ هنا إلىٰ أن الإمام كان يدعو السيد البرقعي ـ عندما يقيم مجلساً لعزاء ـ لكي يرتقي المنبر كآخر خطباء التعزية في المجلس، ولذلك قلت للإمام: لماذا تدعون يا سيدي هذا السيد إلى صعود المنبر في مجلسكم وهو يتعاون مع السلطة؟! إن هذا الأمر يؤذي الأهالي، فأجابني الإمام: «إنني أدعوه للخطابة هنا حفظاً له من المزيد من الانحراف! إذا لم ندعه نحن فسيتوجه نحو السلطة الحاكمة [ويقع في أحضانها]».

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحجتي، عدد صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني. ويبدو أن سبب اجتناب الإمام الجلوس بالقرب من السيد البروجردي يرجع ـ إضافة إلىٰ تواضعه المعروف ـ إلىٰ حرصه علىٰ أن يكون ما قام به من جهود مكثفة لإقناع السيد البروجردي بالانتقال إلىٰ قم ودعمه لمرجعيته العامة، خالصاً لوجه الله تبارك وتعالىٰ لا يرجو من سواه تعالىٰ جزاءً ولا شكوراً، ودون أن يكون لما قام به تأثيرٌ في الفوز بحظوةٍ خاصة لدىٰ السيد البروجردي، واجتناب أي شبهة في هذا المجال. يُضاف إلىٰ ذلك عدم رغبته في السمعة والظهور كشخصية بارزة إلىٰ جانب السيد البروجردي. [المترجم]

ثم نقل لي الإمام فيما بعد هذه الحادثة قال: «عندما سمعتُ كلامه عبر المذياع كنت أرقد في البيت لإصابتي بمرض «حمىٰ مالطا»، ورغم ذلك استدعيته وقلت له: ما هذا الكلام الذي قلته عبر الإذاعة؟! فأنكره وقال: إنني لم أقل بأنني ممثل لرجال الدين في قم، بل قلت: إنني أحدُ رجال الدين في قم (ولم يكن إنكاره صحيحاً)». ثم إن الإمام قال له: «إن لم تكن قد قلت ذلك فعليك أن ترتقي المنبر في المسجد الأعظم وتقول: إنني لم أقل: أنا ممثلٌ لرجال الدين في قم، بل قلتُ: أنا أحد رجال الدين. أما إذا لم تفعل فإنني سأرتقي بنفسي المنبر في المسجد الأعظم وأقولُ ما أريدُ قوله»!!

ثم قال الإمام: «لقد إضطر الرجل بالتالي إلىٰ أن يرتقي المنبر في المسجد الأعظم وينكر ذلك القول، وهذا الأمر أدىٰ إلىٰ أن لا يكون اعتماده علىٰ السلطة الحاكمة»، وقال الإمام أيضاً: «لقد أبقيته في مجلسي لكي لا يخطب في مجالس أخرىٰ ويتفوه بكلام تأييدي للشاه»[1].

يقدم النصائح للمرجعية بشأن القضايا الحساسة

كانت تُلاحظ مُنذ البداية خصوصيات في الإمام لم تكن موجودة في غيره من العلماء، فمثلاً شارك ـ في عهد مرجعية السيد البروجردي ـ ثلاثة أشخاص من إيران في مؤتمر فيّنا، وأحد هؤلاء الثلاثة كان من رجال الدين إسمه السيد علي أكبر البرقعي، وقد استغل أعضاء حزب «توده» [الحزب الشيوعي الإيراني]، مجيء البرقعي إلىٰ قم وخرجوا في مظاهرات ضد الإسلام وعلمائِهِ والإسلاميين، فاختار السيد البروجردي الإمام ممثلاً عنه لحل هذه المشكلة في قم، فأشار الإمام بلزوم نفي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مرتضىٰ الصادقي الطهراني، أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

السيد البرقعي عن قم، وقد تم نفيه بالفعل إلىٰ مدينة «يزد». ولم يكن الإمام يبدي رأيه في القضايا المختلفة في عهد مرجعية السيد البروجردي لكنه كان يقدم له النصائح في القضايا الحساسة[1].

إذا وافق السيد روح الله فهو الأفضل

قبل انتفاضة (١٥) خرداد، كان آية الله العظمىٰ السيد البروجردي يقول لتجار سوق طهران كلما راجعوه طالبين أن يعين لهم إماماً لجماعة مسجد السوق: إذا وافق سماحة السيد روح الله تولي مهمة إمامة هذا المسجد فهو الأفضل، لكنهم عندما كانوا يراجعون الإمام في ذلك كان يرفض ويقول: «أريدُ أن أبقىٰ طالباً للعلم أدرس وأُدرّس»[2].

ثقة المرجعية بالإمام

كان آية الله البروجردي يحترمُ الإمام كثيراً، مثلما أن الإمام كان يحترمه كثيراً، كان السيد البروجردي يحب الإمام كثيراً ويكلفه بالمهمات الحساسة، فمثلاً أرسله عند وقوع حادثة مشهد إلىٰ هذه المدينة كممثل عنه وبصلاحيات كاملة في مهمة لحل المشكلة استغرقت شهرين، كما أرسله أيضاً في مهمة مماثلة إلىٰ مدينة نهاوند لحل مشكلة وقعت فيها[3].

هذا الشخص لا يصلح سكرتيراً لي

أمرَ آية الله البروجردي مرةً بالعثور علىٰ سكرتير له يكون معمماً وحسن الخط، وقد وجدوا ما طلب بعد بحثٍ طويل وعرّفوه له فقال:

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي إمام الجمراني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٢٣٩.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام)، المصدر السابق، ج:١، ص:١٠٨.

(٣) آية الله السيد محمد باقر السلطاني الطباطبائي، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج:٤٣ ـ ٤٤.

يأتِ إلى هنا لكي أراه عن قرب، فحضر يوماً مجلس السيد البروجردي وكان الإمام حاضراً عنده فجلس هذا الشخص في مكانٍ أعلىٰ من الإمام، ولما ذهب قال السيد البروجردي: لا أريدُ استخدام هذا الشخص، وعندما سألوه عن السبب قال: إنّ مَنْ يجلس أعلىٰ من سماحة السيد روح الله لا يصلح سكرتيراً لي[1].

إستشارة السيد البروجردي للإمام

يقولُ حجة الإسلام والمسلمين السيد عبّاس المهري: كنت يوماً عند المرحوم آية الله البروجردي عندما جاء للقائِهِ ممثلٌ للحكومة وطلب الحصول علىٰ موافقته علىٰ قرار كانت الحكومة في صدد تنفيذه: فقال آية الله البروجردي: سأبلغ الحكومة جوابي بعد إجراء المشاورات اللازمة مع بعض العلماء.

تساءلت ـ في نفسي ـ: أي علماء قم سيستشيره السيد البروجردي في أمثال هذه القضايا؟ ولم يطل انتظاري كثيراً فقد رأيتُ بعد فترة وجيزة الإمام الخميني يدخل إثر استدعاء السيد البروجردي له، ثم دخلا في غرفة خاصة لتبادل الآراء والتشاور في خلوة، بهذا الشأن، وبعد ساعة بعث المرحوم البروجردي برسالةٍ للحكومة تضمنت موقفه من طلبها.

وإضافة إلىٰ استشارة السيد البروجردي للإمام في القضايا السياسية المهمة، كان يدعوه أحياناً للإشتراك في مباحثاته التي كان يجريها أحياناً مع المسؤولين الحكوميين، أو كان يوكله ممثلاً عنه للتفاوض مباشرة مع ممثل الحكومة أو مسؤوليها[2].

---

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مقابلة إذاعية.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج:١، ص:١٠١.

التزم الصمت ابتغاءَ لرضا الله

ينقل أحد الأصدقاء الحادثة التالية، يقول: تحدثت للإمام يوماً عن بعض النقائص والأخطاء فقال لي: «إن حامل الراية اليوم هو آية الله العظمىٰ البروجردي، فلا يجب علينا التصدي لشيء في هذه الأوضاع».

لقد التزم الإمام الصمت في عهد مرجعية المرحوم آية الله البروجردي ابتغاءً لرضا الله، ثم قال بعد وفاته: «لقد وقعت المسؤولية الآن علىٰ عواتقنا، فلا يجوز لنا السكوت، يجب أن نتكلم وأن تعلو صرختنا وأن نوعّي الناس علىٰ حقائق الأمور»(١).

إهتمامه بمركزية الموقف الحوزوي

لم يكن الإمام يتدخل أبداً في شؤون الحوزة في عهد مرجعية السيد البروجردي، وكان يقول: «للحوزة رئيس يجب الرجوع إليه». وأتذكّرُ أن عدد من الأصدقاء زاروا الإمام عندما ضرب رئيس شرطة قم أحد فضلاء حوزة قم وعلمائها هو الشيخ حسن الطهراني، ولما أخبروه بالحادثة قال لهم: «للحوزة رئيس، فراجعوه وأخبروه بما جرىٰ». ولم نفهم يومها سر موقف الإمام وكنا نتساءل باستمرار: لماذا لم يتدخل الإمام في هذه القضية؟ لكننا اليوم ـ وبعد مضي كل هذه السنين ـ أدركنا مغزىٰ قول الإمام(٢).

لو أذِنَ لي السيد البروجردي

بدأ الخطيب الشهير الشيخ الفلسفي في سنةِ ١٣٣٤ هـ. ش،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضىٰ الصادقي الطهراني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٣٢٨.

(٢) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، المصدر السابق، ج:٣، ص:٢٨٦.

[١٩٥٥] جهوداً في مكافحة حركة «البهائية» بدعم من المرحوم آية الله العظمىٰ البروجردي، وكان النظام البهلوي يدعم هٰذه الجهود ظاهرياً في بدايتها ولكن موقف الشاه انقلب لاحقاً بالكامل وأهان مرجعية الشيعة وعلماء طهران الكبار، وقد آذىٰ ذلك فضلاء الحوزة كثيراً وأصابهم جميعاً بحالةٍ من الحيرة، فلجأنا إلىٰ الإمام وعرضنا ـ أنا وعدد من الأخوة ـ الأمر عليه فقال: «لو أذِن لي السيد البروجردي لأثرت إيران كلها ضد الشاه في يومٍ واحد»(١).

غيرته علىٰ كرامة المرجعية والعلماء

تحدث الشيخ الفلسفي في شهر رمضان إحدىٰ السنين أيّام مرجعية السيد البروجردي عن فتنةِ البهائيين، وكان السيد البروجردي قد قدم توجيهات للحكومة بهذا الشأن أيضاً، لكن الذي حدث هو العكس من المطلوب، فقد تجاهل نظام الشاه مطالب السيد البروجردي وعلماء طهران، الأمر الذي آذىٰ كثيراً المؤمنين لما يعبّر عنه من تعامل غير مناسب مع السيد البروجردي وبشأن موضوع يرتبط بالبهائيين، وكان هذا الموقف الحكومي السلبي يرتبط بزيارة. قام بها الشاه لمدينة قم وكان السيد البروجردي غائباً عنها، وكان المعتاد في تلك الأيام أن يلتقي عندما يزور قم بالمراجع في الحرم [حرم السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام]، وعندما عرف الشاه بغيبة السيد البروجردي، سأل: أين السيد البروجردي؟ فقالوا: لقد ذهب سماحته إلىٰ منطقة «كهكيلوية». وقد اتضح فيما بعد أن موقف الشاه جاء انتقاماً لهذه الحادثة ورداً علىٰ ذهاب السيد البروجردي إلىٰ تلك المنطقة تزامناً مع زيارة الشاه لمدنية قم.

---

(١) آية الله الشيخ محمد اليزدي، مجلة حوزة، العدد:٤٩.

وقد ذهبنا في تلك الأيام إلىٰ الإمام وتحدثنا معه عن الأمر وقلنا له: لقد تعاملت يا سيدي الحكومة مع آية الله البروجردي بهذه الصورة وأساءت لكرامة ومكانة علماء الدين، فأجابنا: «لو أذِنَ لي السيد البروجردي الآن لأثرتُ إيران كلها ضد الحكومة في يومٍ واحد»[1].

دفاعه عن المرجعية دفاع عن الإسلام

كان الإمام يؤكد ـ وبصورة مشددة وملحة ـ علىٰ المرحوم آية الله البروجردي أن: «لا تذهبوا للقاء الشاه، يجب علىٰ الشاه أن يأتي إلىٰ بيتكم بنفسه للقائكم». ومما لا شك فيه أن هذا الموقف كان قد طرق أسماع الشاه في تلك الأيام.

وبعد أن وعد الشاه السيد البروجردي بقمع حركة البهائية، قال له: تحدّثوا أنتم عن هذه القضية [البهائية] للناس لكي يكون لدينا مستمسكاً [شرعياً] نتخذ الاجراءات اللازمة علىٰ أساسه. وفي غضون ذلك تناقلوا أحاديث تقول إن الأميركان اعترضوا علىٰ الشاه بشأن مكافحة البهائية فتراجع عن ذلك رغم ما وعد به السيد البروجردي من مكافحتها الأمر الذي آذىٰ السيد وقال عندها: لن أبقىٰ في قم بعد الذي جرىٰ. وإثر ذلك عُقد اجتماع ضمَّ الطبقة الأولىٰ من فضلاء الحوزة يومذاك ـ وهم اليوم مراجع التقليد ـ، وقد اشترك الإمام في هذا الاجتماع، وقال: «يجب اتخاذ الإجراءات اللازمة، فالقضية لا تنحصر بأية الله البروجردي، بل إن الإسلام في خطر، إذا لم يعد لكلام سماحته قيمة فلن يبقىٰ من الإسلام شيء، لذلك يجب متابعة الأمر بكل جدية».

وقد كتب الإمام حينها رسالة احتجاجية لكي يتم إرسالها، ولكن بعض الحاضرين امتنعوا عن توقيعها فغضب الإمام ومزقها وقال: «إذا

---

(١) آية الله الشيخ أحمد الآذري القمي، مجلة (ياد)، السنة الأولىٰ، العدد الرابع، ص: ٣٢.

أبادونا أنا وأنت، فليكن ذلك ولا ضير منه، ولكن إنكسار مرجع للتقليد مثل آية الله البروجردي تعني إبادة الإسلام». لقد عرف نظام الشاه طبيعة شخصية الإمام من أمثال هذه المواقف[١].

يزور السيد البروجردي عدة مرات لمواجهة خطر البهائية

قام نظام الشاه ـ في عهد مرجعية المرحوم آية الله البروجردي ـ بضرب الإسلام من خلال دعم عملاء البهائية المنحرفين وتعينهم في أعلىٰ المناصب الحكومية، وقد زار الإمام حينذاك آية الله البروجردي عدة مرات من أجل مواصلة مكافحة البهائية وإخراجهم من الأجهزة والمنظمات الحكومية، وكان يهيأه في كل مرة لمتابعة مكافحتهم لكن السيد ـ رحمه الله ـ كان يبرد في كل مرة بعد حين الأمر الذي أدىٰ إلىٰ عرقلة القيام بهذه المهمة[٢].

الزعامة هي للسيد البروجردي

في سنة ١٣٣٤ هـ. ش، [١٩٥٥م]، تحدث الشيخ الفلسفي عن فتنة البهائية، وقد كتب السيد البروجردي أيضاً رسالة تأييدية له بهذا الشأن وقد قرأها عبر الإذاعة، لكن السيد اضطر فيما بعد إلىٰ عدم متابعة هذه القضية. يقول الإمام: «كنت أُعدُ السيد (البروجردي) كل يوم لمتابعة الأمر وطرد البهائيين من الأجهزة والدوائر الحكومية، لكنني عندما كنت أذهب في اليوم التالي كنت أجده وقد برد عنها مرةً أخرىٰ».

ولذلك لم يكن الإمام يتدخل بعد ذلك في الشؤون السياسية لأنّه كان يعتقد أن الزعامة هي للسيد البروجردي[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد سروش المحلاتي، لحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) السيد محمد حسن الرجبى، كتاب (الحياة السياسية للإمام الخميني)، ص:٢٢٣.

(٣) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٠٦.

تحرك بنفسه للحيلولة دون إعدام «فدائي الإسلام»

من الحوادث التي شهدها عهد مرجعية آية الله البروجردي إعتقال ومحاكمة أعضاء منظمة «فدائي الإسلام» في شهر آذرماه سنة ١٣٣٤هـ. ش، [ديسمبر١٩٥٥م]، ورغم أن الشواهد والقرائن كانت تشير إلىٰ أنّهم سيُعرضون للإعدام، لكن آية الله البروجردي كان يظنُّ أن الحكومة ستكتفي بمحاكمتهم، لذلك لم يقم باتخاذ أي إجراءٍ لتخفيف أحكام المحكمة. أمّا الإمام فكان يعتقد أن حفظ مرجعية آية الله البروجردي واجب شرعاً، ولذلك كان يعارض المواقف الانتقادية ـ والعنيفة أحياناً ـ التي كان يتخذها أعضاء منظمة «فدائي الإسلام» تجاه آية الله البروجردي وكذلك آية الله الكاشاني فيما بعد: لكنه لم يكن يرىٰ ـ في الوقت نفسه ـ أنّ من الجائز السكوت تجاه إعدامهم، ولذلك قام بعدة تحركات بنفسه للحيلولةِ دون إعدامهم. لقد كتب ـ انطلاقاً من واجبه الشرعي ـ رسائل مستقلة إلىٰ ثلاثة من الشخصيات لاسياسية كانوا يحظون بنفوذ ووجاهة أكثر من غيرهم هم: قائمقام رفيع، البهبهاني، صدر الأشراف، وطلب منهم ـ بعد مقدمة مدعمة بالأدلة ـ أن يتحركوا للحيلولة دون إعدام أعضاء منظمة «فدائي الإسلام»[١].

حفظ حرمة واحترام مرجع العصر

زار الإمام بيت آية الله البروجردي ـ رحمة الله عليه ـ لكي يتخذ السيد موقفاً تجاه إعدام المرحوم الشهيد نواب الصفوي في اويام التي تلت محاكمته ـ. وقد أصاب الأذىٰ يومها الإمام وإلىٰ درجة كبيرة جعلته ينزع عمامته وبضرب بها الأرض وهو يقول للسيد البروجردي: «دافعوا عن هذا السيد يا سيدي، إنّهم عازمون علىٰ إعدامه».

---

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة (كيهان فرهنكي)، العدد:٣.

آية الله البروجردي لم يستطع منع إعدام المرحوم نواب الصفوي لعقباتٍ معينة كان يراها فارتكب الشاه الخائن جريمة قتل هذا السيد المظلوم، ولو كان الإمام قد خرج في تلك الأيام معترضاً علىٰ ذلك لكان قد ارتكب بفعله هذا ما يخالف الشرع، لأنّهم وإن كانوا يعزمون علىٰ إعدام السيد نواب ولكن حفظ حرمة واحترام آية الله البروجردي ـ وهو الفقيه العادل ومرجع التقليد العام في ذلك الوقت ـ كان أهم من حفظ حياة السيد نواب، كان يريد تقويته حفظاً لحكم الله[1].

ينبغي أن يستشهد عالم الدين وهو يرتدي زيه المقدس

تأذىٰ الإمام من المرحوم السيد البروجردي والمراجع الآخرين بسبب عدم اتخاذهم موقفاً حازماً وقوياً تجاه حكم الشاه فيما يرتبط بقضية إعدام الشيهد نواب الصفوي وأعضاء منظمة فدائي الإسلامي، وبالتالي عدم إنقاذهم لهؤلاء من الإعدام، لقد أصيب الإمام بضربة نفسية قوية بسبب هذه القضية. في تلك الأوضاع كان المتحجرون يعتبرون معارضة الشاه عاراً، ولذلك طلبوا خلع الزي العلمائي الحوزوي قبل إعدام رجل الدين لكي لا يكون في إعدامه إهانة لمكانته كرجل دين! ولكن رأي الإمام كان علىٰ العكس تماماً، كان يعتقد أنّه ينبغي أن يستشهد رجل الدين وهو يرتدي الزي العلمائي المقدس لكي يكون في ذلك توعية للناس وتعريف لهم بحقيقةِ أن علماء الدين حاضرون في ميادين المواجهة[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا فاكر اليزدي، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٨١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (حضور)، العدد الأول.

ما شأنكم بي؟ أريد متابعة دراستي!

لم يكن الإمام يتخذ أي موقف سياسي مستقل وعلني في عهد مرجعية آية الله البروجردي، لأنّه كان يرىٰ ذلك خلافاً للمصلحة الإسلامية، كان يذهب في ذلك العهد إلىٰ بيت آية الله البروجردي الذي كان يستشيره بشأن القضايا المهمة، بل وقد جعله وكيلاً عنه في قم عندما سافر [السيد البروجردي] إلىٰ مشهد للزيارة. ولكن هذه العلاقة انقطعت فيما بعد وأعرض الإمام عن التدخل في أعمال آية البروجردي وكان لا يبدي رأياً علنياً في أي أمر ويقول: «لا فائدة من ذلك فإنني أعرّض به نفسي للإتهام»، بل وكان يرفض حتىٰ التصدّي لإمامة الجماعة، فقد كتبنا رسالة مشتركة علىٰ شكل «طومار» وقعناه وعزمنا علىٰ إرساله لآية الله البروجردي وقد خاطبناه فيه قائلين: بملاحظة أن سماحتكم لا تستطيعون الحضور لإمامة صلاة الجماعة، لذا تفضلوا بإصدار أمر بأن يحضر آية الله الخميني لإمامة الصلاة، فإن طلبة الحوزة يرغبون في الصلاة خلف سماحته. وقد استدعاني الإمام وقال لي: «لا تسلموا هذا الطومار، ما شأنكم بي؟! أريد متابعة دراستي، إنني طالب علم»[1].

مواجهة المرجع المسؤول عن الحوزة أمرٌ خطيرٌ

سمعنا في سنة ١٣٣٨ هـ. ش، [١٩٥٧م] أن بعضهم قالوا للمرحوم آية الله البروجردي: إن المرحوم العلامة الطباطبائي يوجه بتدريسه الموسع والعام للحكمة والفلسفة ضربة للحوزة العلمية، لأنّ الحوزة تقومُ علىٰ أساس تدريس ونشر العلوم الدينية من الفقه والأصول والحديث. وكان للعلامة الطباطبائي يومذاك دروساً أخرىٰ في التفسير كان يلقيها في

(١) آية الله الشهيد الشيخ فضل الله المحلاتي، مجلة(١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

مدرسة الحجتية وأحياناً في مسجد السلماسي، وهذه الدروس شكلت أساس تأليفه لتفسيره الكبير «الميزان»، وكان يتابع دروسه في التفسير إلىٰ جانب طبع ونشر ما كان يتم تأليفه من أجزائِهِ، وكنت أنا أيضاً أحضر ـ مثل الكثيرين ـ دروسه في الحكمة وكذلك في التفسير في الوقت نفسهـ.

وعندما وصلت حملة الاتهامات ضد المرحوم العلامة الطباطبائي إلىٰ منعطفات خطيرة قررنا ـ أنا وعدد من السادة ـ أن نقومَ بتحرك للدفاع عن العلامة الطباطبائي ومنع وقوع الخطر المحدق به، إذْ كنا نخشىٰ أن يقول آية الله البروجردي شيئاً يتذرع به المغرضون ويروجوه لتشديد الضغط علىٰ العلامة الطباطبائي، لكننا لم نكن نعرف ما الذي يمكننا القيام به، ومن أين نبدأ التحرك، ثم قررنا في النهاية أن نذهب للإمام ونطلب منه حلاً للمشكلة، فقد كان فقيهاً مصلحاً وأيضاً حكيماً واستاذاً كبيراً للفلسفة، ورغم أننا سمعنا أنّه مريض ومصاب بزكام حادٍ لكننا قررنا الذهاب إليه، لأنّه لم يكن أمامنا خيارٌ آخر والأوضاع كانت حساسة للغاية.

ذهبنا إليه ـ برفقةِ إثنين أو ثلاثة من فضلاء الحوزة ـ في إحدىٰ تلك الليالي، ولما دخلنا عليه وجدناه ـ كما هو المعتاد ـ منهمكاً بكتابة الدروس التي كان يلقيها في تلك الأيام، وكان كعادته يكتبها بقلمِ القصب والدواة القديمة بخطه الجميل المعروف، سلّمنا عليه وجلسنا، ولم أتمّ كتابة السطر الأخير علىٰ الورقة الصفراء المصقولة ـ علىٰ طريقةِ القدماء ـ وضع القلم في محله مع الدواة، ثم سألنا عن أحوالنا وانتظر أن نخبره عن سبب زيارتنا له، فقال أحدنا: إن سماحتكم كنتم من أساتذة الفلسفة في الحوزة العلمية. وتدريس الفلسفة اليوم أكثر ضرورة ولزوماً من أي وقت مضىٰ بسبب انتشار التيارات المادية وترويج الأفكار الإلحادية، والسيد الطباطبائي هو اليوم طليعة الأساتذة الذين يدرسون الفلسفة في الحوزة،

وقد سمعنا بافتعال أجواء مضادة له عند آية الله البروجردي ومن المحتمل أن يتخذ موقفاً شديداً ضده يؤدي إلىٰ الإضرار به ـ.

وملخص الأمر إننا طلبنا منه أن يلتقي ـ بأي صورة ـ آية الله البروجردي عسىٰ أن ينبهه إلىٰ أغراض بعض حاشيته أو السذج، لكن الإمام قال: «لا يمكن التحدث مع السيد البروجردي بشيء فيما يرتبط بهذا الموضوع»، ولما ألح أحد الأصدقاء في هذا الطلب، قال الإمام بانفعال: «وما الذي أستطيع القيام به؟ يوجد في منزل السيد البروجردي أشخاص يمنعون القيام بأي عمل يخدمُ الإسلام...». ثم أضاف بعد صمت استمر لحظات: «إن السيد البروجردي نفسه من أهل العلوم العقلية، فهو شخصيا ليس ضد الفلسفة. عندما كان في بروجرد كان يدرس الفلسفة إلىٰ جانب تدريس البحث الخارج في الفقه والأصول، ولمّا وصل خبر ذلك إلىٰ قم، هبّ عدد من المقدسين وذهبوا إلىٰ بروجرد وقاموا بما من شأنه إجباره علىٰ التوقف عن تدريس الفلسفة لكي لا ينتقل ذلك إلىٰ الحوزة العلمية في قم ويصل الأمر إلىٰ منعطف حساس، فترك السيد تدريس الفلسفة خشية من أجواء الضجيج التي يثيرها هؤلاء المقدسون».

ثمّ قال الإمام: «إن السيد الطباطبائي، رجل جليل، ويجب حفظ حرمته مع ما هو عليه من مقام علمي رفيع، لكنني سمعت أن الكثيرين يحضرون هذه الأيام دروسه في الفلسفة». قلت: هذا صحيح، العدد كثير، قال: «كم هو تقريباً؟». قلت: إنه يدرس صباحاً كتاب الأسفار في مسجد السلماسي وأنا أحضر درسه هذا، وعدد الذين يحضرونه ما بين (٢٠٠ ـ ٣٠٠) طالب. فقال: «سمعتُ أن الشيخ حسين علي[1] يقوم

---

(١) يعني آية الله المنتظري.

بتدريس الحكمة في مسجد الإمام [العسكري]»، قلت: أجل، إنّه يدرس شرح المنظومة[1]، وأنا أحضر درسه أيضاً، وله حدود (١٥٠) تلميذاً يدرسون الفلسفة عنده.

فالتفت الإمام إلىٰ أحد الفضلاء الحاضرين ـ وكان من معاريف تلامذة الإمام وهو اليوم من أساتذة البحث الخارج في حوزة قم، واستاذٌ للفلسفة ـ، وقال له: «سمعتُ أنك أيضاً تقوم بتدريس الفلسفة!» أجاب هذا العالم الفاضل: صحيح ما سمعتم فسأله: «كم عدد الذين يحضرون درسك؟» أجاب: حدود خمسين شخصاً. وفي هذه اللحظة قال الإمام بأذىٰ: «حسنٌ، لاحظوا، متىٰ شهدت الحوزات العلمية الشيعية هذا العدد من الدارسين للفلسفة؟ هل أنّ هؤلاء جميعاً يفهمون الفلسفة؟!».

ثم قال: «كانت الفلسفة طوال تأريخها بضاعة غير رسمية، ويجب أن تدرس بهذه الصورة غير الرسمية خاصة في الحوزات العلمية، لا أن تقوموا بتدريسها علىٰ هذا النطاق الواسع ولكل شخص وتسمحوا للجميع بحضور دروسها، فهل إن جميع هؤلاء أهلاً لدراستها؟! إنّ الذين يمتلكون الاستعداد لدراسة الفلسفة دون أن ينحرفوا قليلون».

ثم سكت قليلاً، وقال: «عندما كنتُ أقومُ بتدريس الحكمة في صحن حرم السيدة المعصومة ـ سلام الله عليها ـ، اخترتُ لذلك غرفة

(١) يعني شرح منظومة الشيخ المولىٰ هادي السبزواري في الفلسفة والحكمة الإلهية، وهي من المتون الفلسفية التي شاع تدريسها في القرنين الأخيرين في المراحل المتوسطة من تدريس الفلسفة في الحوزات العلمية. والمولىٰ السبزواري من كبار فلاسفة الإسلام في القرن الهجري الثالث عشر ومن أبرز مجددي فلسفة صدر المتألهين الشيرازي، وكان من العلماء الأتقياء والزهاد وتعد حوزته في التدريس من أغنىٰ الحوزات الدينية في القرون الأخيرة وقد تخرج علىٰ يديه الكثير من العلماء الأتقياء، راجع في هذا المجال كتاب «إيران والإسلام، الخدمات المتبادلة» للشهيد الشيخ آية الله المطهري. [المترجم]

للدرس لا تتسع لأكثر من حدود (١٧) شخصاً، وقد تعمدت اختيارها لكي لا يحضر الدرس عددٌ أكبر من هذا العدد، كما كنتُ أطلب من الذي يحضرون الدرس أن يكتبوا ما ألقيه ويأتوني بما كتبوا رغم أنهم كانوا من الخواص والمعروفين، وكنت أقرأ ما يكتبونه فمن وجدته يفهم المباحث سمحت له بمواصلة الحضور وإلاّ قلت لهم: لا ينبغي لكم دراسة الفلسفة لأنّكم لا تقدرون علىٰ استيعاب مباحثها، الأمر الذي يؤدي إلىٰ إيقاعكم وإيقاعي في الزحمات! لأنّكم سوف تقولون: درسنا الفلسفة عند فلان».

ثم قال: «لو كنتُ في مكان السيد البروجردي رئيساً ومسؤولاً عن الحوزة لشعرت بالمسؤولية تجاه تدريس الفلسفة بهذا الاتساع وبهذه الصورة العلنية بالكامل، إن وجود الحوزة هو من أجل دراسة العلوم الدينية من الفقه والأصول والحديث والتفسير، وإلىٰ جانب ذلك يمكن أيضاً لعدد محدود من الطلبة المستعدين دراسة العلوم العقلية خاصة في هذه الأيام[١] مع حفظ الشروط اللازمة ورعاية أوضاع الحوزة ومسؤولية الفقيه المرجع عنها، وذلك لكي تكون دراسة العلوم العقلية مؤيدة لعلومهم الدينية ولكي يتسلحوا بها في مواجهة الأعداء، ولكن لا ينبغي أن تكون دراستها علىٰ هذا النطاق الواسع وبهذه الصورة العلنية ومع إثارة ضجيج طبع ونشر كتب الفلسفة وفي الوسط الحوزوي أيضاً!!».

ثم قال: «لا يمكن الالتقاء بالسيد البروجردي، خاصة من أجل هذه المطالب، لن يسمحوا لكم بعرض آرائكم عليه بالصورة التي تريدونها. أرىٰ أن من الصالح أن يتمارض السيد الطباطبائي بضعة شهور ويعطل

---

(١) يشير إلىٰ شدة الاحتياج يومذاك لدراسة الفلسفة من أجل دفع الشبهات الكثيرة التي كان عناصر نشر ثقافة التغريب يروجونها يومذاك لزعزعة العقائد الدينية بين المسلمين كمقدمة لضرب الإسلام. [المترجم]

تدريس الفلسفة إلىٰ أن تهدأ الأوضاع بعض الشيء، ثم وبعد أن يعاود التدريس يجعل درسه لعدد أقل وفي زاوية معزولة، كما ينبغي أن يقلل الشيخ حسين علي أيضاً من تدريسه الفلسفة. أرىٰ الصلاح في هذا الآن إلىٰ أن تتغير الأوضاع».

ثم قال لتلميذه الفاضل المذكور: «وأنت أيضاً، إمّا أن تترك تدريس الفلسفة أو أن تعطل الدرس بضعة شهور إلىٰ أن تهدأ الأوضاع». ولكن هذا التلميذ ـ وكان جريئاً بطبعه ـ رفض ذلك وقال: أمّا أنا فلن أتوقف عن تدريس الفلسفة وليحدث ما يحدث!.

وكان هذا الرجل يدرس الفلسفة بنفسه، ويحضر أيضاً دروس العلامة الطباطبائي ولذلك قد سيطر عليه بسبب كلا الأمرين، وقد رد عليه الإمام بشيءٍ من الانفعال: «الرأيُ هو ما قلته! لا تدع حماس الشباب يسيطر عليك، لا يمكن مواجهة المرجع المسؤول عن الحوزة، فهذا الأمر خطير، خذ بما أقوله لك»[1]!!

الشخص الذي تدور حوله الآمال

بدأ الإمام بمجاهدة الحكم البهلوي الجائر منذ أيام شبابه، وكان مستشاراً للمرحوم آية الله العظمىٰ البروجردي ـ أيام زعامته المرجعية ـ في القضايا السياسية، وقد قال عنه المرحوم البروجردي مرةً: أنوي أن أسند وأدعم في الفرصة المناسبة شاباً يمكن أن يجري الله علىٰ يديه الخير للإسلام والمسلمين.

ويبدو أن المرحوم آية الله الكاشاني أيضاً كان قد عرف الأفكار والنوايا والروح الثورية للإمام، فقد قال في أحد المجالس: إن الشخص

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ١٠٢.

الوحيد الذي تدور حوله الآمال لإنقاذ الشعب الإيراني هو السيد الخميني[1].

لست مستعداً لسماعِ هذا الانتقاد

روىٰ الشيخ الإشراقي (صهر الإمام)، قال: هممت مرةً أن أنتقد السيد البروجردي فقاطعني الإمام قائلاً بحدةٍ: «لست مستعداً لسماعِ كلمة واحدة فيها طعنٌ لرئيس المسلمين أو عبارة لا تليقُ بمقامه»[2].

لا أسمح بهتك حرمة زعيم المسلمين

كان الإمام يرىٰ أن حفظ مقام آية الله البروجردي واجب شرعاً، يشهد علىٰ ذلك ما نقله لي المرحوم الشيخ الإشراقي، وهو من أصدقائي القدامىٰ، وكنتُ أشترك معه والمرحوم السيد مصطفىٰ الخميني في التباحث العلمي الدراسي؛ يقول ـ رحمه الله ـ: بعيد ارتباطي بالمصاهرة مع عائلة الإمام ذهب الإمام إلى مصيف في همدان أيام الصيف، وكان ذلك في الأيام التي لم تكن علاقته جيدةً ـ في الظاهر ـ مع آية الله البروجردي، فسافرتُ إلىٰ همدان لزيارته، وتصورت أن لا بأس في أن أنتقد آية الله البروجردي أمام الإمام لأنّه متأذٍ منه! لكنني ما إن بدأت بالتحدثِ عنه أقطب الإمام حاجبيه وأطرق برأسه إلىٰ الأرض، ثم رفع رأسه وقال: «أيّها السيد الإشراقي، إنني لا أسمح بهتكِ حرمةِ زعيم المسلمين لأي شخص أياً كان ومهما كان مقامه»[3].

---

(١) مجلة (اعتصام)، العدد: ٣٥.

(٢) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد٤٥.

(٣) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ٥٧.

لا ينبغي الشك في أعلمية السيد وتقواه

كان لأحد طلبة حوزة قم بعض الانتقادات بشأن آية الله البروجردي، وبعد انتهاء الدرس، أخذه الإمام إلىٰ زاوية، وقال له: «لا ينبغي أبداً أن يتطرق الشك إلىٰ أعملية وتقوىٰ السيد البروجردي...»، كان الإمام يتحدث بكل جدية وقد أدركت يومها عمق تجليله لمنزلةِ آية الله البروجردي[1].

يحذر السيد البروجردي من تبعات قراره بعدم حضور مراسم تشييع السيد الخوانساري

أدىٰ وجود بعض الأشخاص في بيت آية الله البروجردي وتأثره رحمه الله بهم إلىٰ أن تضعف علاقة الإمام وعدد من فضلاء الحوزة الواعين ببيت آية الله البروجردي، ولكن ذلك لم يكن يعني التمرد عليه ومعارضته، بل الأمر كان علىٰ العكس فيما يرتبط بالإمام، فقد كان يرىٰ أن حفظ مقام ومنزلة آية الله البروجردي ـ وعلىٰ الرغم من البرود الذي طرأ علىٰ العلاقة بينهما ـ أمرٌ واجبٌ شرعاً، بل وكان يبذل أقصىٰ جهده ـ عندما يقتضي الأمر ـ من أجل توضيح حقائق الأمور للسيد البروجردي وتحذيره من مكائد وتضليلات ومؤامرات المحيطين به، نظير مؤامرتهم التي جعلته يقرر ـ بتأثير من بعض المحيطين به وتحريضهم وتحذيراتهم ـ عدم المشاركة في مراسم التشييع والصلاة علىٰ جثمان آية الله الخوانساري وهو المرجع اليقظ الواعي والمجاهد الذي قضىٰ عمره إلىٰ أيامه الأخيرة في خدمة الحوزات العلمية وفي النشاطات الجهادية ضد الاستعمار، وعندما عرف الإمام بقراره هذا حذره ـ بواسطة أحد أصدقائه وكان مقرّباً من آية الله البروجردي ومعتمداً عنده ـ من تبعاته

---

(١) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، مجلة (نورعلم)، السنة٣، العدد:٧.

وآثاره الأمر الذي جعل آية الله البروجردي يتراجع عنه ويحضر بالتالي للصلاة علىٰ جثمان آية الله الخوانساري[١].

شدة آذاه لوفاة آية الله البروجردي

في أحد الأيام مرض آية الله البروجردي الذي توفي فيه، زرتُ الإمام وكان عنده بعض العلماء، وقد أصابه أذىً شديد لما عرف بمرض آية الله البروجردي وأن أزمة قلبية قد أصابته الليلة الماضية، فقال لي: «هل يمكنكم أن تتحملوا مشقة الذهاب إلىٰ منزل السيد البروجردي ثم الرجوع إليّ بخبرٍ عن صحته؟».

فذهبت إلىٰ بيت السيد وكان في القسم الداخلي منه، لكنني حصلت من قسم البراني علىٰ خبر بشأن طبيعة حالته الصحية ورجعت للإمام وأخبرته بحالهـ. ولمّا توفي ـ رحمه الله ـ أصابت الإمام الحمىٰ وتغيّر حاله بشدة وإلىٰ درجة اضطروا لجلب طبيب لمعالجته، وذلك بسبب شدة آذاه لوفاة آية الله البروجردي[٢].

---

(١) آية الله السيد محمد باقر السلطاني الطباطبائي، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) آية الله السيد محمد باقر السلطاني الطباطبائي، مجلة(أميد انقلاب)، العدد:١٤٨. ومن العبر والدروس المهمة التي يشتمل عليها موقف الإمام من السيد البروجردي بعد البرود الذي طرأ على العلاقة بينهما، فهذا الموقف يكشف عظمة روح الإمام ـ رضوان الله عليه ـ إذْ لم تؤثر عليه عدم استجابة السيد البروجردي لبعض الأمور التي طلبها الإمام منه وكان يرىٰ فيها مصلحة للاسلام ـ مثل قضية إعدم السيد نواب الصفوي، وقضية مواجهة الحكومة في موقفها السلبي من مكافحة فتنة البهائية وغير ذلك، فلم يؤدي ذلك إلىٰ تغيير في موقف الإمام المنطلق من أسس شرعية تحكم بوجوب دعم وحفظ كرامة آية الله البروجردي باعتباره المرجع الأعلىٰ الذي يمثل حصن الإسلام وعصرهن كما لم تؤدّ به إلىٰ رفع راية في مقابل رايته تؤدي إلىٰ تمزيق الموقف الحوزوي والصف الإسلامي، كما لم تؤدّ به إلىٰ السماح للمشاعر الشخصية بدفعه إلىٰ مواقف سلبية تجاه السيد البروجردي، وفي كل ذلك دروس تبين حقيقة ذوبانه في الإرادة الإلهية وقمعه لأي شكل من أشكال التأثر بالأهواء النفسية الخفية منها والجلية وهذه من خصائص الربانيين، ولذلك كان الإمام يؤكد دوماً علىٰ أن الاختلافات والنزاعات من الشيطان ولو أن الأنبياء جميعاً اجتمعوا في عصر واحد لما تنازعوا في شيء. [المترجم].

يبكي بحرقة لوفاة السيد أبو الحسن الاصفهاني

بعد سنة ونصف من انتقال آية الله المرحوم البروجردي إلىٰ قم توفي آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني، وكان ذلك في وقت، لم تكن قد مرّت سوىٰ سنة أو سنتان علىٰ دخولي الحوزة لطلب العلم، وإثر وصول خبر وفاة آية الله الإصفهاني اجتمع طلبة الحوزة وتوجهوا إلىٰ بيت آية الله البروجردي علىٰ شكل موكب عزائي وذلك لتقديم التعازي لسماحته وإعلان خلافته للسيد الإصفهاني بصورة طبيعية، وأتذكر جيداً أننا عندما دخلنا منزل آية الله البروجردي خرج الإمام من داخله وهو يبكي بكاء مَن فقد أفضل أعزائِهِ! لا أنسىٰ هذا المشهد أبداً(١)!

لم يشترك في مراسم تشييع السيد البروجردي

كان الإمام شديد الاعتقاد بشخصية المرحوم آية الله العظمىٰ السيد البروجردي، ولم أرهُ يكتب لغيره لقب «آية الله العظمىٰ»، وقد رأيته يكتب بعيد وفاته هذا اللقب وهو يذكر هذا الفقيد السعيد، كما سمعته في كلام له يقول عنه: «كان السيد البروجردي جداراً عالياً يحمي الإسلام والمسلمين وقد انهار اليوم هذا الجدار».

ورغم هذه المودة التي يكنها له، ورغم أنّه رأىٰ عزة الإسلام في بيته، إلاّ أنّه لم يشترك في مراسم تشييع جثمانه، وذلك تجنباً لتبعات المشاركة في تشييع جثمان مرجع للتقليد عليه، ولأنّه كان من المحتمل أن يقومَ بعض مؤيديه بتحركات للدعاية له كمرجع للتقليد في هذه المراسم وهذا ما لا يناسب الزهاد(٢).

---

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مقابلة إذاعية.

(٢) آية الله الشيخ محمد مهدي الرباني الأملشي، مجلة (بيام انقلاب)، العدد:٧٨.

توقيره لأجلاّء العلماء

كان الإمام يتحلىٰ بحالةٍ عجيبة من الفراسة في معرفة وتقويم الآخرين بدقة، ويتعامل مع كلٍّ منهم بما يتناسب مع مكانته، فمثلاً كان يجلس ـ بعد ساعتين ونصف من صلاة المغرب ـ في قسم البراني من منزله حيث كان يحضر هذه المجالس عادةً طلبة حوزة النجف وعلمائها وفضلائها، كما يحضر أحياناً أشخاصٌ آخرون بهدف زيارته، فكان يكتفي برد السلام لبعضهم، فيما كان يقول لبعضهم الآخر أيضاً: «مساكم الله بالخير» وكان ينحني قليلاً ـ وهو جالس ـ لبعضهم، فيما كان يضع يده علىٰ الأرض علامة علىٰ إرادة القيام لبعض آخر، ويقوم بصورةٍ نصفية لعدد من الأشخاص لبعض ثالث ويقوم دون ذلك لآخرين، كما كان يقوم في بعض الحالات بصورة كاملة لإثنين فقط ويحرص أيضاً علىٰ القيام ثانية لهما ومشايعتهما إلى الباب عند خروجهما، وهما المرحوم آية الله السيد محمد تقي بحر العلوم، وآية الله محمد حسين الدهقاني وكلاهما من أجلاّء علماء حوزة النجف[1].

اتخذ قراراً حازماً لتصعيد المواجهة تأييداً لعلماء طهران

بعد ستة أسابيع من استلامه برقيات المراجع ـ وعلى رأسهم الإمام ـ والتي اشتملت علىٰ احتجاجهم علىٰ «لائحة جمعيات المدن والقرى»، بعث «عَلَم» رئيس الحكومة الإيرانية يومذاك برقيات لثلاثة من مراجع التقليد واستثنىٰ الإمام منهم، وقد أعلن في برقياته عن موافقته على مطالبهم بإلغاء تلك اللائحة، وقد اعتبر بعضُ العلماء جواب عَلَم هذا دليلاً علىٰ اعتذاره، ولذلك اعتبروا أن المشكلة قد انتهت، أمّا الإمام

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص: ٢٠٣.

فقد عرف ـ بفراسته الخاصة ـ مكيدة العدو، لذلك فقد صرّح علناً: «إن اللائحة التي صادقت عليها الحكومة لا يمكن أن تُلغىٰ رسمياً ببرقيةٍ خاصة، بل يجب أن يعلن إلغاءها رئيس الحكومة رسمياً عبر الجرائد»!

وقد قرر علماء طهران الاجتماع في يوم ١٣٤١/٩/٨ هـ. ش، [١٩٦٢/١١/١٩م] في مسجد السيد عزيز الله في طهران للدعاء دعماً وتأييداً لموقف مراجع قم واحتجاجاً علىٰ عناد «عَلَم»؛ فأشيع يومها أن الحكومة قررت مهاجمة هذا الاجتماع واعتقال العلماء، وعندما سمع الإمام بهذه الإشاعة اتخذ قراراً حازماً لتصعيد المواجهة[١]، ولكن هذا القرار لم يتم تنفيذه بسبب انتهاء الفتنة والتهديدات الحكومية؛ فعندما عرف رئيس الحكومة عَلَم بأن علماء طهران عازمون بإصرار علىٰ تنفيذ قرار في عقد ذاك الاجتماع الاحتجاجي، أدرك عدم جدوىٰ المقاومة، لذلك عقد اجتماعاً للحكومة قبل ليلة من موعد اجتماع علماء طهران: وأعلن رسمياً إلغاء لائحة جميعات المدن والقرىٰ، وتم اطلاع مراجع قم ـ باستثناء الإمام ـ على هذا القرار في الليلة نفسها، وقد اعتبر بعض العلماء أن المشكلة قد انتهت لكن الإمام لم يرَ ذلك كافياً وطالب بنشر هذا القرار في صحف البلاد الرسمية، وصرح في كلمة له عند زيارة مجموعة من أهالي طهران لسماحته في منزله:

«لا يمكننا أن نرتب أثراً علىٰ هذه البرقية ما لم يتم إعلان إلغاء تلك اللائحة المصادق عليها وبصورة صريحة في صحف الدولة الرسمية، ولتعلم السلطة الحاكمة أنّها إذا لم تنشر خبر إلغاء اللائحة في الجرائد فإننا سنعتبر إرسال هذه البرقية «كأن لم يكن»، وسنواصل مكافحتنا لها».

---

(١) يقول الإمام بنفسه عن هذا القرار: «لقد اتخذت القرار النهائي بعد الدعاء وطلب العون من الله تبارك وتعالىٰ، ولم أخبر أحداً بهذا القرار، لقد قررت القيام بإجراء خطير إذا تعرضوا لعلماء طهران بالإساءة». موسوعة صحيفة نور، ج:١، ص:٤٥، الطبعة الثانية.

من هنا اضطر «عَلَم» إلىٰ إجراء مقابلة صحيفة بتأريخ ١٠/٩/١٣٤١ هـ. ش، [١/١٢/١٩٦٢م] أعلن فيها بصراحة إلغاء تلك اللائحة. وإثر ذلك أصدر الإمام بيان شكر للشعب خاطب أبناءه فيه بالقول:

«إن انتفاضتكم الدينية العامّة أثمرت ردع الأجانب»[١]!!

دعوهم يعتقلوني وحدي ليبقىٰ الآخرون يعملون للإسلام

وصل خبرٌ مهم ـ في الليلة التي اجتمع فيها جميع العلماء في منزل آية الله الكلبايكاني ـ رأيتُ أن أخبر الإمام به فوراً، فذهبتُ إلىٰ هناك وقلتُ له: طبق ما يُقال يا سيدي، إنهم [جلاوزة النظام الملكي] قد يعتقلونك الليلة، فإذا كانوا يريدون شن هجومهم الليلة، فليكن ذلك وأنت مجتمع مع باقي العلماء، فإذا قرروا الاعتقال اعتقلوكم جميعاً، وإلا لم يعتقلوك وحدك، فقال: «دعوهم يأتون ويعتقلوني وحدي لكي يبقىٰ الآخرون خارج السجن ويعملوا في خدمة الإسلام»[٢].

هل أنتما من رجال الدين؟ ألا تؤمنان بالمعاد؟!

كان الإمام ذات صباح ـ جالساً تحت لحاف «كرسي»[٣] التدفئة وهو منهمك بالمطالعة عندما دخل شخصان كنا نعرفهما ولم يكونا من الصالحين، وطلبا لقاءَهُ للتحدث عن بعض القضايا الراهنة، فدخلنا عليه وأخبرناه بطلبهما فأذن لهما بالدخول عليه، فدخلا وجلسا، فسألهما:

---

(١) السيد محمد حسن الرجبي، كتاب (الحياة السياسية للإمام الخميني)، ص: ٢٥٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ١٥٠.

(٣) «الكرسي» إسم يطلق على وسيلة كانت تستخدم سابقاً للتدفئة مكونة من منضدة مربعة توضع علىٰ حفرة صغيرة كان يوضع فيها الفحم المشتعل ويوضع علىٰ المنضدة لحاف كبير يحفظ الحرارة المنبعثة من اشتعال الفحم، حيث يدخل مَن يريد التدفئة تحت اللحاف. [المترجم]

«من أين تأتيان؟»، قالا: من طهران، فقال: «ما هي أخبار طهران؟» قالا: الأوضاع هادئة ولم يحدث شيء! فقال لهما بلهجة حادة وبصوت عال: «هل أنتما من رجال الدين؟ ألا تؤمنان بالمعاد؟ كيف تقولان: لم يحدث شيء وقد ضربوا بالأمس السيد الخوانساري في السوق؟ استحيا»[١].

يقوم بكل مشقة من فراش المرض احتراماً لآية الله الشاهرودي

كان من الطبيعي أن يأتي جميع العلماء لعيادة الإمام عندما يمرض، والله يشهد أنّه أصيب مرةً بآلام شديدة في الظهر عجز معها عن الحركة، لكنه ما إن كان يسمع بأن آية الله الشاهرودي ـ وكان من كبار مراجع النجف ـ قد جاء لعيادته، كان يقوم بكل مشقةٍ من فراشه ويرتدي جبته وعمامته ويجلس متكئاً علىٰ الهيئة المعتادة ويقول: «ليتفضل بالدخول»! لقد كان مؤدباً للغاية في جميع حركاته وسكناته[٢].

ردعه البعثيين عن إهانة العلماء

لم يكن الإمام يسمح أيام إقامته في النجف بانتهاك حرمة مقام مراجع الدين، فمثلاً أخبروه يوماً أن عملاء حزب البعث الحاكم قد استدعوا آية الله العظمىٰ الشاهرودي للحضور إلىٰ بغداد لمحاكمته حسب زعمهم، وكان هؤلاء الظالمون يريدون إيذاء هذا الشيخ ذي التسعين

---

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، كتاب (حوادث خاصة من سيرة الإمام)، ج: ٢، ص: ٢٥٠.

وكان جلاوزة الشاه قد تعرضوا بالإهانة لآية الله التقي السيد أحمد الخوانساري ـ رضوان الله عليه ـ الذي كان يتولىٰ إمامة مسجد «السيد عزيز الله» في سوق طهران وهو من أهم مساجد العاصمة الإيرانية، وقد عرضوا السيد الخوانساري للإهانة بهدف قمع اجتماع شعبي عُقد في المسجد المذكور. [المترجم]

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محي الدين الفرقاني، مقابلة إذاعية.

عاماً، ولما علم الإمام بالخبر قال لي: «إذهب إلىٰ منزل السيد الشاهرودي واسأل ابنه الكبير عن الأمر»، فذهبت وسألته فأخبرني بصحةِ الخبر؛ فلم يكن البعثيون يعبأون بمقام ومنزلة العلماء لكن الإمام هو الذي كان يردعهم عن إهانة العلماء.

وعلىٰ أي حال فقد قال لي الإمام: «إذهب إلىٰ كربلاء وتحدث لمحافظها عن جلالة مقام آية الله الشاهرودي وقل له: إنكم لا تعرفون قدره ومنزلته». وهكذا كان يحفظ الإمام حصون الإسلام. لقد اتخذ الامام هذا الموقف دون أن يحدثه أحد من طرف آية الله الشاهرودي بشيء عن هذا الموضوع، لكنه تحرك بمجرد سماعه الخبر رغم أنّه كان يقيم في النجف كمنفي!

ثم ذهبت إلىٰ منزل محافظ كربلاء مساءً بعد أن اتصلت هاتفياً به، وأطلعته علىٰ ما قاله الإمام فقال: سمعاً وطاعة، وقد تم حلّ المشكلة في ليلةٍ أو ليلتين، ولم يتحدث الإمام بعد ذلك عن هذا الموضوع تجنباً لأن يتصور الآخرون أنّه يرغب في أن يطلعوا علىٰ ما قام به[1].

شدة احترامه لزملائه العلماء

كان الإمام يتعامل باحترام خاص مع الكبار لا سيما العلماء منهم خاصة الذين تربطهم به زمالة علمية وإن كان بعضهم لا يتفقون معه بشأن القضايا السياسية للنهضة. وقد كان الإمام يعطي الأولوية في جدول أعماله لتسيير أمور المكتب وعادة ما يكون إستقباله الآخرين بعد القيام بأعمال المكتب وختم الوصولات. وكنّا يوماً عنده نقومُ بانجاز أعمالنا فقال: «إنظروا هل جاء السادة؟». وكان يقصد أربعة من علماء طهران

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، مجلة (إطلاعات الهفتگي)، العدد: ٢٤٤٢.

المعمرين كان من المقرر أن يزوروه في ذلك اليوم، وعندما قيل له: إن السادة قد وصلوا إلىٰ باب الحسينية، قال: «أجلوا إنجاز الأعمال المتبقية إلىٰ وقت لاحق لكي لا نجعل السادة ينتظرون»!

جمعنا الوصولات وقمنا، وكان السادة قد وصلوا إلىٰ باب المنزل فقد أخذوا إلىٰ المنزل بدلاً من أن يأتوا بهم إلىٰ المكتب أولاً، وقد قام الإمام أيضاً وارتدىٰ الجبة والعباءة والعمامة في الوقت الذي كان السادة المسنون يسيرون ببطء باتجاه غرفته، كما مشط لحيته أمام المرآة استعداداً للقائهم، في حين أن الجميع يعلمون أنه كان يلتقي ـ في الأعوام الأخيرة من حياته ـ الرؤساء والكثير من الشخصيات المحلية والدولية وهو يكتفي بوضع الطاقية المنزلة بدلاً من العمامة دون أن يرتدي الجبة بل كان يغطي رجليه بقطعةٍ من القماش!!

وعلىٰ أي حال، فعندما دخل هؤلاء السادة قام السيد لهم وعانقهم جميعاً، ولم نرَه ـ وللمرة الأولىٰ يجلس علىٰ السرير الخاص به، بل جلس علىٰ الأرض إلىٰ جانب السادة وأقبل علىٰ محادثتهم[1].

قفوا في مكانكم

ذهبت ـ برفقةِ عدد من الأخوة ـ إلىٰ منزل الإمام، وكان عنده أحد العلماء، وقد تزامن استئذاننا للدخول عليه مع خروج العالم من عنده، فرأىٰ أنّه لو أذن لنا بالدخول فلن يتمكن من توديع العالم المذكور بالصورة المناسبة، لذلك التفت إلينا وقال: «قفوا في مكانكم»! ثم ودع العالم وأذن لنا بالدخول بعد ذلك[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص: ١٠٠.

(٢) الشيخ محمد رضا الحكيمي، مجلة (نورعلم)، الدورة٣، العدد: ٧.

لن أذهبَ لإمامة الجماعة حتىٰ إذا لم تذهبوا أنتم

كان الإمام يقيم صلاة الظهر في منزله في النجف ولا يذهب إلىٰ المسجد، وكان بالقرب من منزله مسجد يُعرف بمسجد الترك وهو المسجد الذي كان يصلي فيه الشيخ الأنصاري ويلقي دروسه فيه، لذلك كان هذا المسجد يُسمىٰ أيضاً بمدرسة الشيخ، وكان يؤم الجماعة فيه في تكل الأيام المرحوم السيد بحر العلوم من علماء النجف، وقد أصيب بمرض منعه من الذهاب إلىٰ المسجد لإقامة صلاة الجماعة فيه، فطلبوا من الإمام مراراً أن يذهب لإقامة صلاة الجماعة فيه إلا أنّه لم يكن يوافق بحكم سمو أخلاقه وجلالته، فبعث المرحوم بحر العلوم بنفسه ممثلاً له إلىٰ الإمام طالباً منه الأمر نفسه لكنه لم يوافق أيضاً، حتىٰ جاء إليه السيد بحر العلوم بنفسه ـ ورغم كبر سنه ـ وقال له: لن أذهب لإقامة صلاة الجماعة حتىٰ إذا لم تذهبوا أنتم! وعندها وافق الإمام[1].

لا تتحدث بمثل هذا عن الآيات والأساتذة

قلتُ للإمام يوماً وقد زرته في النجف: سمعتُ أنكم قلتم: لا ينبغي لطلبة حوزة قم أن ينتقلوا إلىٰ النجف، وقد انتقل بعضهم إلىٰ هنا، وأنا أيضاً كنت راغباً في ذلك لكنني أحجمت عنه عندما نقلوا عنكم هذا القول، وأرغب الآن أن أسمع منكم مباشرة هذا القول، فقال: «أجل، أنا قلت: لا ينبغي للسادة أن يتركوا قم ويأتوا إلىٰ هنا، فهذا ما يريده العدو، إن العدو يريد تفريغ قم من الحوزيين، فلا تتركوها خالية».

ثم تابع حديثه قائلاً: «ما المانع من البقاء في قم؟ لا يوجد ثمة مانع، عندما كنا في حوزة قم اشتدت الأوضاع فيها إلىٰ درجة كنا نضطر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٣٥.

معها إلىٰ الاجتماع [للدراسة] خارج قم في منطقة تُسمىٰ «سالارية» (وكانت يومها قرية تقع خارج المدينة)، ولم يكن بإمكاننا دخول المدينة إلا كل اسبوع، لم يكن بإمكان طلبة الحوزة البقاء داخل المدينة، كان المرحوم آية الله الحائري يأتي كل صباح إلىٰ سالارية ويلقي علينا درسه ثم يعود، كنا أحياناً ندخل المدينة كل أسبوعٍ مرة للحصول علىٰ ما نحتاجه من الأمور الضرورية».

لقد بقينا في حوزة قم وتابعنا الدراسة رغم هذه الأوضاع، فما هي الصعوبات التي ظهرت لكم أنتم الآن؟! لم تظهر صعوبات أمامكم! فما هذا الكلام الذي تقولونه؟ ما معنىٰ أن تقولوا: لا يمكن متابعة الدراسة هنا؟! لماذا ضعف توجهكم ونشاطكم في الدراسة؟!. . . .

أنا لا أتذكر الآن نصّ عبارات الإمام ولكن مضمونها هو: إن الجادين في العمل وفي طلب العلم والاجتهاد في ذلك لا يتركون الدراسة لمثل هذه الأمور، هذه ذرائع لا أكثر. عليكم أن تدرسوا وتقوموا بأعمالكم دون خشية من هذه الحوادث.

وأثناء ذلك كررت عليه القول: إن مستوىٰ الدروس الموجودة في قم لا يُلبي الطموح؛ وهذا ما لم يكن الإمام يرغب في سماعه مني، فقال ـ ما مضمونه ـ: «لا تتحدث بمثل هذا التعبير عن الآيات والأساتذة [في حوزة قم] فهو يعني أن دروسهم لا تلبي الطموح»، ثم قال: «إذا لم ترغبوا في حضور هذه الدروس، فإن بإمكانكم أن تجتمعوا في مباحثات علمية، كل أربعة، أو خمسة، أو ثلاثة، لقد جربنا ذلك، ومن الممكن أن تكون مثل هذه المباحثات العلمية مفيدة، قوموا بذلك»[1].

---

(١) آية الله الشيخ محمد اليزدي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٣١٩.

المزيد من التكريم للسيد القاضي

في إحدىٰ زياراتنا للإمام برفقةِ أئمة صلاة الجمعة في مناطق محافظة خوزستان، أحاط سماحته بلطفه وتكريمه جميع السادة الحاضرين كما أبدىٰ المزيد من التكريم الخاص لمرحوم آية الله السيد القاضي الدزفولي ـ إمام صلاة الجمعة في مدينة دزفول ـ وأجلسه إلىٰ جانبه لأنّه كان أكبر الحاضرين في هذا اللقاء سناً[١].

والسيد الخادمي

كان الإمام يحترم كثيراً المرحوم آية الله السيد الخادمي (رئيس الحوزة العلمية في اصفهان)، فكان يذهب إلىٰ زيارته عند مجيئة إلىٰ قم ويبدي الكثير من الاحترام له[٢].

في مجاورتنا لكم بركة لنا

عندما عاد الإمام إلىٰ قم [بعد انتصار الثورة] سكن في بيتٍ يقع في الزقاق نفسه الذي يقع فيه منزل العلامة الطباطبائي، وقد أخلىٰ جيرانه بيوتهم لتسهيل تردد الناس لزيارة الإمام، وقد قال العلامة الطباطبائي أيضاً للإمام: نحن مستعدون لتخلية بيتنا عند الضرورة، فقال الإمام: «إن في مجاورتنا لكم بركة لنا»[٣].

أنا عبدٌ من عبيدك أنت مجدد الدين

أتذكرُ أن الإمام قال لي ـ عند عودة آية الله العظمىٰ الشيخ الأراكي

---

(١) آية الله الشيخ محمد علي الموسوي الجزائري، الأرشيف الشخصي لمعد الكتاب.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد سالك الكاشاني، الأرشيف الشخصي لمعد الكتاب.

(٣) آية الله الشهيد الشيخ محمد الحسيني البهشتي، مجلة (إطلاعات هفتكي)، بتأريخ ١٩/٦/١٣٦٩هـ.ش.

من مشهد إلىٰ طهران ـ: «إذهبوا لزيارة الشيخ الآراكي نيابة عني». وعندما ذهبت لزيارته كممثل للإمام في عيادته، قال لي: قولوا للسيد نيابة عني: هل تتذكرون أيامَ إقامتنا في مدينة أراك؟ كان أهم عملٍ قمنا به هو الخروج في يوم عاشوراء بموكب لطم عزائي، لكي يتقدم العلماء ويكونوا في الطليعة، أما اليوم فكم هي عظيمة القوة والشوكة التي حصلنا عليها والحمد لله؟ قولوا للسيد: هل رأيتم إلىٰ أين بلغ الأمر بنا؟ لقد أقيمت الحكومة الإسلامية وكل ذلك ببركةِ جهودكم.

ثم أضاف: أريدُ أن أزور الإمام غداً. فرجعتُ للإمام وأبلغته ما أمرني به، وعندما أخبروا الإمام بوصول آية الله العظمىٰ الآراكي، قام وخلع لباس البيت ـ وكان يرتدي عادة قميصاً دون جبة ويضع علىٰ رأسه الطاقية المنزلية ـ وارتدىٰ ملابسه الكاملة مع العباءة وجاء لاستقباله، فلما رأىٰ الشيخ الآراكي الإمامَ خاطبه قائلاً: «السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن رسول الله»، فأخذ الإمام بساعده وءجلسه إلىٰ جانبه، فأقبل الشيخ الآراكي عليه وقال: «أنا عبد من عبيدك، أنا عبدٌ من عبيدك أنت مجدد المذهب»، فأجابه الإمام: «أنتم بقية السلف، أنت المذكر بأسلافنا»[1].

يأمر بحذف مقطعٍ من خطاب

كنت مرة المتحدث قبل صلاة الجمعة في مراسمها فتحدثتُ بشيءٍ وقد علمتُ فيما بعد أنهم أبلغوا ـ من طرف الإمام ـ مؤسسة الإذاعة والتلفزيون بأن الإمام أمر بحذف المقطع الفلاني من خطابي وعدم بثه. وكان في هذا المقطع تعريضٌ بأحد مراجع التقليد ولذلك أمر الإمام بحذفه[2].

---

(١) آية الله الشيخ التوسلي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:١، ص:٢٩١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي، مقابلة تلفزيونية.

ويطرد مهيناً للعلماء من المدرسة الفيضية

إن احترام وتجليل الإمام لحرمة مقام علماء الدين يرجع إلىٰ زمن طويل، كان هذا هو حاله وهو ابن ٢٥ أو ٢٦ سنة، لم يكن أحدٌ يستطيع التجرأ علىٰ انتهاك حرمة العلماء في محضره، ولقد شاهدته بنفسي مرةً يطرد شخصاً من المدرسة الفيضية لأنّه أهان العلماء[١].

إقرنوه بالطالب الأول لكي يبقيا معممين

في حدود سنة ١٣٠٩ هـ. ش، [١٩٢٠م] جاء شخصان مبعوثان من جهة حكومة رضا شاه إسماهما: آل آغا، وذو الرئاستين، لامتحان طلبة الحوزة، كما جاء آية الله السيد محمد تقي الخوانساري والإمام كممثلين لآية الله الشيخ عبد الكريم اليزدي [مؤسس حوزة قم] إلىٰ المدرسة الفيضية وكانا يقومان بامتحان الطلبة، فسألوا أحد الطلبة: ما هي صيغة الفعل «قُلْ»؟ فلم يعرف الجواب، فقالوا له: إن «قل» هو من «قال، يقول»، فما هي صيغته؟ فلم يتوصل للجواب أيضاً، فقالوا له: عندما نقول: «قال، يقول، قائل، مقولة، ليقل، قلْ»، فما هي صيغة فعل «قُلْ»؟ فانتبه الطالب للجواب وقال: إنّه فعل أمر.

عندها قال المدعو آل آغا: إن هذا الطالب ليس جديراً بارتداء العمامة، فالأجدر أن ينزعها، ثم يرتديها بعد حين بعد أن يتحسن وضعه العلمي بعض الشيء، فقال الإمام: «كلا، اصبروا قليلاً، لنمتحن طالباً آخراً، بعد ذلك سأقول ما ينبغي فعله».

ثم دخل شيخٌ من أصفهان اسمه محمد حسين ولعله لا زال حيّاً وهو يقيم في طهران، فسألوه: ما الذي تدرسه الآن؟ قال: درست

---

(١) آية الله السيد رضا بهاء الديني، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

الصرف والنحو وأدرس الآن كتاب «الكبرىٰ» في المنطق، ويجب أن أدرس معه كتاباً في مستوٍ أعلىٰ، فسألوه: إذن معرفتكم بالنحو جيدة، فأخبرنا هل أنّ كلمة «أشياء» ممنوعة من الصرف أم لا؟ فأجاب قائلاً: ﴿**لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تسؤكم**﴾[1]، فقال الإمام: «لقد أجابكم بجواب قرآني وأفهمكم أنّها ممنوعة من الصرف باختباره لعبارة ﴿**عن أشياء**﴾، لذلك إقرنوه بذلك الطالب الأول الذي تحير في الجواب فتكون النتيجة أن يبقىٰ كلاهما معممين».

لقد أثبت لنا هذا الموقف ـ ومنذ تلك السنين ـ ذكاء الإمام وتدينه، وقد أدىٰ موقفه هذا إلىٰ أن يتراجع أولئك الممتحنون عن قرارهم ويؤيدوا رأي الإمام، وهذه من الذكريات التي رأيتها بنفسي وكنت شاهدَ عيان لها[2].

ساتصل بطهران لكي يبعثوا مائة سيارة لحمل الحوزويين في تنقلاتهم

في مساء يوم [فاجعة] ١٥ خرداد كتب سماحة السيد بيانَهُ المعروف الذي قال فيه: «إن حب الشاه يعني السلب والنهب»، وقد جاؤوا به إلىٰ طهران لطبعه، ثم حوصر بيت الإمام في اليوم التالي، ويأخذوا بتفتيش كل مَن يريد دخول المنزل أو منعه من الدخول، كما أمروا ـ في السياق نفسه ـ سائقي حافلات النقل الصغيرة بعدم السماح للحوزويين من العلماء والطلبة بالصعود في سياراتهم، فاستدعىٰ الإمام رئيس شرطة قم الذي كان قد اجتمع في الصباح بسائقي سيارات الأجرة وكان يهددهم بسحقهم واعتقالهم إذا أركبوا الحوزويين في سياراتهم، ولم يكن قد أتمّ كلامه معهم عندما جاء إليه من قال له: لقد استدعاك السيد الخميني!

---

(١) سورة: المائدة، آية:١٠١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الدقيقي الألموني، مجلة (شاهد بانوان)، العدد:١٦٨.

ولما حضر عند السيد، هدده السيد وقال له: «لقد سمعت بصدور مثل هذه الأوامر، فهل أنت الذي أصدرتها؟ إذا كان الأمر كما سمعت، فانني سأتصل الآن هاتفياً بطهران لكي يأتوا بمائة سيارة صغيرة مع سائقيها لكي يقوموا طوعاً ومجاناً بافتخار بمهمة حمل الحوزويين في تنقلاتهم».

إضطرب رئيس الشرطة لما سمع من السيد، وقال: كلا، لا صحة لخبر صدور مثل هذه الأوامر، لقد أخبروا سماحتكم بما لا صحة له! فقال الإمام: «خلاصة الأمر، يوجد مثل هذا الخبر، فلو وصلني تقرير بصحته إلىٰ الظهر، فإنني سأقومُ بتنفيذ ما قلته»! فخرج رئيس الشرطة ثم جمع سائقي سيارات الأجرة مرةً ثانية وأمرهم بخلاف ما أمرهم به في الصباح[1]!!

شدة آذاه لاغتياب أحد المراجع

جاء الإمام يوماً في موعده اليومي لإلقاء درسه، لكن الأذىٰ كان مسيطراً عليه إلىٰ درجة جعلته يتنفس بصعوبةٍ، ولم يُلقِ درسه في ذلك اليوم بل وجه نصيحة مؤلمة ثم خرج وعاودته الإصابة بحمّىٰ مالطا ولم يأتِ لإلقاء درسه علىٰ مدىٰ ثلاثة أيّام، وكل ذلك لأنّه سمع أن أحد تلاميذه قد اغتاب أحد المراجع[2]!

غضب وعاتب بشدة

كنتُ يوماً عند الإمام فتكلم أحد أصحابه الأوفياء بكلام تُشمُّ منه رائحة انتهاك حرمة أحد العلماء من مراجع التقليد، فغضب عليه وعاتبه بشدة علىٰ التفوه بهذا الكلام[3].

---

(١) كتاب (ناكفته ها = الأمور التي لم تُقال) مذكرات الشهيد الحاج مهدي العراقي، ص١٦٤.

(٢) آية الله الشيخ حسين المظاهري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص: ١٦٤.

(٣) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي، بتأريخ ١٣/ ٣/ ١٣٦٩هـ. ش.

نيته خيرة وهو مثابٌ علىٰ عمله

توفي أحد العلماء الكبار الذي كانت له مؤلفات انتقدها بعض العلماء، فأقام المرحوم آية الله البروجردي مجلساً لقراءة الفاتحة علىٰ روحه في مسجد «بالاسر» [في جوار مرقد السيدة المعصومة عليها السلام]، وقد أنهىٰ الإمام في عصر ذلك اليوم درسه قبل الوقت المألوف بقليل لكي نستطيع الذهاب لحضور هذا المجلس التأبيني، وعندما كنا نرافقه في الطريق سمعت المرحوم الشيخ المطهري يحادثه قائلاً: إن مؤلفات هذا السيد غير نافعة للإسلام وفيها أشياء وأشياء، فأجابه الإمام: «كانت نيته خيرة»، فسعىٰ المرحوم المطهري لإقناعه بانتقاده لكنه كان يرفض ويقول: «كانت نيته خيرة وهو مثاب علىٰ عمله»، وكان يؤكد علىٰ الجوانب الإيجابية فيها وإن لم ينكر الجوانب السلبية، لكنني لاحظت أنّه لم يكن يرضىٰ بانتقاد ذلك الشيخ الكبير الذي تحمل المشاق لسنين طويلة[١].

حتىٰ لو كان من علماء أهل السنة

يلتزم الإمام ـ في دروسه ومؤلفاته ـ بذكر إسم أي من العلماء يذكره فيها مقروناً بالكثير من الاحترام والتجليل حتىٰ لو كان من علماء أهل السنة[٢].

لا أجيب علىٰ هذا الاستفتاء لأنّه يضر بأحد العلماء

كان الإمام يسعىٰ إلىٰ تحري كامل الدقة في الإجابة علىٰ الإسئلة والاستفتاءات خاصة الاجتماعية منها، لكي لا يُمكن العدو من استغلال أجوبته عليها. فمثلاً عندما أجاز تقديم المساعدات للمناضلين الفلسطينيين، ادعىٰ أحد الانتهازيين الذي كان يتولىٰ الشؤون الدينية في

---

(١) آية الله محمد واعظ زاده الخراساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٣٠٦.

(٢) آية الله الشيخ الصانعي، مجلة (أميد انقلاب)، العدد:١٢٥.

أحد مساجد طهران، بأنّه مكلف مباشرة من الإمام بجمع الحقوق والأموال الشرعية لصالح الفلسطينيين وإيصالها لهم، وقد أدىٰ هذا الادعاء إلىٰ سرور الجميع وكذلك إلىٰ تعجبهم من سر اختصاص الإمام لهذا الشخص بذلك رغم وجود آخرين، لذلك كتب الشيخ الكروبي ـ علىٰ ما أعتقد ـ رسالة أشبه بالاستفتاء للإمام تضمنت سؤالاً هو: هل أنّ الشخص الفلاني مكلف لهذه المهمة من قبلكم؟، فعرضت هذا السؤال علىٰ الإمام فقال: «لا أجيب علىٰ هذا الاستفتاء»!! قلت: لماذا؟ قال: «لأنّ إسمع الشخص مذكورٌ فيه، وهو مرتبط بأحد العلماء مرشح للمرجعية (وكان مقيماً في النجف)، ولذلك فإنّ جوابي بالنفي علىٰ هذا السؤال سيضر بهذا الشخص وبالتالي بذلك العالم الذي يسير باتجاه تسنم مقام المرجعية الأمر الذي سيسقطه عن مكانته الاجتماعية، ولا أرىٰ من الصحيح استغلال مثل هذا الجواب، أعرضوا السؤال بصورة عامة وقولوا: هل أجزتم أو أمرتم أحداً بجمع هذه الأموال؟ وفي هذه الصورة فإنني سأجيب علىٰ هذا السؤال»[1].

في هذا الترشيح إهانة لعلماء مشهد

طُلب من إثنين من العلماء من الأعضاء المعروفين في مكتب الإمام الترشيح عن مدينة مشهد في انتخابات مجلس خبراء القيادة في دورته الثانية، وقد طلب منهم ذلك بعض الأجنحة السياسية، فذهب أحدهما إلىٰ الإمام وأخبره بالأمر فقال: «لا أرغب أن تشاركوا ـ أنتم المنسوبون لي ـ في هذه الانتخابات فإذا لم تفوزوا فيها فإن في ذلك إساءة لكم، وإذا فزتم فإن من المحتمل أن يُقال أن الأمر كان مفروضاً. يُضاف إلىٰ

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الدعائي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:١.

ذلك أن في هذا الترشيح إهانة لعلماء مشهد» فلم يترشح أيٌ من هذين العالمين من أهل محافظة خراسان[1].

يجب حفظ منزلتكم الاجتماعية

قضىٰ الإمام شهر رمضان في سنة ١٣٢٥ هـ. ش، [١٩٤٦م] في مدينة محلات، وقد اقترح عليه علماء المدينة المخلصون له أن يضعوا تحت تصرفه مسجداً في المدينة [يقيم فيه صلاة الجماعة] لكي يستفيد الأهالي من بركةِ وجوده فرفض وقال: «دعوني وشأني، وقوموا أنتم بأعمالكم».

وبعد عدّة أيام قال بعضهم له: لقد رفضتم إمامة صلاة الجماعة فوافقوا علىٰ إلقاء محاضرةٍ يومية علىٰ الأقل، وافق الإمام علىٰ هذا الاقتراح في نهاية الأمر، وبدأ بإلقاء محاضرة يومية في الساعة الخامسة عصراً في مسجدٍ في وسطِ المدينة، وقد حضر محاضرته علماء المدينة، وبعد انتهاء المحاضرة قال لهم: «إذا أردتم الاستمرار في حضور هذه المحاضرة فإنني سأمتنع عن إلقائِها. يجب حفظ منزلتكم الاجتماعية»[2].

يغلي درسه للمشاركة في مراسم تشييع العلماء

كان الإمام رؤوفاً بطلبةِ الحوزة. كان يشارك في تشييع الجنائز ويشجّع الآخرين علىٰ ذلك، وكان يدفع الطلبة إلىٰ جهة التابوت لأنّه كان يسعىٰ إلىٰ تهذيب نفوسهم، وكان يحضر مراسم تشييع العلماء أو الأشخاص الذين من المناسب أن يشارك طلبة الحوزة في تشييعهم،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص: ٢٣٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد سروش المحلاتي، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام الخميني.

وكان يولي أهمية خاصة لذلك، وكان يحدث أحياناً أن يصله خبرُ وفاة أحد العلماء وهو يستعد لإلقاء درسه فيلغي الدرس للذهاب إلىٰ مراسم التشييع، وكان يقول له تلاميذه أحياناً: لا تعطّلوا الدرس الآن، فيجيب: «كلا، إن في عدم تعطيله الآن حرماناً»، ويعطله للذهاب لمراسم التشييع[1].

خلاف تعظيم شعائر الله

كان يحدث أحياناً أن يخبروا الإمام ـ وهو يلقي درسه ـ بوفاة العالم الفلاني في طهران مثلاً، فيعطل الدرس احتراماً له ويقول: «إن عدم تعطيل الدروس في هذه الحالة خلاف تعظيم شعائر الله»[2].

ليذهبوا إلىٰ المجلس التأبيني للعالم المتوفىٰ

كنّا نقدم للإمام الصحف الصادرة مثل: رسالة، كيهان واطلاعات لكي يطالعها، كما كنا نقدم له ـ أنا أو الشيخ الرسولي التقارير الواصلة من المؤسسات المختلفة فكان يطلع عليها جميعاً، ولا أنسىٰ أنّه كان يتصل بي أو يكتب شيئاً علىٰ قصاصة ورق ـ إذا توفي أحد العلماء ولم يسمع أحد [في مكتبه بالخبر] ـ ويقول: «إعطِ هذه للشيخ الرسولي أو الشيخ التوسلي لكي يذهبوا إلىٰ المجلس التأبيني لهذا العالم المتوفىٰ»[3].

إقرأوا الفاتحة للمرحوم الكمباني

قرر الإمام الذهاب إلىٰ قبر ولده للمرة الأولىٰ، ولما دخل مقبرة

---

(١) آية الله الشيخ عباس الإيزدي النجف آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٢٩٢.

(٢) آية الله الشيخ محمد اليزدي.

(٣) السيد رحيم ميريان ـ الأرشيف الخاص بمؤلف الكتاب.

المرحوم الكمباني ـ وهو من كبار الفلاسفة والعلماء وقد دفن السيد مصطفىٰ في مقبرته ـ سأل: «أيهم قبر السيد مصطفىٰ؟»، فأشار مرافقوه ـ بحزنٍ وبكاء ـ إليه، فقرأ علىٰ روحه سورة الفاتحة بكل هدوءٍ وسكينة، ثم قال للحاضرين: «إقرأوا سورة الفاتحة للمرحوم الكمباني»، ثم قال: «إقرأوا الفاتحة لباقي العلماء المدفونين هنا»(١).

أسرّه موقف النائب المدافع عن حرمة العلماء

في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورىٰ الإسلامي الأول، تقرر عقد اجتماع في عصر اليوم نفسه في المدرسة الفيضية وخصصت لعقده قاعة المطالعة في المدرسة، وقد حضره عددٌ كبيرٌ من نواب المجلس وغيرهم، وتقرر أن يلقي فيه السيد المهندس بازرجان كلمة انتقد فيها علماء الدين بصورة مهينة فقام أحد النواب من آخر المجلس وصاح: إن الاستماع لهذا الكلام حرامٌ لا ترضاه شريعة الله، وقد همّ ـ بسبب شدة غضبه ـ بضرب المتكلم فحال الحاضرون بينه وبين ذلك.

وقد زرت الإمام في اليوم التالي في طهران ونقلت له ما جرىٰ في اجتماعِ المدرسة الفيضية هذا وقد ظهر الأذىٰ عليه بسبب ما جرىٰ لكنني عندمانقَلت له موقف ذلك النائب ظهر السرور علىٰ وجهه وسألني مرتين: «مَن هو هذا السيد؟» قلت: إنّه السيد حسين الموسوي التبريزي، فقال: «أحسنت»(٢).

إقتراحه علىٰ آية الله الحكيم

ذهب الإمام في مساء أحد الأيام الأولىٰ لإقامته في النجف لزيارة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٢، ص: ٤٦.

(٢) آية الله الشيخ حسين النوري الهمداني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

آية الله السيد الحكيم، وقد رافقه عددٌ كبيرٌ من طلبة الحوزة، وقد اقترح الإمام علىٰ السيد الحكيم في هذه الزيارة أن يزور إيران وقال: «من المفيد أن تسافروا إلىٰ إيران للزيارة وكذلك لكي تشاهدوا أوضاعها عن قرب ولا تكتفوا بالأخبار»[1].

أنا أحد أتباعك

علىٰ الرغم من أن المكانة العلمية المرموقة للإمام كانت معروفة عند فضلاء الحوزة، إلاّ أنّه. . وابتغاءً لرضا الله وحرصاً علىٰ اطلاع آية الله الحكيم علىٰ ما كان يجري في إيران يومذاك ـ كان يتواضع له إلىٰ درجةٍ كان يخاطبه بالقول: «أنا أحد أتباعك ومن المطيعين لأوامركم، مُرنا نطيعك، أصدر أوامرك ونحن ننفذها، فكيف تتصورون أن ليس ثمّة مَن يطيعك في حين أنني أنا أحد مطيعيك؟!»[2].

حزم الإمام في ردع أصحابه عن أيّة إهانة للمراجع الآخرين

كان الإمام يبادر إلىٰ الردع الحازم لأي طالب حوزوي دون أن يأخذ بنظر الاعتبار تأييده ووفائه له ـ بمجرد أن يطلع علىٰ أنّه قام بعمل للدفاع عنه لكنه اشتمل علىٰ التعريض بأحد السادة المراجع، وبهذه السياسة الحازمة كان يمنع مثل هذه الحركات، فمثلاً حدث مرةً أن قام بعض السادة ـ ولهم اليوم وجاهة إجتماعية ـ بعمل هو بحكم الإهانة للمرحوم آية الله الحكيم، فردعهم الإمام بشدة رغم أنهم من أصحابه دون أن يأخذ بنظر الاعتبار أنّهم قد فروا من وطنهم واجتمعوا في

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٣٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضىٰ الصادقي الطهراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:٤٢.

النجف، ورغم أنّه كان بإمكانِهِ أن يقتصر علىٰ بعض التوجيهات لهم لكي لا يؤذيهم ـ وهم محبّون له ـ خاصةً وأنهم مشردون عن وطنهم وغرباء ومن الضروري رعاية حالتهم الخاصة[1].

السيد الحكيم هو رئيس حوزة النجف

بعد سقوط عبد الكريم قاسم ومجيء عبد السلام عارف للسلطة قررت الحكومة العراقية عقد لقاءات مع مراجع التقليد في النجف وقد تزامن ذلك مع الأيام الأولىٰ لإقامة الإمام فيها في عهد مرجعية المرحوم السيد الحكيم، وكان هدف الحكومة العراقية من اتخاذ هذا القرار أمران، الأول إضعاف مكانة مرجعية السيد الحكيم والثاني إضفاء صبغة شرعية علىٰ نفسها.

وكانت اللقاءات مع السيد الحكيم تُعقد في منزله عادةً، ولم يكن من عادته أن يعقد لقاءً في حرم الإمام علي عليه السلام، وهذا ما كانت تريده الحكومة العراقية، أي أن هدفها هو أن يكون اللقاء المطلوب في الحرم وهذا يعني أن السيد الحكيم لن يحضره، وبذلك تطرح الحكومة مَن يحضر اللقاء من المراجع كمنافس للسيد الحكيم لكي تضعف السيد بذلك.

وتنفيذاً لهذا المخطط وسطت الحكومة العراقية نجل أحد المراجع لكي ينقل للإمام طلبها الذي عرضته علىٰ النحو التالي ـ علىٰ لسان هذا الوسيط ـ إذ قال أن الحكومة العراقية لم تقصر في إكرام الإمام بل واشترطت علىٰ الحكومة الإيرانية أن يكون حراً في العراق ولا يكون حاله كما كان عليه أيام إقامته في تركيا. وقد قال ممثل الحكومة العراقية

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئينها، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٧٠.

ـ وهو شيعيٌ ـ: إن من الجدير بالإمام أن يقابل كل هذا الإكرام والاحترام ويؤدي حقّهُ.

ثم قال نجل المرجع المشار إليه لي إن رأي والده هو أن يوافق الإمام علىٰ عقد هذا اللقاء، فقلت له: إنني سأنقل هذا الأمر للإمام، وعندما ذهبت إليه وعرضت الأمر ابتسم وقال:

«لم أرغبْ أبداً في مثل هذه اللقاءات، ولا أدخل فيها، حتىٰ في قيطرية، لقد جاءني رئيس منظمة الأمن الإيرانية في تلك الأيام وقال: اسمحوا للشاه بأن يأتي إلى زيارتكم ويلتقيكم لمدة خمس دقائق، بذلك ستُحل جميع المشاكل، فقلت: إنني لا ألتقي هؤلاء، ولم ألتقهم أبداً، كنت أعلم أنّه يكذب في قوله بأن لقائي بالشاه لمدة خمس دقائق سيؤدي إلىٰ حلّ جميع المشاكل، لكنني علىٰ أي حال لست من أهل عقد مثل هذه اللقاءات ولم أعتد علىٰ اللقاء بهؤلاء (الرئيس العراقي)، وبغض النظر عن كل ذلكن فإن السيد الحكيم هو رئيس الحوزة العلمية في النجف وأنا هنا طالبٌ حوزوي لا أكثر، فالقرار بشأن مثل هذه الأمور هو من شأن السيد الحكيم».

وقال أيضاً: «أرىٰ أيضاً أن من غير المناسب لذلك السيد (مرجع التقليد الذي كان يريد التوسط في هذا الأمر) أن يقوم بذلك، يجب إيكال الأمر إلىٰ السيد الحكيم».

وقد تحقق عملياً بالتالي رأي الإمام، فقد جاء عبد السلام عارف إلىٰ النجف وزار حرم أمير المؤمنين عليه السلام دون أن يحظىٰ بلقاء أيٍّ من مراجع التقليد[١].

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:١٥٨.

المرجع يجب أن يكون مع الناس في جميع الأوضاع

إثر توجيه تلك الضربة للسيد الحكيم بسبب تأييده للشعب الإيراني في قضية الاختلافات الحدودية بين إيران والعراقي وهو الموقف الذي أدىٰ إلىٰ نفيه إلىٰ بغداد؛ إثر ذلك تفرق العراقيون عنه خوفاً من جلاوزة النظام البعثي وتركوه وحيداً، فاعتزل في منزله وقرر عدم الخروج منه وعدم الالتقاء بالناس، وقد أدرك الإمام أن هذا الموقف يخدم سياسة النظام العراقي، لأنّه كلما ازداد ابتعاد السيد عن الناس، قل في المقابل اهتمامهم به وقلّ بالتالي احتمال أن يتخذوا مواقف مؤيدة لهـ. ولذلك فقد ذهب الإمام بتاريخ ٢٥/٣/١٣٤٨ هـ. ش، [١٥/٧/١٩٦٩م] إلىٰ الكوفة لزيارة السيد الحكيم وذكره أثناء اللقاء بأن العزلة وملازمة البيت خلاف المصلحة وأن المرجع والقائد يجب أن يكون مع الناس في جميع الأوضاع دون أن يسمح بقطع ارتباطه بهم، كما طلب منه أن يسكن ـ بدلاً من الإقامة في الكوفة ـ في منزل في النجف التي تتميز بالصبغة المرجعية، وأن يفتح أبواب منزله لتردد الناس. وقد حظي هذا الاقتراح بموافقة السيد الحكيم ولكن بصورة محدودة، فقد بقي في الكوفة لكنه كان يأتي إلىٰ النجف أيام الجمعة ويزور حرم أمير المؤمنين عليه السلام[1].

زيارة لآية الله الحكيم أثناء الحصار

عندما سافر سماحة آية الله الحكيم إلىٰ بغداد احتجاجاً علىٰ سياسة النظام البعثي، أخذت وفود المسلمين والشيعة تتدفق من جميع أرجاء العراق لزيارته، وقد شكلت هذه الزيارات بحدِّ ذاتها حركة شعبية ضد الحكومة البعثية التي قامت لاحقاً بمهاجمة منزل آية الله الحكيم

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج: ١.

ومحاصرته وإغلاق بابه واعتقال مَن يأتي إليه، فاضطر السيد إلىٰ الذهاب إلىٰ الكوفة وقطع لقاءاته وعاش أيامه الأخيرة في حالة من الغربة والمظلومية وهو المرجع الأعلىٰ لشيعة العالم، لقد امتنع علماء النجف عن زيارته والتردد عليه خشيةً من سخط النظام البعثي، أما الإمام ـ وهو المتميزُ بنفحةٍ من الشجاعة النبوية ـ فقد كان يذهب لزيارته بنفسه، وكان يرسل ولده سماحة السيد مصطفىٰ كل يوم إلىٰ منزله لتفقد أحواله، ولذلك اعتقل النظام البعثي السيد مصطفىٰ وأرسله مخفوراً إلى بغداد، فسيطرت إثر ذلك حالة من الرعب علىٰ النجف، وتوافدت عدة مجاميع علىٰ الإمام وهم يطلبون منه أن يطلب من النظام البعثي رسمياً الإفراج عن السيد مصطفىٰ، فقد سيطر عليهم القلق من احتمال أن ينزلوا به أذىً ماحقاً؛ لكن الإمام كان يجيبهم: «إن طريق الجهاد محفوفٌ بمثل هذه الصعاب والمرارات، والذي يجاهد عدواً لا يلتمسُ منه شيئاً أبداً، لن أطلب منهم شيئاً حتىٰ لو قرروا قتل مصطفىٰ». لقد قال الإمام ذلك في وقتٍ كان قد مضىٰ علىٰ السيد مصطفىٰ اسبوعٌ وهو مسجون في بغداد دون أن يعرف أحدٌ بمصيره[1].

أدعو لحفظ آية الله الحكيم

إثر إقامته مدة في بغداد انتقل آية الله الحكيم إلىٰ الكوفة، وقد رأيت في اليوم الثالث أو الرابع لإقامته في الكوفة، ولَدهُ (الذي استشهد فيما بعد علىٰ يد جلاوزة النظام البعثي)، فسألته ـ بعد تفقد حاله ـ عن حال والده، فقال بأذىً: يكفي أن أقول أنّه قد مرّت ثلاثة أيام علىٰ مجيء الوالد إلىٰ الكوفة ولم يأتِ لزيارته أحد!!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي، مجلة (ندا)، العدد الأول، ص: ٤٧.

آذاني كثيراً ما سمعتُ، فالأمر لا يرتبط بشخص آية الله الحكيم بل بكرامة المرجعية، ولذلك ذهبتُ فوراً إلىٰ منزل آية الله الخوئي ـ رحمة الله عليه ـ ولما لاحظ ما ألمّ بي من أذىً سألني عن سببه فقلتُ: وما الذي تريدون أن يحدث؟! عندما كان آية الله الحكيم مقيماً في بغداد أرسلتم ممثلاً عنكم لزيارتِهِ، فما الذي حدث وأدىٰ إلىٰ عدم ذهابكم لزيارتهِ وقد جاء إلىٰ الكوفة؟!

وكان صدام قد أعلن في تلك الأيام أن السيد مهدي الحكيم إبن آية الله الحكيم الأكبر هو جاسوس! وقد خصصوا جائزةً لمن يقبضُ عليه!! وكان المرحوم السيد مهدي الحكيم وقد فرّ بسبب ذلك، تذكرتُ هذا الأمر، وتابعتُ خطابي لآية الله الخوئي قائلاً: هل يمكن ـ لا سمح الله ـ أن تكون قصّة ولده [السيد مهدي] قد أثرت عليكم أنتم أيضاً؟! تأذّىٰ السيد الخوئي كثير وقام فوراً لزيارة آية الله الحكيم، فذهبتُ أنا إلىٰ الإمام وأخبرته بما جرىٰ ثم قلت له: إنني أطلب من سماحتكم أيضاً الذهاب لزيارته لكي يتمّ كسر هذا الحصار. فقال: «إنني أقومُ كل يوم بوردٍ من الدعاء من أجل سلامة وحفظ السيد الحكيم، واعلمُ أن رحيله يضرّ بالإسلام ولكن ما الذي يمكنني القيام به؟ إنني مراقبٌ هنا، لو تحركتُ [لزيارته] واعتقلوني وسط الطريق فلن تتحقق النتيجة التي تتحدث عنها [كسر الحصار عن السيد الحكيم] ولن يعرف أحدٌ أين أنا، إن الأوضاع هنا تختلف عن الأوضاع في إيران».

قلتُ له: إذن اذهب إلىٰ آية الله الشاهرودي وأعده للزيارة وأنتم ستأتون أيضاً، أجاب: «لا بأس بذلك»، فذهبتُ وتحدثتُ مع نجل آية الله الشاهرودي، وفي صباح اليوم التالي أخبروني أن السيد الشاهرودي سيذهبُ لزيارة آية الله الحكيم بعد إلقائِهِ الدرس، فذهبتُ وأخبرتُ الإمام بذلك فتوجه هو أيضاً بعد انتهاء الدرس إلىٰ منزل آية الله الحكيم، وفي

طريق العودة من منزل السيد الحكيم وقع اشتباك شديد بين طلبة الحوزة وجلاوزة النظام البعثي أدىٰ إلىٰ جرحِ عدد من الأشخاص، وتحقق جانب مما توقعه الإمام، لكنه رغم ذلك ذهب لزيارة السيد الحكيم[1].

هل يمكن أن يكون لنا فرحٌ وسرور بعد رحيل السيد الحكيم

إثر وفاة آية الله الحكيم ذهبت إلىٰ النجف لتقديم التعازي لسماحة السيد يوسف الحكيم بمناسبة وفاة والده، وفي الليلة التي قررت فيها العودة ـ وقد صادفت ليلة عيد الغدير ـ ذهبت إلىٰ الإمام لتوديعه، ولما دخلت غرفته وجدته قد اكتفىٰ بإيقاد مصباحٍ صغير معلق فوق منضدته الصغيرة لكي يستطيع المطالعة، علىٰ الرغم مِن أن مصابيح بيضاء صغيرة كانت منشورة في أرجاء الغرفة لكنه لم يوقد سوىٰ ذلك المصباح الصغير!

سلّمتُ عليه وقبلتُ يده وقلتُ: أيُّ ليلة هذه يا سيدي؟! قال: «إنّها ليلة عيد الغدير»، قلت: إن الناس يتوقعون من سماحتكم في مثل هذه الليلة العظمية الجلوس في «البراني» لكي يقبلوا يدكم ويتم إظهار السرور في هذه الليلة علىٰ الأقل، فكيف تجلسون هنا وثمة جماعة ينتظرون قدومكم المبارك في البراني؟! أجابني بأذىً: «كيف تقول إنت مثل هذا الكلام؟!» قلت: أليست هذه ليلة عيد الغدير؟ إنكم لم توقدوا حتىٰ المصابيح في غرفتكم! قال: «ألا تعلم مَن فقدنا؟ لقد فقدنا السيد الحكيم، ألا ينبغي اجتناب ما تقول سنة علىٰ الأقل إكراماً لشخصيته؟ هل يمكن أن يكون لنا فرح وسرور بعد رحيل السيد الحكيم؟». خجلتُ مما قلت واعتذرت وقلت: عفواً يا سيدي، لقد جئتُ أنا إلىٰ النجف

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصرالله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٦٥.

لتقديم التعازي بهذه المناسبة، ولم ألتفت إلىٰ تحليكم لكل هذه الدقة، فقال: «يجب علىٰ الجميع حفظ احترام هذا السيد الجليل»[1].

يحذِّر من الأمرِ بإلقاء جميع نسخ تحرير الوسيلة في نهر دجلة

كان الإمام شديد الورع عن العجب والسمعة وإلىٰ درجة تثير التعجب، فمثلاً كتبوا علىٰ غلاف رسالته «تحرير الوسيلة» في طبعتها الأولىٰ في النجف الأشرف لقب «زعيم الحوزات العلمية» الذي كان يُستخدم خاصة للسيد الخوئي، فلما رأىٰ الإمام هذا اللقب مكتوباً علىٰ غلاف رسالته استدعىٰ المسؤول عن الطبع وقال له: «مَن الذي أمركم بكتابة هذا اللقب؟»، ثم قال محذراً: «إذا لم تمحوا هذه العبارة عن غلاف الكتاب فسأصدر أمري بإلقاء جميع نسخه في نهر دجلة»[2].

لم يأذن بتحريم استلام رواتب السيد الخوئي

بعد إخراج الإمام من النجف، جاءت فرح زوجة الشاه إلىٰ النجف الأشرف والتقت آية الله الخوئي الأمر الذي آذىٰ الكثير من طلبة الحوزة وطالبوا بمقاطعة استلام الرواتب التي يدفعها السيد الخوئي للحوزة، ومع تصاعد هذه المطالبات اتصل آية الله الرضواني ـ وكان المسؤول عن بيت الإمام في النجف بعد خروج الإمام منها ـ بالإمام مستفتياً بشأن هذه المطالبات فلم يأذن الإمام للطلبة بتحريم استلام رواتب السيد الخوئي[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٥٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق.

(٣) آية الله الشيخ محمد اليوسفي الغروي، مجلة (حوزة)، العدد:٤٨.

الفصل الثاني

الإمام الأستاذ في ميدان التدريس

القسم الأول: المقام العلمي للخميني الأستاذ

القسم الثاني: تربية تلاميذه على النزعة التحقيقية وحرية التفكير

القسم الثالث: أساليبه في التدريس

القسم الرابع: النظم والجدية والإخلاص في التدريس

القسم الخامس: سيرته في التعامل مع تلاميذه

القسم الأول

المقام العلمي للخميني الأستاذ

نبوغه العلمي العرفاني كاملٌ يثير الإعجاب

لقد كتب الإمام أكثر مؤلفاته العرفانية في الأعوام ٢٣ إلىٰ ٣٠ من عمره الأمر الذي يبين نبوغه العلمي الكامل ويثير الإعجاب حقاً من قدرة شاب بمثل هذا العمر علىٰ التأليف ـ وبهذا العمق ـ في القضايا العرفانية وفي مدرسة محي الدين بن عربي! لا نشك في أنّه كان نابغة وإلاّ لما استطاع تأليف مثل هذه الكتب أيام شبابه[١].

يدرس الفلسفة في إحدىٰ غرف الحرم

طبق ما سمعته من الإمام مباشرة، فإنه كان يقوم بتدريس الفلسفة في البداية في إحدىٰ غرف الصحن الكبير لحرم السيدة المعصومة ـ سلام الله عليها ـ ثم أخذ بإلقاء هذه الدروس في بيته[٢].

---

(١) الدكتور غلام رضا الأعواني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٩٠.

تعمقه في فهم الأحاديث الشريفة

قبل مدة أعطاني الإمام أحد مؤلفاته في الحكمة والعرفان بهدف تبييضه، وكان قد ألفه في سنة ١٣٥٠ هـ.ق، أي وعمره يومذاك (٣٠ ـ ٣٥) سنة، وعندما رأيتُ الكتاب إزددت حباً وإيماناً به، فقد وجدته صنف في سني شبابه كتاباً يصعب علىٰ الحكيم ذي الثمانين أو التسعين عاماً تصنيفه، لقد احتوىٰ كتابه علىٰ حقائق علمية دقيقة تثير إعجاب القارىء: فمثلاً وجدته يناقش تفسيراً يعرضه المؤلف[١] لأحد الأحاديث الشريفة ويقدم تفسيراً آخراً مختلفاً بالكامل بعد دراسة مستوعبة لألفاظ الحديث، أو أنّ المؤلف يفسر حديثاً بما يؤيد عقيدة طائفة معينة، دون أن يُتصور لهذا الحديث معنىً آخر، ولكن الإمام يبينُ معنىً آخراً ببيان جميل وبعبارات قصيرة بليغة[٢].

يتوقف عن تدريس الفلسفة احتراماً لأحد الأساتذة

بدأ الإمام تدريس الفلسفة سنة ١٣٢٤ هـ. ش، [١٩٤٥م] وتابع تدريسها إلىٰ سنة ١٣٢٧هـ.ش، فتوقف عن ذلك احتراماً للمرحوم الشيخ الميرزا مهدي الآشتياني عند مجيئه إلىٰ قم، وبعد مغادرة الميرزا الآشتياني قم ـ لأسباب معينة ـ قام الإمام بتدريس مبحث المعاد فقط من كتاب الأسفار لعدد محدود من التلامذة[٣].

---

(١) كأنه يقصد هنا الشيخ سعيد القاضي القمي الملقب بالحكيم الصغير من أعلام حكماء القرن الهجري الحادي عشر، صاحب كتاب شرح حديث رأس الجالوت وهو حديث الإمام الرضا عليه السلام في جواب العالم اليهودي رأس الجالوت ـ أي أكبر علماء اليهود ـ يومذاك ـ بشأن الكفر والايمان، فقد كتب الإمام تعليقة علىٰ هذا الشرح الموسوم بالفوائد الرضوية اشتمل علىٰ توضيح الإمام للكثير من الحقائق المعرفية والعقائدية والتربوية التي يشتمل عليها هذا الحديث الشريف، وقد طبعت مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني هذا الكتاب النفيس عدة طبعات وقد ألّفه الإمام بالعربية. [المترجم]

(٢) الشيخ حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:١، ص:١٤٥.

(٣) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، المصدر السابق، ج:٣، ص:٢١٦.

ألغىٰ دروسه من أجل هداية المبتلي بالشبهات

المرتبة المتميزة في التبحر في العلوم العقلية التي بلغها الإمام أهلته وهو في عنفوان شبابه لأن يكون المرجع الوحيد في الحوزة العلمية في قم للرد علىٰ الإشكالات والشبهات العقلية المثارة بشأن الإسلام فكانوا يُرجعون إليه من كان يأتي إلىٰ قم في تلك الأيام وهو يحمل هذه الإشكالات ساعياً للحصول علىٰ الجواب الشافي بشأنها، أجل كانوا يرجعونه إلىٰ الإمام علىٰ الرغم من وجود علماء متبحرين من الدرجة الأولىٰ في قم يومذاك.

فمثلاً، حدثَ في سنة ١٣٦٣هـ.ق، أن شخصاً قد جاء إلىٰ قم لمعرفة الحقيقة إثر شبهات زرعها في قلبه المعاندون فزعزعت إيمانه وعقائده الدينية، ولما جاء إلىٰ قم هدوه إلىٰ الإمام فاهتم الإمام بالأمرِ كثيراً وبجدية، واجتهد في دحض الشبهات وإزالة الإشكالات التي تغلغلت في ذهن هذا الشخص، وبلغ من اهتمام الإمام بهذا الأمر أن ألغىٰ دروسَهُ الحوزوية ثلاثة أيام وقد استطاع الإمام في النهاية إبطال تلك الإشكالات وإخراجها من ذهنه وهدايته إلىٰ طريق الحق والحقيقة[١].

تميز عن سائر الطلبة بنشاطه الدراسي وبتقواه

أتذكر أن الإمام أصبح من أساتذة حوزة قم المعروفين وهو لم يبلغ بعد الثلاثين عاماً، وكان متميزاً عن الآخرين، وكان يشارك في المباحثات العلمية المشتركة مع المرحوم الشيخ محمد علي الخوانساري ـ وكان عمره يبلغ ضعف عمر الإمام ـ ومع المرحوم السيد أحمد

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج:١، ص:٣٧.

الزنجاني الذي عُرف بالفضل العلمي والتقوىٰ؛ وكان الإمام يتميز بوسامة الطلعة وبأناقة ملابسه النظيفة والمرتبة للغاية، كما كان يتيمز عن سائر طلبة الحوزة بنشاطه الدراسي وبتقواه[١].

أول الطلبة حضوراً للدرس

كان الإمام هو الأكثر شباباً ـ مع أن عمره كان قد تجاوز الثلاثين بقليل ـ من بين جميع المراجع الذين كانوا في ذلك الزمان طلبة يحضرون دروس والدي اجتهاداً في طلب العلم، وأتذكر جيداً من بين الصور المبهمة لذكريات طفولتي، صورةً واضحة هي أن الإمام كان يسبق الآخرين في الحضور للدرس ويخرج آخرهم، كما أتذكر أنّه كان مؤدباً للغاية ونظيفاً ومرتباً[٢].

كان يكتفي بحسن الإصغاء لما يقوله الأستاذ

قال أحد أصدقاء الإمام وزملائِهِ في الدراسة: عندما ذهبنا مع الإمام من خمين إلىٰ آراك للدراسة فيها، كان الإمام يكتفي بحسن الإصغاء لما يقوله الأستاذ في جلسة الدرس، فلم يكن يطالع ولا يتباحث بشأن موضوع الدرس في حين كان باقي الطلبة يتحملون المشاق لتعمله، ولكن كنا نجد الإمام في اليوم التالي عند بدأ الدرس أفضل منهم جميعاً في الإحاطة بموضوعه، لقد كان يتمتع بهذه المرتبة العالية من الاستعداد والأهلية والذكاء وقوة الحافظة[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضىٰ الصادقي الطهراني، أرشيف مؤسسة.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصرالله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٥٧.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي الخميني، مقابلة تلفزيونية.

أنتم لم تأمروني بالكلام

نقل لي بعض كبار فضلاء الحوزة أن المرحوم السيد البروجردي كان لا يرىٰ جواز البقاء علىٰ تقليد الميت ويعتقد بوجوب تقليد الإنسان للمجتهد الحي، فتصدىٰ للبحث العلمي معه لإقناعه بالجواز إثنان من الشخصيات العلمية المرموقة هما: المرحوم آية الله اليثربي وهو من علماء كاشان ومن تلامذة المرحوم آية الله الشيخ آغا ضياء العراقي وهو من أجلاء علماء النجف، أما العالم الثاني فهو الإمام.

بدأ البحث أولاً المرحوم الشيخ اليثربي لكن السيد البروجردي لم يقتنع بما عرضه من أدلة، وكان الإمام جالساً بحالة مؤدبة للغاية ملتزماً الصمت وكانت هذه هي سيرته، لا يجيب إلا أن يُوجه إليه سؤال، فالتفت إليه السيد البروجردي وقال: لماذا لا تقولون شيئاً أنتم؟ فأجاب: «أنتم لم تأمروني بالكلام»! وهذا الموقف يبينُ عمق التزام الأدب بالأدب إذْ لم يتكلم ابتداءً، كما يبينُ ثانياً تحليه بالتواضع إذْ أجاب: «أنتم لم تأمروني». وعلىٰ أي حالٍ فقد قال له السيد البروجردي: تفضلوا ـ أرجوكم ـ بالكلام، فبدأ الإمام البحث وبعد أن عرض أدلته اقتنع السيد البروجردي وغيّر فتواه، وأفتىٰ بجواز البقاء علىٰ تقليد الميت[١].

دروس الإمام أغنىٰ الدروس العالية في الحوزة

كانت الدروس التي يلقيها الإمام في عهد مرجعية السيد البروجردي وبعد وفاته، أهم الدروس العالية التي تُلقىٰ في الحوزة، فكان الأساتذة الذين كنتُ أتتلمذ علىٰ أيديهم يحضرون دروس الإمام التي كانت تتميز بأنها أغنىٰ وأقوىٰ دروس الحوزة كيفاً وجهةً في عهد مرجعية السيد البروجردي[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد كمال فقيه الإيماني ـ مقابلة تلفزيونية.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي ـ مقابلة تلفزيونية.

عرضوا عليه تقريرات دروس الميرزا النائيني

روىٰ أحد فضلاء حوزة النجف الأشرف، قال: في زيارة للإمام للنجف ـ ضمن زيارته للعتبات المقدسة في العراق ـ جاء أحد السادة العلماء ـ وهو اليوم يُعد من كبار مراجع التقليد للشيعة ـ بتقريرات دروس أستاذه المرحوم آية الله الميرزا النائيني للإمام وعرضها عليه لكي يقرأها ويصححها[١].

عرف الفضلاء أنهم كانوا علىٰ خطأ

عندما انتقل الإمام إلىٰ النجف، كان كبار فضلاء الحوزة الذين حضروا دروس مراجعها يشعرون أن دروسهم لم يعد فيها ما يلبي طموحاتهم وبالتالي فإنّهم قد استغنوا عن التتلمذ علىٰ يد أحد، ولكنهم عندما حضروا دروس الإمام أدركوا أنهم كانوا على خطأ في تصورهم هذا وأن عليهم أن يستمروا في حضور درسه عدة سنين[٢].

متانة أدلته الفقهية والأصولية

عندما حلّ الإمام في النجف كان بعضُ مَن في حوزتها العلمية يتصورون أن شخصيته العلمية ليست قوية لأنّه لم يدرس سوىٰ عند أساتذة حوزات إيران العلمية، لكنهم وجدوا ـ عندما بدأ التدريس ـ أن بحوثه والمباني الفقهية والأصولية التي يعرضها متينة جداً، لذلك جدوا في مساعيهم للدفاع عن أساتذة حوزة النجف بطرح مباني المرحوم النائيني والمرحوم الأصفهاني في مقابل مباني الإمام[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري، مجلة (باسرار اسلام)، العدد: ٣٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي، مقابلة تلفزيونية.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد جعفر الكريمي، مقابلة تلفزيونية.

أثار تعجب شيوخ الحوزة

كانت دروس الإمام في الأصول أغنىٰ من دروس المرحوم آية الله البروجردي، والأهم أنّه عندما انتشرت دروسه في الحوزة العلمية، غطت علىٰ الدروس الأدبية والأفكار التمهيدية للمرحوم النائيني أيضاً، خاصة مع انتشار بحوثه المبتكرة في أبواب الأحكام، فقد أثار ذلك تعجب شيوخ الحوزة الذين حضروا دروس المرحوم النائيني(١).

الأعلم بعد وفاة آية الله البروجردي

عندما زرت النجف الأشرف سنة ١٣٤٢ هـ. ش، [١٩٦٣م]، وحضرت دروس كبار مراجع حوزتها مثل المرحوم آية الله الميلاني، أيقنت أن دروس الإمام أغنىٰ وأنضج، ولذلك أيقنتُ أنّه الأعلم بعد المرحوم آية الله البروجردي، كان نابغة علمية حقاً حتىٰ قبل تفجر الانتفاضة والنهضة، لم يكن يتعب من البحث العلمي، كان يجلس عادة بعد إلقاء درسه ويأتي الطلبة ويوجهون إليه أسئلتهم، كان يضع عمامته علىٰ ركبته في جلوسه هذا بعد الدرس فيبدأ البحث العلمي ويبقىٰ ما دام أحد الحاضرين يعرض إشكالاً أو إبهاماً علمياً(٢).

لم أقرأ هذا الموضوع الذي أدرسه الآن

روىٰ أحد العلماء المعاصرين من الذين حضروا دروس الإمام في شرح كتاب «الرسائل» قائلاً: إن الإمام قال في أحد هذه الدروس: «إن هذا الموضوع الذي أقوم بتدريسه لكم الآن لم أقرأه أصلاً ولم أتباحث

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحسان بخش، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٩٦.

(٢) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

بشأنه»! ورغم ذلك فقد شرح وبيَّنَ لنا هذا الموضوع باطلاع واسع ودقة بالغة أثارت التعجب والإعجاب(١).

يجتهد في البحث والتحقيق لكي يقدم لتلاميذه درساً ناضجاً ومنقحاً

كان الإمام يسخر كل وقته للدراسة والقراءة والبحث العلمي ودراسة الروايات الشريفة ومناقشة آراء العلماء، ثم يقدّم لتلاميذه درساً ناضجاً منقحاً وتحقيقياً، أي أن الثمرة التي كانوا يحصلون عليها من درس يوم واحد من دروسه قد تعادل دروس أسبوع كامل من دروس غيره!

كما كان ماهراً متبحراً في البحث العلمي، ولعلي كنت أنا من طبقةِ ضعفاء تلاميذه وكان فيهم طلبة أقوىٰ مني بكثير كانوا يوجهون له أسئلة أثناء الدرس فكان يبين تفصيلات الموضوع ويجيب علىٰ أسئلتهم فينتقلون إلىٰ مسألة أخرىٰ، فمثلاً كان الإمام يبحث في مسألةٍ من مسائل الصلاة كنا قد قرأنا وبحثنا بشأنها، وأثناء الحديث عنها كان أحد التلاميذ ينتقل إلىٰ مسألة أخرىٰ في باب الزكاة، أو الحج أو الطهارة، ويقول: إنّ المسألة هناك علىٰ النحو الفلاني فيجب أن المسألة علىٰ هذا النحو، وفي مثل هذه الحالات لم يكن الإمام يقول: سنصل إلىٰ هذه المسألة وعندها سأجيب علىٰ إشكالك، بل كان حاضر الذهن بشأن مسائل الأبواب الأخرىٰ فيجيب علىٰ الإشكالات بشأنها في الوقت نفسه، فكنّا نتعجب من سعة اطلاعه وإحاطته بالمسائل المختلفة وإلىٰ الدرجة التي تمكنّه من الإجابة عن أسئلة ترتبط بمسائل خارجة عن الموضوع الذي يدرسه في يومه(٢).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج:١، ص:٤١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي الفيض، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٨٢.

التبحر في الأدب إلىٰ جانب التبحر في فنون المعرفة الإسلامية

. . . قلّما يوجد بين الفقهاء والمجتهدين ليس في هذا العصر بل في العصور السابقة أيضاً، مَن يكون محيطاً بل متخصصاً في جميع العلوم والمعارف الإسلامية، والاندر أن يكون ـ إلى جانب ذلك ـ ذا طبع شاعري عارفاً بفنون الشعر، وأتذكّر أنني عندما قمت بتنظيم وترتيب كتاب «مجاهدة النفس، الجهاد الأكبر» للإمام، أوردت في الهامش بيتاً من الشعر مناسب لقضية أشار إليها الإمام في هذا الكتاب هي أن الكثيرين ينظرون إلىٰ الدنيا بنظرةٍ محدودة لا تتجاوز البعد المادي فيها فلا يتطلعون لما فوق ذلك، والبيت الذي أوردته في الهامش هو:

جوكرمي كه ميان سيب نهان أست   زمين وآسمان أو همان أست[1]

ثم لاحظت أن الإمام كتب بشأن عند مراجعته الكتاب قبل الطبع: «الإتيان بهذا البيت ليس صحيحاً طبق الموازين الشعرية، إلاّ أن يتم تغييره إلىٰ الصيغة التالية:

جوكرمي كوميان بِهْ نهان أست   زمين وآسمان أو همان أست»[2]

الإمام فقيه موسوعي

الإمام فقيه اطلع علىٰ دورة كاملة في المسائل الفقهية، وهذا ما

---

(١) بيت شعر بالفارسية وترجمته النثرية هي:
عندما تكون الدودة قابعة في وسط التفاحة
تكون التفاحة أرضها وسماءها لا غير
وقد نبّه الإمام إلىٰ الخلل في وزن هذا البيت، وغيّر كلمة «سيب» فيه وهي «التفاحة» إلىٰ كلمة «به» وهي «السفرجل» وهذه الفاكهة تُصاب أيضاً بدخول الديدان إليها فلا يتغير المعنىٰ الذي أراده معه الكتاب من إيراد هذا البيت الشعري، [المترجم].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:١، ص:٨٠.

تكشف عنه دراسة كتابة تحرير الوسيلة، نحن لدينا فقهاء اطلعوا علىٰ مسائل العبادات، وفقهاء اطلعوا علىٰ المسائل الفقهية بشأن الأمور المالية والتجارة، وآخرون اطلعوا علىٰ مسائل القضاء أو الحدود والديات أو غير ذلك، أمّا الإمام فقد اطلع علىٰ دورة فقهية كاملة. ومَن يقرأ كتاب تحرير الوسيلة ثم يقرأ كتاب «الجواهر» المشتمل علىٰ دورة فقهية كاملة، أو كتاب «مفتاح الكرامة» مثلاً، يدرك أن الإمام قد اطلع علىٰ جميع هذه المسائل، وعندما أقول «اطلع»، فليس المقصود التصفح بل الدراسة المعمقة للآراء ومناقشتها ورد ما لا يرتضي أدلتها ومبانيها واختيار ما يرتضيهـ. كان الإمام فقيهاً بهذا المعنىٰ[١].

الانشغال بالدراسة دون الغفلة عن القضايا السياسية

تابع الإمام الدراسة ثم التدريس إلىٰ جانب الدراسة إلىٰ سنة ١٣٦٠هـ.ق، ثم انشغل بالدريس والتأليف في العشرين عاماً التي تلت ذلك، لكنه لم يكن غافلاً عما يجري في البلد، كما كان أحياناً يسافر إلىٰ طهران لحضور اجتماعات مجلس الشورىٰ الوطني في تلك الأيام وقد تعرف خلال ذلك بالمرحوم السيد المدرس وباقي الشخصيات السياسية[٢].

لا ينبغي السماح للنشاطات الجهادية بالإضرار بالنشاط العلمي

في خضم تصاعد أوار الجهاد ونشاطات النهضة، وعندما كان الأهالي يأتون إلىٰ الإمام في منزله في قم لزيارته ومراجعته بشأن النشاطات الجهادية، في أحد تلك الأيان زرته لأمرٍ ما فوجدته مشغولاً

---

(١) آية الله السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي، بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٣٧٣هـ.ش.

(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

بكتابة الدروس التي كان يلقيها فقلت: هل تنشغلون يا سيدي بكتابة الدروس في خضم هذه الأوضاع؟ فأجابني: «لا ينبغي السماح للنشاطات الجهادية أن تضرّ بعملنا الأصلي ـ نحن طلبة العلم ـ وهو الدرس والبحث والنشاط العلمي»[1].

يؤلف باللغتين العربية والفارسية

.. لم يكن مألوفاً في ذلك الزمان ماهو مألوف اليوم من أن يؤلف كبار أساتذة الحوزة كتباً باللغة الفارسية، باستثناء الإمام الذي كان يقوم بذلك إلىٰ جانب اشتغاله بالعلوم العقلية والنقلية وتدريسها والتأليف باللغة العربية[2].

ويكتب بالقلم القصبي

كانت للإمام محبرة وكان يكتب بالقلم القصبي، ولذلك فإن جميع مؤلفاته كُتب نسخها الأصلية بهذا القلم، أجل اضطر بعد انتصار الثورة إلى استخدام القلم العادي بحكم اضطراره إلى الكتابة السريعة[3].

يطالع قبل إلغاء الدرس ويكتبه بعده

مما يجلب الانتباه في سيرة الإمام في التدريس هو أنه كان لا يلتقي أحداً ولا يأذن بذلك لأحد قبل موعد إلقاء الدرس، بل ولم يكن يقوم بأي عمل سوىٰ القراءة استعداداً للدرس، كما أنه كان لا يلتقي أحداً بعد مدة من انتهاء الدرس والبحث لأنّه كان يقومُ فوراً بتدوين الدرس

---

(١) آية الله الشيخ حسين علي المنتظري، صحيفة إطلاعات، بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٣٦٧هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ٩١.

(٣) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مقابلة تلفزيونية.

الذي ألقاه، وكنا ـ أنا والسيد الكريمي الذين حالفنا توفيق تصحيح ما كان يكتبه ـ نلاحظ خلو ما يكتبه من أي شطب رغم أنّه كان باللغة العربية[1].

يستثمر العطلة الصيفية للتأليف وتدوين دروسه

كان الإمام ملتزماً بمطالعة دروسه وكتابتها، وكان له برنامج منظم في تدريسه وبحثه، لم يقض أي وقت من عمره بالبطالة، كان يكتب جميع دروسه في فصل الصيف وكل يوم. وقد كتب حاشيته مثلاً علىٰ كتاب «وسيلة النجاة» للمرحوم السيد أبو الإصفهاني في أيام فصول الصيف في مدينة محلات[2].

لم يخبر أحداً بانه يكتب حاشبة علىٰ الوسيلة

كان الإمام يقضي أيام فصول الصيف في مدينة محلات، وينهمك في جميع أوقاته بالبحث والمطالعة والتحقيق والتأليف، وقليلاً ما كان يوافق علىٰ استقبال أحد، وقد عرفنا بعد الثورة أنّه كان منشغلاً في تلك الأيام بالدراسة والتحقيقي لكتاب وسيلة النجاة للمرحوم السيد أبو الحسن الإصفهاني، دون أن يخبر أحداً إلىٰ ذلك الزمان بذلك، وبأنّه يكتب حاشية علىٰ هذا الكتاب[3].

يثني علىٰ كتاب وسيلة النجاة

ألّف الإمام كتابه «تحرير الوسيلة» أيام إقامتِهِ في تركيا، وكان يثني

---

(١) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٢، ص:١٥٣.

(٢) آية الله الشيخ فضل الله المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد١٠.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين المقدسي، الأرشيف الخاص بمؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

دائماً علىٰ كتاب «وسيلة النجاة»، ويقول عنه: «إن كتاب الوسيلة هو فوق كتاب آية الله الميرزا النائيني»، ولكن الشيء الثابت أن مسائل كتاب الوسيلة لم تكن كثيرة فقد أضاف إليه الإمام ما يعادل ثلثه تقريباً[(١)].

كنت قد كتبت حاشية علىٰ الأسفار

سألت الإمام يوماً: هل كتبتم حاشية علىٰ كتاب الأسفار وأين نجدها؟ فقال: «كنت قد كتبت حاشيةً علىٰ الأسفار». وقد اتضح أن عملاء الشاه قد نهبوا مكتبته ـ بعد نفيه ـ وسرقوا حتىٰ مؤلفاته ومنها حاشيته على الأسفار[(٢)].

جديّته في الاستعداد لإلقاء الدرس

كان الإمام جدياً حقاً في تدريسه بمعنىٰ أن كان يطالع استعداداً لإلغاء الدرس وعندما يأتي لإلقائِهِ يكون قد أحاط بموضوعه من قبل واستعد ذهنياً له بالكامل؛ ولذلك كان يجيب بتسلط كامل على الأسئلة ـ أو الإشكالات حسب اصطلاح طلبة الحوزة ـ التي كانت تثار أثناء الدرس، ولا أتذكر أنّه قال في جواب سؤال ولا لمرةٍ واحدة ـ طوال المدة التي كنت أحضرُ دروسه فيها ـ أنّه سيجيب عليه بعد أن يطالع بشأن السؤال المقصود، كان يجيب فوراً عادة، وبالطبع فإن بداهة الإمام في الجواب وذكاءه الاستثنائي عوامل مهمة في تحليه بذلك إضافة إلىٰ ما تقدم[(٣)].

---

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٠٩.

(٢) آية الله الشيخ المحمدي الجيلاني، مقابلة تلفزيونية.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٨٠٠) طالب يحضرون درسه في مسجد السلماسي

.. كان يحضر درس الإمام في ذلك الوقت حدود (٨٠٠) طالب، الأمر الذي كان يؤدي إلىٰ اضطرار قسم منهم للجلوس علىٰ سلالم مسجد السلماسي [حيث كان يلقي درسه] بسبب امتلاء المسجد بالطلبة، وكان هذا العدد يُعدُّ كبيراً للغاية في حوزة قم التي كان عدد المنتسبين إليها يومذاك حدود أربعة آلاف شخص، خاصةً وأنّه لم يكن يحضر دروس بعض الأساتذة أكثر من سبعة أو ثمانية، بل ولم يكن يتجاوز عدد الحاضرين في بعضها علىٰ أربعة من الطلبة[١].

توقف عن إلقاء المحاضرة لكثرة الحاضرين!

تقرر بُعيد انتقال الإمام إلىٰ النجف أن يتحدث ـ في منزله ـ عن حقائق مستنبطة من الأحاديث الشريفة، وقد انتشر الخبر في النجف ووصل الجميع بسرعة بحكم المكانة المرموقة والمتميزة للإمام، وعندما حضر إلىٰ قسم «البراني» من منزله في الليلة الأولىٰ قدموا له كتاب «الوسائل»، وتحدث عن بضع روايات شريفة مروية في هذا الكتاب، وكانت ساحة المنزل قد امتلأت تقريباً! ولكن لم يدم إلقاءُ هذه المحاضرة سوىٰ ليلةً أو ليلتين، وأشك في استمرارها ليلتين، ولكن الثابت أنّه لم يحضر في الليلة الثالثة، وأعتقد ـ حدساً لأنني لم أسأله عن السبب ـ أنّه قد توقف عن إبقاء المحاضرة بسبب كثرة الحاضرين رغم أن في ذلك وجاهة خاصة له، ولكنه كان دائماً يتجنّب مثل هذه الأمور[٢].

---

(١) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:١٠١.

ترك تدريس الفلسفة بعد البدء بتدريس الأصول

مُنذ البداية، كان الإمام يلقي دروسه في علوم الأصول ـ التي حالفني توفيق حضورها ـ في مسجد السلماسي الذي يقع في نهاية زقاق «آغازاده»، وكان الحاضرون فيه من الكثرة بحيث أن هذا الزقاق الطويل كان يبقىٰ مكتظاً بعد ساعات من انتهاء درس الإمام. وقد أدّىٰ انشغال الإمام بهذا الدرس إلىٰ تركه تدريس الحكمة والفلسفة[1].

الظاهر أنّه مبطلٌ للحج

قدم بعض مسؤولي قوافل الحج استفتاءات من مراجع التقليد ـ بواسطتي ـ، وهي بشأن مسألة هي: هل يضرُّ بالحج أن يترك الحاج عمداً نحرَ الأضحية في منى؟ وقد أجاب أحد المراجع علىٰ ذلك بالقول: الظاهر أن حجه صحيحٌ وإن كان قد أثِمَ لتركه ذلك، فسألتُهُ عن الدليل فقال: لأنّ النحر في منىٰ هو من الواجبات «في الحج» وليس من «واجبات الحج»، ولذلك فإن تركه معصية لكنه لا يُوجب بطلان الحج.

ثم عرض هذا الاستفتاء علىٰ الإمام، فقال فوراً: «الظاهر أنّه مبطل للحج»، فقلت: لقد قال أحد السادة أن النحر من الواجبات في الحج وليس من واجبات الحج فلا يبطل الحج تركه، فأجاب الإمام: «إن دليلي علىٰ ما قلتُ هو أن رعاية الترتيب في مناسك الحج بعد الإفاضة من منىٰ من واجبات الحج فإذا لم يقم بأعمال منىٰ كاملة فقد أخلّ بواجب الترتيب، ولذلك يبطل الحج بترك أعمال منىٰ عمداً»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، المصدر السابق، ج:٣، ص:٩٩.

(٢) آية الله الشيخ محمد إبراهيم الجناتي، صحيفة رسالت، العدد الخاص بمناسبة الذكرىٰ السنوية الخامسة لوفاة الإمام.

علّة فرض الزكاة علىٰ القمح دون الرز

من الشبهات المثارة بشأن الأحكام الفقهية والتي دحضها الإمام في كتابه كشف الأسرار هي: لماذا فرضت الزكاة علىٰ القمح دون الرز وهو أغلىٰ ثمناً. وقد ردّ الإمام علىٰ ذلك بجواب يكشفُ سعة اطلاعه علىٰ القضايا وكأنّه كان خبيراً بأمور الزراعة أيضاً، لقد قال: «إن علة فرضَ الزكاة علىٰ القمح دون الرز هي أن زراعة الرز شاقة جداً، أما زراعة القمح فهي ديمية ينثرون بذوره في المزرعة ثم تهطل الأمطار وتنمو، وحتى إذا لم تكن ديمية فإن سقيها يكون بقنوات الري دون مشقة»[١].

استنبطت الحكم من ظاهر الآية الكريمة

أشيعَ في إحدىٰ السنين في النجف الأشرف أنّهم قد غيّروا مكان «مقام إبراهيم عليه السلام» في المسجد الحرام ونقلوه إلىٰ جوار بئر زمزم، ولكن الأمر لم يكن كذلك إذْ أنّ كل ما حدث هو أنّهم غيروا غطاءَ المقام ووضعوا الغطاء البلوري الحالي، ومع ذلك فقد راجت الإشاعة تلك بقوة في النجف وغيرها، ولذلك فقد بعث الكثيرين من الحجاج ومن مسؤولي قوافل الحج الإيرانية استفتاءات إلىٰ مراجع التقليد في النجف بواسطتي، تقول: هل الواجب إقامة ركعتي صلاة الطواف خلف المكان السابق لمقام إبراهيم عليه السلام أم خلف مكانه الجديد (طبقاً لتلك الإشاعة)؟

وقد عرضت هذا الاستفتاء علىٰ المراجع فأجاب كل منهم عليه بجوابٍ معين، فأفتىٰ بعضهم بإقامةِ الصلاة في كلا المكانين احتياطاً، وأفتىٰ بعض آخرٌ بوجوب إقامتها في المكان الأول معتبرين أن «مقام إبراهيم» هو إسمٌ لمكان، ثم عرضتُ الاستفتاء علىٰ الإمام فأجاب فوراً بما يخالف الجوابين المتقدمين، وقال: «تجبُ إقامة ركعتي صلاة

---

(١) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ٢٨٣.

الطواف في المكان الثاني لمقام إبراهيم عليه السلام»، وأضاف: «إن المقام ليس إسماً لمكان الصخرة [التي وقف عليها إبراهيم عليه السلام] بل إسم للصخرة نفسها».

أخذت الجواب ثم أخذت بالتحقيق مساءً في منزلي بشأنه استناداً لما ورد بشأنه من الأحاديث الشريفة فعثرتُ علىٰ حديثٍ مضمونه أن المقام كان لاصقاً بالكعبة ثم حولوه إلىٰ حيث هو الآن، وأن أئمتنا عليهم السلام قد رضوا بالصلاة خلف المقام في مكانه الثاني وصلّوا خلفه[1]، وقد استفدنا من هذا الحديث أن الأصل في المقام هو الصخرة التي وقف عليها فيجب أداء صلاة الطوف خلفها حيثما كانت.

وفي الليلة التالية ذهبت للإمام وسألته عن الدليل الذي استند إليه في الافتاء بإقامة ركعتي صلاة الطوف في المكان الجديد لمقام إبراهيم عليه السلام، قال: «استنبطتُ ذلك من الآية الكريمة نفسها أي قوله تعالىٰ: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىٰ**﴾ [البقرة: ١٢٥]، قلتُ: لقد عثرتُ في كتاب الوسائل علىٰ حديث بهذا المضمون، فهل تتذكرونه؟ قال: كلا، بل استندتُ إلىٰ ظاهر الآية الكريمة نفسها، قلت: هل ترون أن مصداقية وصف المقام الذي يُصلىٰ خلفه هي للصخرة؟ قال: نعم، قلت: فإذا نقلوا الصخرة إلىٰ بلد أخرىٰ، هل يجب السفر إليه للصلاة خلفها؟ أجاب: «نعم، فإذا لم يكن ثمة دليل لبقائها في المسجد [الحرام]، فإن بقاءها ضروري لإقامة الصلاة خلفها».

وبعد أن حصلت علىٰ الجواب النهائي للإمام بشأن هذه المسألة ذهبتُ فوراً إلىٰ منزل ذلك المرجع الجليل الذي أفتىٰ بوجوب الصلاة في

---

(١) راجع وسائل الشيعة للحر العاملي، ج:١٣، ص:٤٢٣. من طبعة مؤسسة آل البيت ذات الثلاثين جزء، الحديث الأول، من الباب ٧١ من أبواب الطف من كتاب الحج. [المترجم].

المكان الأولي لمقام إبراهيم عليه السلام، ونقلت له جواب الإمام واستدلالاته، فقال: هذا هو الرأي الصائب، ثم أمرني أن أجلب له جوابَهُ السابق على الاستفتاء المذكور، فجلبته فغيّر فتواه وجعلها مطابقة لفتوىٰ الإمام وقال: هذا هو الرأي الصحيح، ثم راجعت المرجعين الآخرين اللذين افتيا بالاحتياط وأخبرتهما بما جرىٰ لكنهما لم يغيرا فتواهما السابقة بالاحتياط(١).

لا ينبغي إشغال الناس بمثل هذه الاحتياطات

عن الأمور التي امتاز الإمام أيام تدريسه ومباحثاته الحوزوية مع زملائِهِ، وضوحُ بيانه وسلاسته، كما كان لا يهتم ببعض الاحتياطات في المسائل الفقهية، مثل الاحتياط الشائع في آراء الفقهاء بشأن لزوم اهتمام الحاج بأن يحفظ حالة موازة كتفه الأيسر للكعبة وهو يؤدي واجب الطواف من واجبات الحج، رغم شدة الازدحام حول الكعبة في موسم الحج، أما الإمام فكان يُصرُ علىٰ عدم الأخذ بمثل هذه الاحتياطات ويؤكد أن لا ينبغي إشغال نظر الناس بمثل هذا الاحتياط وهم يؤدون تلك العبادة بحالة معنوية خاصة، فيكفي أن يكون الكتف الأيسر للطائف موازٍ عرفاً للكعبة ولا حاجة للمزيد في الإنشغال بالتدقيق في الأمر، وكذلك الحال مثلاً مع ما يقوله بعض الفقهاء من أن الصائم إذا نظف أسنانه بخلال من عود الكبريت وأخرجه من فمه فإن إرجاعه ثانية إلىٰ الفم وبل الرطوبة الموجودة فيه يؤدي إلىٰ إبطال صومه، فكان الإمام يقول بهذا الشأن: «ما هو مقدار ما يمكن لهذا العود أن يحمله من رطوبة الفم؟ وما هو المقدار الذي يبقىٰ من هذه الرطوبة عن إرجاعه ثانية إلىٰ الفم لكي يصدق علىٰ ذلك عنوان الأكل والشرب؟».

---

(١) آية الله الشيخ محمد إبراهيم الجناتي، صحيفة رسالت، العدد الخاص بالذكرىٰ السنوية الخامسة لوفاة الإمام.

كان الإمام يعتقدُ أن مثل هذه الاحتياطات توقع الإنسان في الوسوسة وتبعده عن الواقعية[١].

متميز في مبانيه الفقهية وفهمه للخطابات القرآنية

كان الإمام يتمايز عن باقي الفقهاء في رؤيته بشأن المباني والأدلة الفقهية ومنهج البحث الفقهي، كما كان يتميز عن الآخرين في طبيعة تفسيره وفهمه للآيات المتحدثة عن قضايا الناس والمجتمع، فمثلاً كان يقولُ بشأن قولِهِ تعالىٰ: **﴿وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**[٢]، «الخطاب في هذه الآية موجه للرأسماليين وكانزي الذهب، فهي تدعوهم إلىٰ الإنفاق في سبيل الله وعدم إلقاء أنفسهم في التهلكة»[٣].

نقد قولي ابن عربي والقاضي القمي

سمعتَ من الإمام يوماً قولَهُ إن المرحوم القاضي سعيد القمي هو في الشيعة نظير محي الدين بن عربي عند أهل السنة. وثمة خلاف ونزاع بين العرفاء والفلاسفة بشأن الاستدلال علىٰ وجود الله تعالىٰ، فالفلاسفة يستدلون بالمجودات والخلائق علىٰ وجود الباري تعالىٰ، وهذا ما يرده العرفاء ويقولون للفلاسفة: إن قولكم هذا يعني أن عالم الخلق ظاهر والله غائب. أما محي الدين ابن عربي فكان يقول: الله تعالىٰ ظاهرٌ ما غاب قط والعالم غائب ما ظهر قط وهذا القول يناقض بالكامل قول الفلاسفة؛ وقد نقله المرحوم القاضي سعيد القمي في كتابه «شرح حديث رأس الجالوت» ونقده وصرح بأن ابن عربي قد وقع في الشرك والغفلة في قوله هذا لأنّه جعل العالم غائباً في مقابل الله الظاهر أي أنّه جعل

---

(١) آية الله الشيخ حسين بُدلا، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٣٠٣.

(٢) سورة: البقرة، آية:١٩٥.

(٣) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر الإمام الخميني.

شيئاً في مقابل الله تعالىٰ إسمه «العالم»، ثم قال: بل إن حق الإيمان الاعتقاد بأنّ الله تعالىٰ هو الظاهر الباطن والشاهد الغائب؛ وأضاف: إن العالم ظاهرٌ بالله خفيٌ بذاته، أي أنّه لو كان للعالم ظهورٌ فهو من فيض الأنوار الإلهية لأنّ الله هو نور السموات والأرض.

وقد تناول الإمام في شرحه لحديث رأس الجالوت بالنقد والتحليل قولي ابن عربي والقاضي القمي، وخاطب القاضي سعيد بقوله: لقد وقعتم أنتم أيضاً في الشرك نفسه الذي نسبتموه لابن عربي، لأنكم وصفتم الله تعالىٰ ـ وتحت عنوان التوحيد الكامل ـ بأوصاف الظاهر والباطن والشاهد والغائب، في حين أن حق المعرفة وكمال التدقيق ومخ الحقيقة أن لا يُوصف بالظهور والبطون (مثلما قال علي عليه السلام: كمال الإخلاص نفي الصفات عنه)[1]، وحيث لم يكن في الدار غيره ديّار فلمن ظهر وعمن غاب؟ وما هو مصداق الأولية والآخرية ولا يوجد غيره؟

الإمام خاطب القاضي سعيد القمي: لقد أُبتليت أنت أيضاً بما انتقدت محي الدين بن عربي، لأنّك أنت أيضاً وصفت الله تعالىٰ بالظهور والبطون، لذلك فإن حق الإيمان أن يعترف الموحد بالعجز والقصور عن الإدراك كما قالَ سيد بني آدم[2]: «ما عرفناك حق معرفتك، لا أحصي ثناءً عليك كما أثنيت أنت علىٰ نفسك»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولىٰ، تعليقات الإمام الخميني علىٰ شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس: ١٥٢، وقد ورد في رواية «كمال التوحيد» بدلاً من «كمال الاخلاص». [المترجم]

(٢) راجع مصباح الشريعة، الباب ٥ في حقيقة العبودية، مرآة العقول في شرح الأصول من الكافي للعلامة المجلس، ٨: ١٤٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكرن الحديث٨، وراجع الفروع من الكافي (دعاء النبي صلى الله عليه وآله في السجود)، ج: ٣، ص: ٢٢٤، كتاب الصلاة، باب السجود، الحديث١٢، وراجع أيضاً كتاب الأربعين حديثاً للإمام الخميني ص: ٧٠، وص: ٢٢٦ من الطبعة الفارسية الثانية والعشرين. [المترجم].

(٣) آية الله الشيخ المحمدي الجيلاني، مقابلة تلفزيونية.

شديد التدقيق في البحث العلمي

كان الإمام يكتب بعض الملاحظات بشأن بعض ما يقوله آية الله البروجردي أثناء الدرس ويسلمها له، وكان السيد البروجردي يأنسُ كثيراً بذلك، فمثلاً قال مرة ـ ضمن الحديث عن إحدىٰ القضايا الفلسفية: الإنسان موجود، الدار موجودة، الحيوان موجود، السماء موجودة. .، فكتب الإمام ملاحظة هي: «القضية ـ في الواقع ـ علىٰ العكس، أي: الوجود إنسان، الوجود دار، الوجود حيوان. . فالوجود ـ في الواقع ـ موجودٌ ولو كان مأخوذاً بصفةِ المحمول». وقد أدخلت هذه الدقة السرور علىٰ السيد البروجردي لكنه لم يقل شيئاً لأنّه لم يكن يمدح عادة أحداً وهو يلقي درسه من علىٰ المنبر[1].

يتعمق في فهم دلالات النصوص الشريفة

كان الإمام يتعمق بدقةٍ في فهم نصوص الأحاديث الشريفة، فكان مثلاً يستدل بمقطعٍ واحد من حديث شريف لإثبات خمس قضايا أحياناً، فكان يتعمق في الحصول علىٰ دلالات النص حتىٰ يتعب النص نفسه من هذا التعمق حسب تعبيرنا!

وكان يقول عن نصوص الأحاديث الشريفة: «من المحتمل أن يكون نص أحد الأحاديث الشريفة مركب من نصوص عدة أحاديث جمعها الراوي في نص واحد». فكان يستدلّ بأحد الأحاديث علىٰ عدة قضايا، وقلّما كان يوجد في الحوزة يومذاك نظيرٌ للإمام في هذه الدقّة في فهم الأحاديث الشريفة[2].

---

(١) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، المصدر السابق، ج:٤، ص:٢٥٧.

الاهتمام بالعرف في مسائل الفقهية

كان الإمام يجتنب ـ في دروسه ـ الخلط بين العلوم ويقول: «ينبغي أن تكون الدروس الفقهية خاصة بالفقه، والأصولية خاصة بالأصول، والفلسفية خاصة بالفلسفة، دون أن تخلط هذه بتلك».

كما كان يرىٰ أنّه: «ينبغي الاهتمام بالعرف في المسائل الفقهية والتخلي عن الكثير من الأقوال النظرية المدرسية المجردة، لاحظوا، ما يقوله العرف في مسائل التجارة مثلاً، فأصول الفقه مقامة عليه»[1].

احتدام النقاش العلمي في مسجد الهندي

ذهبت ذات مساء إلىٰ مسجد الهندي، وهو مسجد يقع في سوق القبلة في النجف ومن أشهر مساجدها، كان يقيم صلاة الجماعة فيه المرحوم آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني مرجع التقليد العام في عصره، ثم فوض لآية الله الشيخ موسىٰ الخوانساري أمر إقامة الصلاة فيه في تلك الأيام كما كان يلقي دروسه فيه أيضاً؛ وكان عددٌ آخر من كبار الفقهاء والعلماء يلقون دروسهم فيه أيضاً، فكانالمرحوم آية الله الحكيم يلقي فيه دروسه الفقهية علىٰ مستوىٰ بحث الخارج.

في تلك الليلة كان آية الله المرحوم الشيخ محمد الكاظميني يلقي درسه المعتاد في أصول الفقه علىٰ مستوىٰ بحث الخارج، فجلستُ في زاوية من المسجد أستمع لدرسه الذي كان يلقيه بصوتٍ جهوري، وأثناء ذلك رأيت سيداً من أهل العلم تبدو عليه سيماء الجلالة وقد دخل المسجد ووقف خلف أحد الأعمدة ـ وكان عريضاً ـ، ثم فرش سجادة صلاة بيضاء صغيرة من جيبه وأخذ يصلي، وقد لاحظت من محل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، المصدر السابق، ج:٤، ص:٢٥٨.

جلوسي ملامحه ـ بمعونة مصابيح المسجد الضعيفة ـ فرأيته طويل القامة ذات طلعة وسيمة ولحية متوسطة الطول سوداء وعمامة متوسطة الحجم أصغر من عمائم بعض علماء النجف وأكبر من عمائم فضلاء حوزة قم التي رأيتها فيما بعد، فكانت عمامته بحجمٍ مناسب.

كنتُ أنظر تارة إلىٰ صلاة هذا العالم الجليل الوقور وأمعن النظر إلىٰ هيبته، وتارة أخرىٰ أنظر نظرة سريعة إلىٰ آية الله الكاظميني وقامته الضخمة وبدنه الجسيم ولحيته الكثة البيضاء كبياض الثلج وقد أحاطت بوجهه الأحمر، وكان صوته الجهوري يتردد في أرجاء المسجد وهو يلقي درسه باللغة الفارسية الممزوجة بالعبارات العربية كما هي عادة بعض مدرسي السطوح العالية فيمزج كلامه الفارسي بعبارات عربية من قبيل: وهو ما أردناه، فالمستفاد مما ذكرنا... وكان الطلبة يحيطون به علىٰ شكل حلقة وقد جذبهم ببيانه وجعلهم يلتزمون الصمت الكامل، فإذا ارتفع صوتُ أحدهم وهو يعرض إشكالاً علىٰ ما يقول أجبره علىٰ السكوت فوراً بجوابٍ متين ومقنع.

في غضون ذلك أتم ذلك السيد الجليل صلاتَهُ ـ وكانت ركعتين فهي إذ صلا تحية المسجد بدون شك ـ ثم انحنىٰ ـ وهو جالس وبيده المسبحة يردد الأذكار بعد الصلاة ـ وأخذ بالإصغاء لما يقول هذا المدرس الجليل من مشاهير أساتذة حوزة النجف؛ وبعد لحظات من الإصغاء أحاط بالموضوع الذي يتحدث عنه الأستاذ فأثار ـ وهو جالس في مكانه وعلىٰ حالته تلك ـ إشكالاً دقيقاً استحوذ علىٰ اهتمام آية الله الكاظميين الذي التفت إلىٰ الجانب الأيمن لكي يرىٰ مَن هو الذي يطرح هذا الإشكال من مكان بعيد عن حلقة الدرس فعرفه بعد أن شاهد قسماً من بدنه فأجاب علىٰ الإشكال لكن هذا السيد العالم لم يقنع، وأشكل علىٰ الجواب، فأجاب آية الله الكاظميني بصوت أقوىٰ واستمر النقاش

حدود خمس دقائق بين الطرفين كل من مكانه دون أن يقنع السائل، أو يتردد المجيب في الجواب، كان المشهد طريفاً للغاية والطلبة الحاضرون ـ وكانت أعرف معظمهم وهم من العلماء والفضلاء المعروفين في حوزة النجف ـ يتابعون هذا النقاش وينظرون تارة إلىٰ الظاهر من بدن العالم المستشكل من خلف عامود المسجد، وتارة إلىٰ الأستاذ المجيب الذي قال بالتالي: أيّها السيد لا يمكن متابعة النقاش علىٰ هذه الحالة! إذا كنت مصراً علىٰ إشكالِك فاقترب منا لمتابعة النقاش بحالة أفضل، فأجاب هذا العالم الجليل بلهجة خاصة تعبّر عن شدة احترامه للأستاذ: «تفضلوا بالجواب من مكانكم، إنني أسمعُ قولكم وأعرض ما عندي».

أثار هذا الموقف تعجب الحاضرين، وعلت همهمة في المسجد، ثم انتهىٰ النقاش، وجمع العالم سجادته الصغيرة وخرج قبل انتهاء الدرس بحالةٍ خاصة من الوقار وهو مطرق إلى الأرض.

وقد انتهىٰ درس آية الله الكاظميني بعد (٤٥) دقيقة، فقمت من مكاني مع قيام الطلبة واقتربتُ منهم، فوجدتهم جميعاً يتحدثون عن مشهد ذلك النقاش الذي احتدم بين أستاذهم وبين ذلك السيد العالم الجليل، وبعضهم كان يبتسم ضاحكاً من طريقة وشكل هذاالنقاش، وبعضهم الآخر لم يكونوا مرتاحين للأمر، وبعضهم الثالث سيطر عليهم التعجب من إصرار السيد علىٰ الإشكال الذي طرحه ـ.

ثم سألت أحد الحاضرين كان يعرفني: مَن هو هذا السيد؟ فقال: ماذا تفعل أنت هنا؟ أولم تعرفه؟! إنّه سماحة الآغا الحاج روح الله الخميني[(١)].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، ص: ٤٤.

القسم الثاني:

تربية تلاميذه على النزعة الحقيقية وحرية الفكر

تفكروا ولا تقنعوا بالقراءة والسماع

من الآثار المهمة التي أوجدها الإمام في الطريقة الدراسية لطلبته هي التي أثمرتها وصاياه الدائمية لهم بأن لا يقنعوا بقراءة الكتب أو كتابة ما يسمعونه في الدرس ومطالعته دون تدبّر، بل عليهم أن يتفكروا فيه بأنفسهم، كان يقول دائماً: «إذا سمعتم شيئاً من الأستاذ فتفكروا فيه، فمثلاً أطفأوا المصباح في الليل وبدلاً من قراءة الكتاب فكّروا في الموضوع الذي تعلمتموه واجتهدوا في تنضيجه واستيعابه من جميع الجوانب»[1].

لا تعطّلوا عقولكم

كان الإمام يطيلُ النقد والمناقشة لأقوال المرحوم الشيخ محمد حسين الكمباني في الأصول لأنّها ممتزجة بالمسائل الفلسفية والفقهية،

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ اكبر الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

فكان يبينها بصورة مستوعبة ويعرض رأيه الخاص بشأنها في الموارد التي له رأيٌ بشأن تلك الآراء. كان يناقش بعمق ودقة أقوال العلماء الكبار ويوصي باستمرار بذلك ويقول: «لا ينبغي أن تصدكم عظمة العلماء الأجلاء عن مناقشة آرائهم، إن كلام العظماء وإن كان عظيماً إلا أن عليكم أنتم أيضاً أن لا تعطلوا عقولكم»[1].

لا تذعنوا لما تسمعونه مني

كان الإمام يناقش بقوة وجدارة في درسه آراء عظماء العلماء الذين بلغوا في البحث العلمي ذرىٰ نضوجه، ولذلك كانت دروسه «مغذية» لزملائنا ومقوية لهم، وإضافة لذلك كان يسعىٰ لبعث الشجاعة العلمية في طلبته بتكرار الوصية لهم بأن: «لا تذعنوا بحالةِ التعبد للأقوال التي تسمعونها مني، فكّروا فيها، ناقشوا الأدلّة حرروا عقولكم واستدلوا بأنفسكم ولا تقولوا: قال الأستاذ! ليكن الأستاذ قد قال شيئاً، عليكم أن تناقشوا أنتم بطاقتكم العقلية هذه الأقوال»[2].

ليكن لكم درسٌ أصلي وأستاذٌ محوري

إقترح بعض الطلبة ـ في أحد الأيام وقبل أن يبدأ الإمام إلقاء درسه ـ بأن يقدمَ بعضَ الشيء موعد درسه لكي يتمكنوا من حضور درس آخر لأحد الأساتذة يبدأ بعد درس الإمام مباشرة، وكان هذا الاقتراح سبباً لأن يوجه الإمام في ذلك اليوم مجموعة من الوصايا المهمة للطلبة منها ما تضمنه قوله: «اجتهدوا في أمر اختيار درس

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٢٥٨.

(٢) آية الله الشيخ أبو القاسم الخزعلي، المصدر السابق، ج:٣، ص:٣٩.

محوري لأحد الأساتذة وليكن اجتهادكم في الاستفادة منه، فإذا حضرتم درساً آخر فليكن ثانوياً إلىٰ جانب ذلك الدرس الأصلي والمحوري، فلا تضحوا بالدرس المحوري من أجل الدرس الثانوي، إبحثوا جيداً واختاروا من بين دروس الأساتذة درساً معيناً يكون محورياً لنشاطكم الدراسي، فالذهاب من هذا الدرس إلىٰ ذاك لا يناسب طالب العلم ولا ينفعه بشيء.

إن الدراسة لا تعني أن يقضي المرءُ عمره في حضور الدروس، أو أن يحضر تدريس الفقه من بابه الأول إلىٰ بابه الأخير، واختاروا أحد أبواب فقه المعاملات، وأحد أبواب فقه العبادات وادرسوا هذين البابين بدقة وعمق ثم إقرأوا بقية أبواب المعاملات والعبادات مروراً، فلا يمكن دراسة جميع أبواب الفقه»[١].

ينبغي زيادة النقاش أثناء الدرس

طلب بعض طلبة الإمام منه أن يوصي في درسه الحاضرين بالإقلال من طرح الإشكالات والمناقشات أثناء الدرس، فأجابهم: «أعتقد أن مقدار طرح الإشكالات والمناقشات أثناء الدرس دون الحد المطلوب وينبغي زيادته»[٢]!!

لا تذعنوا بسرعة لأقوال الأستاذ

قال الإمام يوماً ضمن نصيحةٍ وجهها لنا أثناء إلقائِهِ الدرس في المسجد الأعظم في قم: «تعاملوا دائماً بحالةٍ من سوء الظن مع ما تسمعونه من الأستاذ ولا تذعنوا لأقواله بسرعة، فلا يمكن أن تبلغوا

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨، ص: ٩٥.

(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

الاجتهاد بدون ذلك»!! وأضاف: «إسعوا إلىٰ أن تقولوا: لا، بعد كل قول، تسمعونه من الأستاذ فتردون عليه: إن قلتَ كذا أقول كذا»، ثم دعم قوله هذا بنقل الحادثة التالية: «عندما كتب سماحة الشيخ محمد علي الآراكي تقريرات دروس المرحوم الحاج الشيخ (عبد الكريم الحائري)، قدمها له، وبعد أن قرأها قال له: لقد أجدتَ كتابة هذه التقريرات، لقد أدركت وفهمتَ ما قلته أنا في الدروس، ولكن في هذه التقريرات عيباً واحداً هو أنك لم تستشكل علىٰ ما قلته ولا في مورد واحد، فكيف يمكن ذلك وكلامي ليس وحياً منزلاً لا يمكن نقضه؟!»[1].

من محاسن كتابك الانتقادات العلمية لأقوالي

إن من الكمالات التي تحلىٰ بها الإمام هي أن كان يبعث الحماس العلمي لمتابعة الدراسة لدىٰ طلبته، من خلال طبيعة تعامله معهم وسمو أخلاقه، لقد كتبتُ مرة تقريرات لدروسه أوردت فيها بعض الإشكالات علىٰ ما قاله فيها ثم قدمت له هذه التقريرات فأبقاها عنده عدة أيام، وقد رآني يوماً في الطريق ـ قبل أن يرجعها لي ـ فقال لي ـ بابتسامة خاصة ـ: «لقد قرأتُ كتابك فوجدته جيد جداً، وإن محاسنه الانتقادات التي قمتم بها فيه»، ثم شجعني كثيراً وإلىٰ درجة أثارت فيّ الخجل[2].

إيرادكم لهذه الاعتراضات جديرٌ بالتقدير

لن أنسىٰ الأيام الأولىٰ لحضوري دروس البحث الخارج للإمام؛

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ـ٦.

(٢) آية الله الشيخ حسن القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

كنتُ يومها أكتب ـ وبتشجيع وحث منه ـ تقريرات دروسه الفقهية في أبواب المعاملات تحت عنوان «القواعد الفقهية»، وقد قلت له يوماً ـ ونحن في طريق العودة من المسجد إلىٰ المنزل بعد انتهاء الدرس ـ: لقد أنهيت كتابة مقدارٍ من بحوثكم فهل تأذنون لي بعرضها علىٰ سماحتكم؟ فوافق علىٰ ذلك مرحباً الأمر الذي أثار تعجبي بشدة، فقد وافق علىٰ قراءة ما كتبتُهُ أنا على الرغم من كثرة مشاغله وابتلاءاتِهِ، وبذلك شجعني في الواقع علىٰ متابعة هذا النشاط العلمي.

ثم قدّمت له ما كتبته، وبعد سبعة أو ثمانية أيّام أعاده لي بواسطة أحد السادة وقد أرفقه بصفحتين أجاب فيها علىٰ بعض الإشكالات التي أوردتهاعلىٰ ما قاله في دروسه، وناقشها بدقة! الأمر الذي سرّني كثيراً لأنّه يكشف عن شدة تواضع الإمام لطالب علمٍ أخذ للتو بحضور دروس البحث الخارج!

لقد سرني كثيراً بشدة تلطفه بي ـ وأنا الطالب المبتدىء ـ، فقد وافق بترحيب علىٰ استلام ما كتبته ثم قرأه بدقة، وكتب صفحتين في مناقشة الإشكالات التي أثرتها بل وشجعني علىٰ إيرادها وقال: «إن إيرادكم هذه الاعتراضات أمرٌ جديرٌ بالتقدير»[1]!!

كان يفتح للطلبة مجال المناقشة لأقواله

كان الإمام ملتزماً بالجلوس فترة بعد انتهاء إلقائِهِ الدرس، فكان الطلبة يعرضون عليه الأسئلة ويستمعون لتوضيحاته، وكنت أحد الذين يجلسون عنده لتوجيه مثل هذه الأسئلة، وكان تعامل الإمام في هذه الجلسات التي تُعد خصوصية مربياً للغاية، كان يجيب بكل مودة ورحابة

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الإصفهاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٢٩.

صدر على كل طالب يستشكل على أقواله في الدرس، وكانت هذه الإشكالات تُضاف إلى الاعتراضات التي يوردها الطلبة على أقواله أثناء الدرس؛ لقد كان يجذب روح الطالب إليه ويفسح له مجال التساؤل والمناقشة، وهذا أول ما تعلمناه من دروس الإمام[1].

قرأ تقريراتي بالكامل

كنا نعرض على الإمام ـ بصورة مستمرة ـ ما نكتبه من تقريرات دروسه، فكان يراجعها ويُنقحها، ثم نقومُ بعد ذلك إعادة كتابتها، لقد قرأ تقريراتي لدروسه بالكامل، وكان يجيب على الإشكالات التي أوردتها ـ حسب فهمي ـ على بعض آرائِهِ[2].

هذه أقوالي فأين أقوالك

كان الإمام يسعى إلى أن يصبح الذين يحضرون دروسه أصحاب رأي تجاه ما يسمعونه من الأستاذ فلا يكتفون بسماع الدرس، بل يقومون بمناقشة وتحليل ما يقوله المحاضر.

وقد نقل الإمام مرةً عن أستاذه أن أحد طلبته عرض عليه تقريرات دروسه، فقالَ له: كل ما كتبته هي أقوالي فأين أقوالك؟! إذا لم يكن لديك ما تقوله فاكتب على الأقل بعض الشتائم في الحاشية!! وقد قال الإمام مرة أثناء الدرس: «ليس هذا مجلس للتعزية لكي تكتفوا بالإصغاء! إنّه درسٌ، وما يميزُ مجلس الدرس الإعتراض على ما يقوله المحاضر والإعراب عن الآراء»[3].

---

(١) آية الله الشيخ محمد اليزدي، المصدر السابق، ج: ٤، ص: ٣١٤.
(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، المصدر السابق، ج: ٣، ص: ٢١٥.
(٣) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٥، ص: ١٣٧.

هل هذا درسٌ أم ملجسٌ تابينيٌ

كان الإمام يعتقدُ بأن من الضروري أن يستشكلَ الطلبة علىٰ أقوال الأستاذ أثناء إلقائِهِ الدرس فإذا لم تُثار مثل هذه الإشكالات والأسئلة قال: «لماذا أنتم صامتون؟ هل هذا درسٌ أم مجلسٌ تأبيني؟!».

لكنه ـ وفي الوقت نفسه ـ لم يكن يسمح بتكرار السؤال والجواب بشأن موضوع واحد مرتين أو ثلاث، فإذا تكرر ذلك قال: «ليس هذا مجلس تعزية لكي نكرر فيه الأسئلة والأجوبة نفسها»، وكان يقول أيضاً بهذا الخصوص: «كان في مجلس تدريس المرحوم الشيخ [عبد الكريم الحائري] هذا النقص، أي أن الشيخ كان يتطرق إلىٰ موضوع معين، فيُثير الطلبة بعض الأسئلة ويستمرّ النقاش بشأنها إلىٰ أن ينتهي وقت الدرس دون أن يتم الشيخ كلامَهُ بشأن موضوعه»[1].

من أساليب الإمام في التدريس

كان فسح المجال لسماع الاعتراضات العلمية للطلبة أثناء إلقاء الدرس من أساليب الإمام في التدريس، وكان يحرص علىٰ ذلك إلىٰ درجةٍ كانت تؤدي أحياناً إلىٰ أن يفقد الدرس صبغته الأصلية أحياناً ويتحول إلىٰ نقاش علمي بين شخصين، كان الإمام يرحب باعتراضات طلبته العلمية فإذا لم يسمع شيئاً منها أثناء الدرس وصف الدرس بأنه مثل مجلس عزاء[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنجرودي، مجلة (حوزة)، العدد: ٥٥.

(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

كنا نسمع أصوات احتدام النقاش

كان الإمام في بداية تدريسه البحث الخارج يلقي درسه في أحد المساجد القريبة من الحرم ولعدد محدود من الطلبة، وأتذكّر جيداً أن المرحوم الشهيد الأستاذ المطهري وآية الله المنتظري وأظن المرحوم الشهيد البهشتي أيضاً كانوا يحضرون دروسه يومذاك، وكنا نسمعُ ـ عندما كنا نمرّ علىٰ على المسجد ـ أصوات احتدام النقاش أثناء إلقائِهِ الدرس، فكان الطلبة يتحلون بروح طرح الاعتراضات العلمية، وكان الإمام ـ وهو الأستاذ الجليل ـ يجيب برحابة صدر علىٰ اعتراضاتهم[1].

يشجع الطلبة علىٰ التحقيق والاجتهاد العلمي

إنّ المألوف أن يخيم الصمت علىٰ الحاضرين في مجالس التعزية ويكتفون بالإصغاء بعد أن يصعد الخطيب المنبر ويقرأ التعزية، ولكن الحال يختلف مع الدروس الاجتهادية، إذ أن الواجب والضروري فيها فسحُ المجال للطلبة بأن يعرضوا ما يدور في أذهانهم من أسئلة وإشكالات، وقد حدث مراراً أن يقول الإمام أثناء الدرس ـ عندما يُلاحظ عدم طرح الطلبة للأسئلة ـ : «هذا ليس مجلس تعزية! لماذا لا تعترضون علىٰ ما أقوله؟» كان الإمام بذلك يشجع الطلبة علىٰ التحقيق والاجتهاد العلمي[2].

إعترض علىٰ عدم اعتراضهم

حدث يوماً أن أيّاً من الطلبة لم يناقش أو يستشكل بشيء علىٰ ما قاله الإمام

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي اليثربي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٣٠٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفىٰ الزماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:٨٦.

أثناء الدرس، فاعترض الإمام علىٰ ذلك وقال: «هذا مجلس درس وبحث علمي وليس مجلس وعظٍ وخطابة! لماذا أنتم ساكتون لا تتكلمون»[1].

لا تقبلوا بأي رأي علمي تعبداً

تحدثنا مع الإمام ـ بعيد خروجه من السجن ـ عن أساتذة الحوزة، ومَن الذي ينبغي اختياره، وقد قلت لسماحته يومها: إذا أردتم إضافة أحدٍ إليهم فاسمحوا لنا بالاعتراض والرفض إذا لم نر مصلحة في هذا الاختيار، فنعرب لكم عن آرائنا بصراحة، فقال: «هذا ما أريده، أرغب أن تتحدثوا معي بصراحة».

والصراحة هي من ممزيات الإمام البارزة، وكان يسمح لنا أن نتحدث معه بصراحة، مثلما كان يقول بشأن البحث العلمي: «لا تقبلوا بأي رأي علمي تعبداً بل اذعنوا له بعد المناقشة والتفكر». وكان حاله كذلك في الشؤون السياسية أيضاً[2].

دروسه تربي مجتهدين

كان الإمام يحث طلبته علىٰ البحث والتحقيق العلمي ويفسح لهم المجال للتعبير عن آرائهم العلمية، ويعترض إذا لم يناقش أحداً منهم الآراء التي يبينها في مجلس تدريسه ويقول: «هل هذا مجلسٌ تأبيني لكي تلتزموا الصمت؟!».

ولذلك كانت دروس تربي «مجتهدين» حقاً، وقد وصفها أحد الزملاء في تلك الأيام بقوله: إن الذي يحضرها يشعر ـ من حيث لا يدري ـ بأنّه صار مجتهداً وصاحب رأي في المسائل العلمية، وقد عرفتُ

---

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، المصدر السابق، ج:٢، ص:٢٥.
(٢) آية الله الشيخ أبو القاسم الخزعلي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٤٤.

قيمة دروس الإمام عندما حضرت دروس الأساتذة الآخرين فأدركت عمق ما تتميز به دروسه عن دروسهم[1].

إبعاد الرهبة من مناقشة آراء الأعاظم

كان الكثيرون من فضلاء الحوزة يحضرون دروس الإمام فقط بدافع التحرر ـ بمعونتها ـ من أسر التقليد، لأنّها كانت تربي الطلبة علىٰ النقد للآراء والتحقيق فيها ومناقشتها. كان الإمام يعرض في هذه الدروس آراءَ لبعض الأعاظم الذين يكفي مجرد ذكر أسمائهم للقبول والإذعان لآرائهم العلمية دون أبسط نقاش، لكن الإمام كان يورد عليها أحياناً ما يصل إلىٰ (١١) إشكالاً.

كان لنا أساتذةٌ يربون طلبةً جامدين لا يناقشون الآراء العملية أما الإمام فكان يسعىٰ إلىٰ زرع روح النقد العلمي في طلبته، كان أحياناً يقول ـ إذا لم يناقش أحدٌ ما يقوله رغم مضي ساعة علىٰ بدء الدرس ـ: «ليس هذا مجلس تعزية لكي تكتفوا بالاستماع لما أقوله، ينبغي أن تعلنوا عن وجودكم علىٰ الأقل، فيتضح أنّه يوجد شخصٌ آخرٌ غيري في هذا المجلس»[2].

يشجع الطلبة علىٰ النقاش

كانت هيبة الإمام وقوة شخصيته تسلب الآخرين الجرأة علىٰ مناقشة ما يقوله أثناء إلقاء الدرس لكنه كان يعترض علىٰ ذلك ويشجع الطلبة علىٰ النقاش وينبه علىٰ ذلك إذا مرت أيام دون أن يناقش أحد ما يقوله أو يطالب بتوضيحات له[3].

---

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٥.

(٢) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (بيانم انقلاب)، العدد: ١٦١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٦.

ويصغي لمناقشاتهم

كانت هيبة وعظمة الإمام تسلب من الأشخاص العاديين الجرأة علىٰ وطالة التحدث معه أو التفوه بما يخالف الأدب، أمّا في مجلس الدرس فكان يشجع مَن يناقش أقواله أو يطلب توضيحاً لها علىٰ النقاش برحابة صدر ووجه بشوش وإبتسامة، ويصغي لما يقوله الطالب السائل ثم يجيبه بحالة تبعث السرور والرضىٰ في قلب السائل إضافةً علىٰ حصوله علىٰ الجواب المقنع(١).

كسر حالة الصمت في دروس الحوزة النجفية

كان المألوف في حوزة النجف العلمية أن لا يناقش الطلبة ما يقوله الأستاذ ولا يتكلمون أثناء إلقائِهِ الدرس، وذلك لكي لا يضيع وقت الحاضرين في الدرس في النقاش والإجابة علىٰ أسئلة الطلبة، لكن الإمام كسر هذه الحالة في حوزة النجف، فكان طلبته يناقشون ما يقوله أثناء الدرس وكان هو يجيب علىٰ إشكالاتهم ملتزماً بالإصغاء لها والجواب عليها حتىٰ لو كان بعضها لا يستحق الإثارة(٢).

مكافأة للذين يثيرون الإشكالات العلمية

كان الإمام يشجع الطلبة دائماً علىٰ النقاش والسؤال والانتقاد العلمي إثناء إلقائِهِ الدرس، ولم يكن ذلك يؤذيه أبداً بل علىٰ العكس كان يقلقه أن لا يتكلم الطلبة بشيءٍ أثناء الدرس، وكان يكرر القول:

---

(١) آية الله الشيخ حسن القديري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الهيرواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٢٨٣.

«تعاملوا بنظرةٍ نقدية مع كل رأي يُعرض هنا، فلا ينبغي الإذعان فوراً لأي رأي علمي حتىٰ لو كان صاحبُه من أساطين العلم، بل يجب مناقشته بدقة».

ولذلك كان بعض الأصدقاء يكتبون بعض الإشكالات علىٰ أقوال الإمام فكان ذلك يسره ويعطيهم مكافأة علىٰ ذلك[1]!!

عدم السماح بخنقِ حرية التفكير

من الظواهر التي أوجدها الإمام في حوزة النجف والتي لم تكن مألوفة فيها، هي ظاهرة نقد آراء الأساتذة في الدروس الفقهية، فكانت الأولوية في حوزة النجف لمكانة أصحاب الآراء العلمية وتأتي قضية أدلّة هذه الآراء في مرتبة ثانوية، وهذه الحالة كسرها الإمام، وكان الكثيرون من فضلاء الحوزة يتعجبون من إصغاء الإمام بدقة لمناقشاتهم أثناء الدرس وجوابه عليها في حين لم يكن لأي من الطلبة في بعض الدروس التي حضرناها لأساتذة آخرين حق السؤال أثناء الدرس بحجة أن وقت الدرس مشترك بين الجميع فلا يمكن تخصيصه للإجابة على أسئلة أحدهم، وبهذه الذريعة كانت تُخنق حرية التفكير[2].

يعين الطلبة علىٰ دراستهم

حضرتُ علىٰ مدىٰ ثمانِ سنين دروس الإمام الذي كان يُحيطني بوافر الرعاية واللطف لأنني كنتُ أعرض أحياناً أسئلة أو إشكالات علىٰ بعض المسائل العلمية التي يطرحها، فكان يصغي لها ويجيبُ عليها بلطفٍ ومودة، وهذه الرعاية لم يكن يخصني بها وحدي، بل كان يشمل

---

(١) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٢.
(٢) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد:١٦١.

بها جميع الطلبة الجادين في الدراسة فكان بذلك يعينهم على دراستهم[1].

إهتمامه بتقوية الروح المعنوية السامية في طلبته

كان الإمام كثيراً ما يقرن شرحه لأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام في دروسه الفقهية، بالحديث عن حالاتهم المعنوية السامية عليهم السلام لكي لا يكون حديثه عن بحوث العلوم الإسلامية جافاً بل يكون مفعماً بما يؤدي إلى تكامل الروح المعنوية في الطلبة إضافة إلى الروح العلمية[2].

---

(١) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٥٨.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفى الزماني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ١٧٨.

القسم الثالث

أساليبه في التدريس

أساليبه في التدريس تبعث الروح العلمية في الطلبة

كان يحضر مجلس الإمام التدريسي فضلاء وعلماء حوزة النجف من العرب والعجم، فكان يفسح لهم مجال النقاش والمداخلات، ويقول بعضهم: إن هذه سنة لم يكن يعمل بها الإمام في حوزة قم بل بدأ العمل بها في حوزة النجف، وكان يشارك أحياناً في هذه المناقشات ويسمح لأمثالي بمناقشته، كان يلتزم الصمت إذا احتدم النقاش العلمي بين الزملاء مصغياً لكلامهم إلاّ أن نطلب منه أن يعرب عن رأيه وعندها يدخل في النقاش وبصورةٍ جادة دون أن يكون هدفه إقناعنا أو التملّص من إحراج المناقشات.

كانت أساليبه هذه في التدريس تبعث الاعتزاز والروح العلمية المربية فينا[١].

(١) آية الله الشيخ محمد هادي معرفت، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

يناقش الآراء العلمية بعمقٍ ودقة

كان الإمام محققاً مدققاً في مجال البحث العلمي يناقش الآراء بدقة ويجيب علىٰ الإشكالات، لكنه كان يلتزم الصمت في المحافل التي يكون النقاش فيها جدلياً يُراد منه التفاخر، فلا يتكلم إلاّ إذا سأله أحدٌ سؤالاً[(١)].

يلقي دروسه بكل طمأنينة وهدوء

عندما تفجرت حوادث النهضة سنة ١٣٤٢ هـ. ش، [١٩٦٣م]، كان الإمام يلقي في اليوم درسين، يستغرق إلقاءهما ساعتين ويستغرق التحضير لهما خمس ساعات، كما كان في أغلب الأيام يبقىٰ إلىٰ منتصف الليل منشغلاً في كتابة أجوبة الرسائل والبرقيات والاستفتاءات. وكل هذه القضايا مرهقة متعبة للأعصاب تصيب كل شخص عادي بحالةٍ من التوتر العصبي في تعامله مع الآخرين وأثناء التدريس، أما الإمام فكان يتعامل بكل هدوء وطمأنينة خاصة وهو يلقي دروسه، كان يصغي لأسئلة الطلبة، ويجيب عليها برحابة صدر ولم تشاهد عليه ملامح الانفعال في الأمور العادية أبداً[(٢)].

حرصه علىٰ وقت الحاضرين في درسه

كان الإمام إذا جلسَ في محفل يلتزم الصمت والهدوء إذا لم يكلمه أحد، بل ويمكن القول أنّه لا يتحرّك أبداً طوال جلوسه أجل كان أحياناً يجيب بصوتٍ عالٍ علىٰ أسئلة بعض الطلبة إذا وجد في استمرار النقاش نوعاً من الافراط وتضيعاً لوقت باقي الطلبة الحاضرين[(٣)].

---

(١) آية الله الشيخ إبراهيم الأميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٠٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفىٰ الزماني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ١٨٠.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٦، ص: ٥٢.

يقرن تدريس الفلسفة بتدريس الأخلاق

بدأ الإمام تدريس الفلسفة سنة ١٣٤٧هـ.ق، ولم يكن عمره يتجاوز يومها (٢٧) عاماً، وكان يتحرىٰ الدقة في اختيار الكتاب الذي يقومُ بتدريسه وكذلك في اختيار الطلبة الذين يحضرون درسه، ولم يكن يغفل عن امتحانهم ـ شفهياً وتحريرياً ـ وتهذيب نفوسهم ونضوج خصالهم الأخلاقية، ولذلك كان يقوم بتدريس الأخلاق ـ إلىٰ جانب تدريس الفلسفة ـ، وقد ازداد ـ تدريجيًّاً عدد الحاضرين في دروسه الأخلاقية، ثم أخذ بإلقائها يومين في الأسبوع ـ يومي الخميس والجمعة ـ بعد أن كان يلقي درساً واحداً في الأسبوع[١].

يعرض تلاميذه في الفلسفة لامتحانات ومراقبة مستمرة

بدأ الإمام تدريس الكتب الفلسفية سنة ١٣٤٧هـ.ق، ولم يكن عمره قد تجاوز (٢٧) عاماً، وكان يتحرىٰ الدقة والاحتياط الكامل في اختيار طلبته والكتاب الذي يدرسه، وكان حريصاً علىٰ أن يكون الذين يحضرون دروسه في الفلسفة من الفضلاء الأذكياء وذوي العقائد الراسخة، وكان يعرضهم باستمرار لامتحانات شفهية وتحريرية ويراقب أوضاعهم، فإذا وجد أحدهم غير مستعد لتعلم الفلسفة منعه من حضور دروسه فيها، وقد حدث مراراً أنّه كان يمتنع عن التدريس ويترك مجلس درسه بسبب مشاهدته لحضور أشخاص غير مؤهلين لتعلم الفلسفة قد يؤدي حضورهم تدريسها إلىٰ الانحراف والضلال[٢].

---

(١) مجلة (نورعلم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج: ١.

أتعمد التدريس بهذه الطريقة لكي لا يحضر أمثال هذا

كان الإمام يميز بدقة ـ وبفراسته الخاصة ـ الذين يفهمون ما يقوله أثناء الدرس عن الذين يعجزون عن إدراك المطالب العلمية الدقيقة، ينقل أحد الأصدقاء: راجعني أحد الطلبة الذين كانوا يحضرون دروس الإمام في شرح «المنظومة» وطلبَ مني أن أطلب من الإمام أن يتأنىٰ في تطبيق المباحث العلمية، وقد نقلت للأستاذ (الإمام) هذا المطلب دون أن أخبره بصاحبه، فقال لي فوراً: «أليس الذي طلب هذا هو فلان؟»، قلت: بلىٰ إنه هو، فقال: «إنني أقوم بالتدريس بهذه الطريقة لكي لا يشارك في الدرس أمثاله»[1]!!

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

كان الإمام ـ وببركة روحه النقية وإدراكه الدقيق ـ يميز الذين يحضرون درسوه من أجل التعلم عن الذين يحضرون لدوافع أخرىٰ، فيتعامل مع كل منهم بما يناسبه؛ فمثلاً إذا ناقش أحد الطلبة رأياً قاله الإمام في الدرس تابع النقاش معه إلىٰ النهاية وحرص علىٰ توضيح الموضوع له بالكامل إذا عرف أن أسئلته ونقاشه هو بهدف فهم الموضوع، أمّا إذا رأىٰ أن مناقشاته هي بهدف التظاهر بالفضل العلمي والسمعة تعامل معه بما يناسبه كأن يقول له: هنا مجلس الإصغاء، عليكم بالإصغاء.

نقل الإمام يوماً أثناء الدرس رأياً عملياً لأحد أساطين العلم، فاعترض أحد الطلبة قائلاً: إن ما نقلتموه لا يطابق مفاد كلام هذا العالم! فأجابه الإمام: «هل قرأتَ كلامَهُ بتمعنٍ أم لا؟»، وهنا ابتسم

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين الموسوي الكرماني، مجلة (نورعلم)،الدورة:٣، العدد:٧.

الحاضرون لأنّه لو أجاب بأنّه لم يتمعن في كلام ذلك العالم، لقال له الإمام: إذن لماذا تعترض، قال هذا المعترض: أجل قرأت كلامَهُ بتمعن، وعندها قال الإمام: «إنا لله وإنا إليه راجعون»!! وعندها تحولت إبتسامات الحاضرين إلىٰ ضحك لأنّ معنىٰ جواب الإمام هو: إنك لم تفهم كلام ذلك العالم رغم قراءتك له بتمعن!!

وبالطبع فإن مثل هذه الأجوبة بين الطلبة والأساتذة مألوفة لا تؤذي أحداً[1].

اجتنابه الغرور بسبب مقامه العلمي

لم يُصبْ الإمام بالغرور أبداً بسبب مكانته العلمية، فمثلاً تخلو كتاباته من التعابير التي يستخدمها بعض المؤلفين والتي تكشف عن إصابتهم بالابتهاج والفرح بآرائهم، وحتىٰ إذا كان في كتاباته شيءٌ من هذه التعبيرات فهي قليلة جداً لا أتذكر منها الآن شيئاً رغم أنني قرأت مراراً كتابه تحرير الوسيلة مثلاً، إنني لم أجده يستخدم عبارات تكشف عن مثل ذلك الابتهاج مثل عبارة: لم يسبقني أحدٌ إلىٰ هذا الفهم، رغم أن الإمام قد ربّىٰ ـ طوال فترة تدريسه ـ الكثير من التلامذة الذين يشهدون بسمو مقامه العلمي[2].

لا أعلم!

كنتُ أحضر الدروس التي كان الإمام يلقيها في المسجد الأعظم حيث كان يجلس فترة بعد انتهاء الدرس ويلتف الطلبة حولَهُ، وقد

---

(١) آية الله الشيخ حسن القديري، الملحق الخاص لصحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني.

(٢) آية الله السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي، بتاريخ ١٧/٣/١٣٧٣هـ.ش.

عرضت عليه يوماً إشكالاً انقدح في ذهني، ففكر فيما قلته برهة ثم قال: «يجب أن أحقق في هذا الإشكال»، ولم يجبني علىٰ سؤالي الأمر الذي يكشف عن شدة تواضعه، لأنّ من عادة الأساتذة الإجابة الفورية بجواب ما في مثل هذه الحالات لكي لا يكون في عدم الإجابة إساءة لمكانتهم العلمية في أعين طلبتهم، لكن الإمام قال بكل تواضع: «يجب أن أحقق في هذا الإشكال»[1].

تربية الطلاب علىٰ التحقيق والتحرر من التقليد

كانت خصوصية الإمام في منهجه التدريسي هي أنّه كان يسعىٰ لتربية الطلبة علىٰ قوة الشخصية العلمية والثقة بالنفس والتحلي بالروح التحقيقية في المسائل الفقهية والعلمية والتحرر من أسر التقليد[2].

لا يتعامل بتمييز مع تلاميذه

لم يكن الإمام يتعامل علىٰ أساس التمييز بين تلاميذه، كان يفسح المجال لهم جميعاً لعرض مناقشاتهم أثناء الدرس، أجل كانت قوة الإمام البيانية ومكانته العلمية تجعلانه قادراً علىٰ الإجابة علىٰ التساؤلات والإشكالات المختلفة[3].

قوة إعتقاده بآرائِهِ العلمية

كان الإمام ـ وببركة الأهلية الكاملة التي حباها الله بها والنظرة الثاقبة والاستقامة الفكرية التي تحلىٰ بها ـ يغوص في عمق المسائل

---

(١) آية الله الشيخ محمد علي الموحدي الكرماني.
(٢) آية الله الشيخ غلام رضا الرضواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:١٢٨.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

العلمية بصورة مستقلة، وكان يحدث أحياناً أن يعارض جميع طلبته رأيه في أحد البحوث الفقهية ولكن دون أن تؤدي معارضتهم إلىٰ زعزعة اعتقاده برأيه العلمي.

في أحد الأيام تبنىٰ أحد الفضلاء الحاضرين في درس الإمام رأياً مخالفاً لرأيه فنقض الإمام هذا الرأي ولكن ذلك الفاضل لم يقتنع وأصرّ عن رأيه دون أن يقدم دليلاً لإثباته فلجأ إلىٰ اليمين فقال: والله إن الرأي الصحيح في المسالة هو ما أقولُهُ، فلم يجد الإمام بُداً من الإجابة بنفس منطقه هذا، فقال: «والله إن ما تقوله ليس هو الرأي الصحيح»! وهذا الأمر يكشف قوة اعتقاد الإمام بآرائِهِ العلمية[1].

حسن البيان في إلقاء الدرس

كان الإمام بيانٌ قوي في تدريسه، يبينُ ما يلقيه بأفضل صورة، وكان يحضر دروسه عددٌ كبيرٌ من الطلبة، فكان يعاملهم جميعاً برأفة ومودة[2].

يصغي لجميع الآراء

كان الإمام يفسح المجال لجميع الذين يحضرون دروسه حتىٰ الطلبة الشباب بالإعراب عن آرائهم وإشكالاتهم علىٰ ما يقولهُ ويصغي لكلامه جيداً، وكان بذلك يربيهم علىٰ التحلي بشخصية علمية قوية[3].

---

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٠٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الروحاني، مجلة (زن روز)، العدد:٨٥١.

(٣) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٢٩.

يستوعب بدقة الأقوال العلمية

لاحظت خصلة في الإمام هي حسن الإصغاء وبدقة لمن يحدثه بشيءٍ أو برأي علمي سواء أثناء إلقائهِ الدرس أو في غير ذلك، فيستوعب بصورة كاملة ما يريد أن يقوله الطرف الآخر(١).

يجب إدارة البحث بيد أحد تلاميذه

من خصوصيات الإمام أنّه كان يجلس مع تلاميذه بصورةٍ لا يُستشعر معها بأنه أستاذٌ وهم تلاميذه، كان لا يحب مثل هذه الحواجز، بل كان يجالسهم ويجعل إدارة مجلس البحث بيد أحدهم الأمر الذي يبينُ عظمة روحه(٢).

نحن جميعاً طلبة علم

شاهدنا الإمام يوماً يدخل محل التدريس ثم يخرج بسرعة، فتعجبنا من عدم بقائهِ لإلقاء الدرس، ثم عرفنا أنّه شاهد بعض الطلبة يدرسون ويتباحثون، فلما سألناه عن سبب عودته وعدم إلقائِهِ الدرس أجاب: «وما الذي يميزنا عن هؤلاء الطلبة؟ نحن جميعاً طلبة علم، أردنا البقاء الدرس فوجدناهم قد سبقونا في المجيء إلىٰ هذا المكان، ولذلك فهم أولىٰ بالدراسة فيه، سنأتي غداً فإذا وجدناهم قد سبقونا في المجيء فسننقل درسنا إلىٰ مكان آخر»(٣).

إحترام الشخصية العلمية للتلاميذ

حالفني توفيق المشاركة في دروس الإمام علىٰ مدىٰ عشر سنين لم

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج:٥، ص:١٤٠.

(٢) آية الله السيد رضا بهاء الديني، مجلة (حوزة)، العدد:٣٢.

(٣) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مجلة (حضور)، العدد الأول.

ألاحظه طوالها ولا مرة واحدة يستهين بأحدٍ من الطلبة في حضور سائر التلاميذ، بل علىٰ العكس كان يحرص علىٰ احترامهم جميعاً، وكان يصفهم أحياناً بوصف «الأفاضل»، فقد أعرب أحدهم مرةً عن رأي جديد خلاف رأي الإمام في البحث العلمي الذي كان يقوم بتدريسه، وفي اليوم التالي قال الإمام في الدرس: «صرح بعض الأفاضل بالأمس بالرأي التالي...» فعرض الرأي ونقضه[1]!

يقبل من تلاميذه النقد السليم ويشكرهم عليه

كان النبي الأكرم ﷺ يتعامل مع أصحابه بطريقةٍ تجعل كلاً منهم يتصور أنه أعزّ الأشخاص إلىٰ قلب النبي ﷺ، وكان الإمام يقتدي بهذه السنة النبوية في تعامله مع تلاميذه، كان يحترمهم جميعاً ويسعىٰ بكل جهده إلىٰ تفتيح طاقاتهم العلمية، كان يقبل منهم الاعتراض والرأي الصحيح ويشكرهم عليه، كان يعاملهم وكأنهم أمانة مودعة عنده عليه أن يسلمها سالمة للآخرين[2].

حسن الخلق أثناء التدريس

كان الإمام يتحلىٰ بغاية حسن الخلق أثناء تدريسه، وحتىٰ إذا تعامل مع أحد التلاميذ ببعض الشدة لحكمةٍ معينة قال له بلهجةٍ خاصة: «يا مولانا، لماذا تقول مثل هذا الكلام غير الصحيح؟!»، علىٰ النقيض من بعض العلماء الذين يقولون بصراحة للتلميذ: لقد أخطأت، لم تفهم الموضوع..[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفىٰ الزماني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:١٧٨.

(٢) آية الله الشيخ حسين المظاهري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:١٦٥.

(٣) آية الله الشيخ محمد اليزدي ـ مقابلة تلفزيونية.

إنتبه لمغزىٰ الكلام يا مولانا

كان الإمامُ شديد السيطرة علىٰ غضبه وانفعالاته، فمثلاً كان إذا انفعل أثناء الدرس وأراد أن يصرخ بأحد التلاميذ اكتفىٰ بكلمة: «يا مولانا» ووضع يده علىٰ الأرض، كانت سيطرته علىٰ نفسه مثيرة للإعجاب حقاً ولذلك لم تجرِ على لسانه كلمة قبيحة أبداً، والحد الأقصىٰ أن يخاطب التلميذ بصوتٍ عالٍ بعض الشيء أو يقول له: «إصغِ لما أقول يا سيدي، انتبه لمغزىٰ الكلام يا مولانا»[١].

احترامه لمقامات تلاميذه العلمية

لن أنسىٰ أبداً أن الإمام عاتبني ـ في أيام مراجعته للجزء الأول من كتاب «نهضة الإمام الخميني» قبل طبعه ـ لأنني وضعتُ إسم الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني في آخر قائمة تلاميذه، ونبهني إلى سمو مقامه العلمي[٢].

جلست لسماع الدرس أم لحساب عدد الدبابات؟!

في أحد الأيام كان رتلٌ من الدبابات يمرُّ من أمام باب المسجد في شارع «إرم» أثناء إلقاء الإمام لدرسه، فتابع الإمام إلقاء الدرس وهو يلقي أحياناً نظرات خاطفة إلىٰ رتل الدبابات أمّا أنا فقد كنت أنظر بدقة إلىٰ الرتل وأحسب عدد الدبابات وأنا جالس إلىٰ جانب الإمام وفجأة التفت إليّ وقال: «ما الذي جرىٰ اليوم؟» فقلت بسذاجة: لقد مرت (١٥) دبابة! فقال: «هل جلست هنا للاستماع للدرس أم لحساب عدد الدبابات؟!»[٣].

---

(١) آية الله الشيخ عباس الإيزدي النجف آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٢٩١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (١٥ خرداد)، العدد:١٤.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد واعظ زادة الخراساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٣٠٤.

علىٰ الأستاذ أن يثير التلميذ

كان الإمام أستاذاً مربياً للشخصية العلمية لتلاميذه يحب أن يناقشوا ويعربوا عن آرائهم في المسائل العلمية. تحدثت مرة معه في القسم البراني من منزله عن موضوع «الرياء» واحتدم النقاش بيننا وانفعل هو بعض الشيء. وبعد مدة وعندما كان يقوم بتدريس موضوع «المكاسب» سألته بعد انتهاء الدرس عن سبب انفعاله في تلك الليلة فأجابني ممازحاً: «هذا هو حالنا»!! وكان مقصوده هو أن علىٰ الأستاذ أن يثير التلميذ بمثل ذلك من أجل تربيته علىٰ الاستقامة والمقاومة في البحث العلمي[1].

يمازح أحياناً أثناء التدريس

رغم ما عُرف به الإمام من التزام الصمت وقلّة الكلام، كان أحياناً يتحدث أثناء الدرس ببعض النكت الظريفة وبصورةٍ تجعل الحاضرين يضحكون بصوتٍ عالٍ وهو ساكت دو مبالاة وكأنّه لم يقل شيئاً!

فعلى سبيل المثال حدث مرةً أنّ أحد تلامذته ـ وكان تركياً من أهل آذربيجان ـ أصرَّ علىٰ إشكال طرحه أثناء الدرس فأراد الإمام إسكاته فقال في آخر جوابه بالتركية: «يُخ»[2]، فأثارت هذه الكلمة ضحك الطلبة الأتراك وغيرهم، وانتهىٰ ضجيج النقاش وتابع الإمام إلقاء الدرس دون أن تظهر عليه ولا إبتسامة واحدة[3]!!

التنبيه غير المباشر علىٰ الأخطاء

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصرالله الشاه آبادي، المصدر السابق، ج:٣، ص:٢٦٢.

(٢) آداة نفي باللغة التركية.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:٥٣.

من خصال الإمام البارزة تأسيه بسنةِ النبي الأكرم ﷺ فيما يرتبط بتعامله مع ما يشاهد من عيوب أو أخطاء الآخرين، فكان ينبه ضمن إلقائه الدرس إلىٰ هذه الأخطاء بصورة عامة دون أن يشيرَ إلىٰ أصحابها[1].

سيقولون إن إبن السيد الأستاذ إمي!!

كان الإمام يؤمن بضرورة فسح المجال للمناقشات والأسئلة المثارة بشأن الموضوع الذي يقوم بتدريسهـ. في أحد الأيام أورد المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ الخميني مناقشة ترتبط بإحدىٰ الروايات استشهد بها الإمام وهو يلقي درسه في النجف الأشرف، فأجاب الإمام علىٰ هذه المناقشة والإشكال الذي تضمنته لكن السيد مصطفىٰ لم يقتنع وأعاد توضيح الإشكال الذي أورده مع شرح إضافي، فقال الإمام له ممازحاً: «يا سيد لا تتحدث بمثل هذا الكلام، سيضحك الناس منه ويقولون: إن هذا السيد أميٌ»!! فأجاب السيد مصطفى بصوت عال: لا بأس ليضحكوا من قولي هذا، سيقولون: إنّه ابن السيد الأستاذ، إذا قالوا عني بأني إمي فسيقولون إن ابن السيد الأستاذ أمي[2]!!!

وضوح وبلاغة بيانه التدريسي

كان بيان الإمام التدريسي واضحاً وبليغاً ولطيفاً إلىٰ درجةٍ لا يحتاج معها أي تلميذ إلىٰ السؤال من آخر عن مغزىٰ ما يقوله الإمام في دروسه، فقد كان الإمام يوصل ببيانه الواضح المحبب إلىٰ التلامذة مباشرة ما يريد قوله بصورة كاملة، فكان تلامذته يخرجون من دروسه وهم يحملون صورة واضحة بالكامل عن الموضوع الذي ألقاه الإمام لهم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عبد الكريم حق شناس، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٥.

دون أن يبقى في أذهانهم نقطة غامضة فيما شرحه لهم وإن كان من المحتمل أن يكون بعضهم قد أخطأ في أصل فهم ما قاله(١).

عبارات واضحة وبسيطة

كان الإمام يلقي دروسه ببيان جميل وعبارات بسيطة واضحة ومرتبة تجعل من الممكن لمن يحضر هذه الدروس أن يكتبها بالعربية رغم أن الإمام كان يلقي دروسه باللغة الفارسية(٢).

اجتناب التعقيد والتوضيح بالأمثلة المعاشة

إن أسلوب الإمام في التدريس وكذلك في الخطابات العامة كان يعتمد علىٰ اجتناب العبارات المعقدة والسعي لبيان المفاهيم النظرية والفكرية البعيدة عن إدراك العامة، بعبارات وأمثلة غاية في الوضوح، فكان يجسد بالأمثلة الواضحة المعاشة أدق المسائل العقلية التجريدية البعيدة عن عالم الحس والمادة، ولذلك كانت دروس الإمام وخطاباته تتميز في الوسط الحوزوي بجاذبية خاصة، وقلما كان يوجد حوزوي يستطيع القول: إنني لم انتفع من دروس الإمام، اللهم إلاّ أن يكون فاقداً لأهلية الإستفادة من دروسه(٣).

القدرة علىٰ التفهيم

كان الإمام يتميز بقدرة، عالية علىٰ تفهيم المطالب العلمية وإيصالها إلىٰ أذهان التلاميذ، الأمر الذي جعل طلبة الحوزة وفضلاءها يزدحمون في حضور دروسه وإلىٰ درجة كان مسجد السلماسي يغص بهم فيضطر

---

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن المرتضوي اللنجرودي، مجلة (حوزة)، العدد: ٥٥.

(٣) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ٢١٥.

عددٌ منهم إلىٰ الوقوف داخل الزقاق الذي يقع فيه المسجد أثناء إلقاء الإمام لدرسه[١].

إحترام أصحاب الآراء التي ينقضها

أتذكّر جيداً فيما يرتبط بمرحلة الأعوام السبعة التي تتلمذتُ فيها علىٰ يد الإمام، أنّه كان يجلس طوال مدة إلقائِهِ الدرس متربعاً وبحالةٍ خاصة من الأدب الرفيع، كما كان يظهر في الزقاق والشارع بحالةٍ خاصة من التواضع المقرونة بالوقار والهيبة. كما كان يتحلىٰ بحالةٍ خاصةٍ أيضاً من الإكرام والاحترام للأعاظم من العلماء والفقهاء، فيذكرهم بتجليل وإذا أراد نقض رأي لأحد أساطين الفقه أو الأصول أو الفلسفة، قام بذلك مع حفظ كامل الاحترام لصاحب هذا الرأي دون أن تصدر منه أبسط كلمة يُفهم منها أن صاحب الرأي قد أخطأ الفهم[٢].

استيعاب الموضوع قبل تدريسه

كان الإمام يطالع أولاً الموضوع الذي يريد تدريسه ويبحث في جميع جوانبه ويُمنهج ويرتب تفصيلاته ويستوعبه بالكامل ويكتب رأيه الاجتهادي بشأنه، ثم يبدأ التدريس بنظرة واضحة ويقدم أدلته عليه، وبعبارةٍ أخرىٰ هي أنّه كان يفهم الموضوع بالكامل قبل أن يقوم بتدريسه للآخرين، وهذا أفضل منهج في التدريس وهو يربي التلامذة علىٰ روح البحث والتحقيق.

كما أنّه كان يلتزم بذكر العالم الذي ينقل عنه رأياً علمياً معيناً باحترامٍ خاصٍ، وإذا كان مخالفاً لرأيه شرحه ونقضه مبيناً الأدلة الناقضة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد كمال الإيماني، أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

(٢) آية الله الشيخ محمد الإمام الكاشاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

مع حفظ احترام صاحبه وذكره مع الترضي عليه أحياناً بعبارة «رضوان الله تعالىٰ عليه»؛ كما كان يستبعد الكتب التي لا يراها مفيدة في العملية الاجتهادية مع ذكرها باحترامٍ خاصٍ لمؤلفها، كأن يقول مثلاً: إن رواية كتاب «غوالي اللئالي» غير مسندة ولا يمكن الاستدلال بها[1].

يحترم جميع العلماء

كان الإمام يرجح كتاب رسائل الشيخ الأنصاري علىٰ كتاب الكفاية للآخوند الخراساني ويرجح آراء الشيخ علىٰ آراء الآخوند ويعتقد أن آراء الشيخ أقل تأثراً من آراء الآخوند بالأفكار الفلسفية وأقرب منها إلىٰ الرؤية الفقهية، وكان يولي احتراماً خاصاً للشيخ الأنصاري والشيخ الطوسي وإن كان يحترم جميع العلماء[2].

الجمع بين التقصي للأدلة وبين التدبر في نصوصها

كان المنهج الفقهي للمرحوم الشيخ آية الله الحائري يختلف عن المنهج الفقهي للسيد البروجردي، فكانت الدقة غالبة علىٰ التقصي عند الشيخ الحائري في حين أن الغالب في منهج السيد البروجردي هو التقصي والتتبع [للروايات] والذي كان يحظىٰ ـ في منهج السيد البروجردي ـ بنفس الدرجة من الأهمية التي يحظىٰ بها التدبر في النصوص والاستدلال بها، وقد رجح الإمام منهج آية الله البروجردي بعد حضوره لدروسه علىٰ منهج أستاذه السابق الشيخ الحائري؛ وقد قال لي يوماً: «كان المرحوم الحائري يكتفي بتلاوة حديث واحد أو حديثين من مجموع الأحاديث الواردة بشأن مسألة فقهية معينة، أما السيد البروجردي

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفىٰ الزماني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:١٧٧..

(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص:٢٥٥.

فكان يبحث في نصوص جميع هذه الأحاديث مع مناقشة أسانيدها»[١].

النقد التحقيقي لآراء الأصوليين

حظي منهج الإمام في التدريس باهتمام طلبة الحوزة، وكان منهجه في تدريس الأصول هو أن ينقل أولاً أقوال وآراء العلماء خاصة المرحوم الآغا ضياء العراقي، والمرحوم النائيني، والمرحوم الشيخ الأنصاري، والمرحوم الشيخ محمد كاظم الخراساني، ثم يأخذ بنقد هذه الأقوال والآراء ومناقشتها. ويُعد الإمام مؤسساً لأصولٍ جديدة عرض فيها آراءً مبتكرة لم تعرف من قبل، كما كان نقاداً محققاً للآراء، وكان يشرح ببيان قوي المباني والأدلة الفقهية، وكان يحتم بآراء قدماء الأصحاب، ويولي أهمية خاصة لرجال أسانيد الأحاديث[٢].

نقل الآراء الأخرى كاملة قبل تفنيدها ومناقشتها

كان الإمام لا يستقبل أحداً قبل مجيئه لإلقاء درسه الصباحي إذ كان يقضي وقته إلىٰ موعد الدرس ـ وهو قبل ساعتين ونصف من أذان الظهر ـ في البحث والتحقيق بشأن موضوع الدرس، وكان منهجه في التدريس هو أن يشرح أولاً ما قاله الشيخ الأنصاري مثلاً في الموضوع الذي يبحثه، ثم يستعرض بالكامل الاشكالات والمناقشات التي أوردها المنتقدون لرأي الشيخ علىٰ قوله ودون أن ينقص شيئاً من أقوالهم كما يفعل بعض الأساتذة، ثم يأخذ بردِّ هذه الإشكالات وتفنيدها واحداً تلو الآخر ويقول إن إصحابها لم يدركوا مغزىٰ كلام الشيخ جيداً ولذلك أشكلوا عليه، وبعد هذه المناقشات يعرض رأيه الاجتهادي الخاص[٣].

---

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، المصدر السابق.

(٢) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، مجلة (باد)، السنة الأولىٰ، العدد: ٤، ص: ٤٩.

(٣) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، مقابلة تلفزيونية.

يجب أن أفكر في الموضوع بنفسي

كان تفكر وتدبر الإمام في الأقوال غالب علىٰ التقصي لها والبحث في الكتب، فمثلاً عندما كان يدرس كتاب «المكاسب» حملت له مجموعة من الكتب وقلت له: لاحظوا أيضاً ما في هذه أيضاً فقال: «خذوها جميعاً يجب أن أفكر في الموضوع بنفسي، إن الذي يتتبع كل هذه لا يبقىٰ له مجالٌ لتفكيره هو بنفسه»، ولذلك اختار كتابين فقط من هذه الكتب هما حاشية «صديق» وحاشية أخرىٰ علىٰ المكاسب وأرجع الباقي[١].

الابتكار والتجديد

كان للإمام آراءٌ جديدة في كل موضوع بحث فيه فلسفياً كان أو عرفانياً أو فقهياً أو أصولياً، كان الإمام يبين في هذه الدروس أدلته ومبانيه الخاصة ولا ينقل الآراء الجاهزة للآخرين بل كان يضع قواعد وأسس ومبانٍ جديدة للموضوعات التي يدرسها ولا يقلد الآخرين فيما جاؤوا به[٢].

تربية التلاميذ على روح البحث والتحقيق

من خصوصيات الإمام في دروسه التي كان يلقيها هي سعة الأفق الفكري وعمق النشاط التفكيري الذي كان يلتزم به في بحوثه التي يدرسها، الأمر الذي يدفع تلامذته ـ طواعية أو كرهاً ـ إلىٰ تنشيط اجتهادهم الفكري، فلم تكن دروسه عبارة عن قيام الأستاذ بعرض الأقوال ومناقشتها فقط، بل كان الإمام يجبر تلامذته ـ وضمن عرض

---

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢١٢.

(٢) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، مقابلة تلفزيونية.

الآراء المختلفة ـ علىٰ البحث والتحقيق والتفكر في هذه الآراء والوصول إلىٰ النتيجة المطلوبة.

كان بعض الأساتذة يعرضون آرائهم ثم يتطرقون أحياناً لآراء الآخرين تبعاً، أمّا منهج الإمام فكان علىٰ العكس أحياناً، أي يجعل آراء ونظريات الآخرين محوراً للبحث ويعرض رأيه تبعاً لذلك، ولهذا المنهج تأثيرٌ قويٌ في تعويد التلاميذ علىٰ روح البحث والتحقيق وعلىٰ التعرف أولاً علىٰ آراء الآخرين في الموضوع الذي يبحث فيه لكي يستطيع التوصل إلىٰ الرأي الصحيح[١].

الجرأة العلمية في نقد الآراء المختلفة

كان الإمام قويّ الحجة عميقاً في مناقشة ونقد الأقوال العلمية المختلفة، والذي يستطيع نقد ومناقشة آراء أساطين العلم خاصة المحقق النائيني ويقدم نظرية علمية استدلالية هو حقاً عالم محقق مقتدر.

لقد كان الكثيرون من العلماء الكبار لا يسمحون لأنفهسم بنقد مباني المحقق النائيني وكانوا يقولون بأن: تصور مباني المحقق النائيني هو عين التصديق بها[٢]!!

لا شأن لنا بشخص القائل إنتقادنا هو للأقوال

كان الإمام يتحلىٰ بدقةٍ كاملةٍ في نقد آراء ونظريات الأساتذة السابقين ومناقشة أقوال الفقهاء والأصوليين المتقدمين، فلم تكن عظمة ومنزلة أي عالمٍ تمنعه من التعمق في نظرياته وآرائِهِ وتوضيح نقاط ضعفها

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ٢٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنجرودي، مجلة (حوزة)، العدد: ٥٥.

ونقدها. وكان يحدث مراراً أن يقول له مثلاً بعض الحاضرين في دروسه: إن هذه الأفكار الفقهية أو الأصولية التي تنسبها إلىٰ المرحوم المحقق النائيني وتنقضها لم يقل بها المحقق النائيني! وأن ما فهمتموه من أقواله غير ما يقصده منها. فكان الإمام يجيب علىٰ هذه الاعتراضات قائلاً: «لا شأن لنا بالأشخاص، هذه الانتقادات واردة علىٰ هذه الأقوال أيّاً كان القائل بها».

كان الإمام يسعىٰ إلىٰ تربية التلاميذ بطريقة تجعلهم محققين لا تسيطر عليهم عظمة وهيبة العلماء فتمنعهم من النقد والابتكار، وقد أدت هذه الميزة إلىٰ نضوح الشخصية العلمية للكثير من تلامذته[1].

كسر حالة الجمود والتقليد لآراء الأكابر في العمل الاجتهادي

في الأيام الأولىٰ لإقامة، الإمام في النجف الأشرف، طلبوا منه أن يبدأ التدريس فسألهم: «هل يكون البحث هو بالدرجة الأولىٰ حول القواعد أم حول الروايات ونقل الأقوال والآراء»، فاتفقت كلمة الأخوة علىٰ الإعراب عن رغبتهم في البدء في البحث حول القواعد، أي علىٰ وفق منهج الشيخ الأنصاري في كتاب «المكاسب» حيث بدأ فيه من مبحث «البيع».

وبذلك أوجد الإمام تحولاً علمياً في النجف ـ أو فينا كحد أدنىٰ ـ أثار إعجابنا به وزاد من تعلقنا به أكثر وأكثر، فقد كانت أقوال ونظريات العلماء والأكابر في الفقه تُحاط بسياجٍ من التقديس، وكنا إذا قلنا هذا هو رأي المرحوم النائيني، لكان ذكر هذه النسبة كافياً للاستدلال علىٰ صحة هذا الرأي!

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:٢٨.

أجل كانت شخصية أصحاب النظريات العلمية مؤيرة إلىٰ هذه الدرجة في قبول نظرياتهم دون مناقشة الأمر الذي أخرج الاجتهاد الفقهي من الحالة التحقيقية وحبسه في دائرة التقليد، ويُقال إن هذه الحالة طرأت علىٰ اجتهاد الإمامية بعد الشيخ الطوسي واستمرت إلىٰ عصر ابن إدريس الحلي وهو العالم الجليل الذي كسر هذه الحالة وبدأ [مرحلة جديدة من] الاجتهاد التحقيقي، وقد ظهرت هذه الحالة مرةً أخرىٰ مؤخراً، وأصبح القول بأن هذا الرأي الفقهي هو قول المرحوم الآغا ضياء العراقي أو المرحوم النائيني أو الشيخ حبيب الله الرشتي أو المرحوم الفشاركي الاصفهاني أو الميرزا [المجدد الشيرازي] أو الشيخ [الأنصاري]، يكفي لإيجاد حصانة لهذه الآراء، ولذلك لم يكن الطلبة ـ من أمثالنا ـ يتجرأون علىٰ طرح رأي مخالف لآراء هؤلاء الأعاظم أو مناقشتها والتحقيق بشأنها، وهذه الحالة كسرها الإمام وأوجد تحولاً فتح به باب مناقشة آراء أساطين العلم وعلّم أهل التحقيق والفقاهة درس كسر هذه الحالة من الجمود والتقليد لآراء ونظريات الأكابر[1].

عرفنا بوجود عالم أصولي أقوىٰ من المرحوم النائيني

هيمنت ـ في تلك الأيام ـ آراء ونظريات المرحوم النائيني بقوةٍ علىٰ الحوزة وإلىٰ درجة قلّ فيها مَن يتجرّأ علىٰ نقد هذه الآراء والنظريات، وكان يُقال للحوزي الذي لم يقرأ تقريرات دروس المرحوم النائيني بأنه لا حظ له في علم الأصول! ولذلك كان المألوف في الحوزة لزوم أن يطلع الطلبة علىٰ الآراء الأصولية للمرحوم النائيني بعد دراسة كتب الأصول الدراسية؛ وإلاّ قيل عنه بأنّه لا حظّ له من علم الأصول حتىٰ لو كان عارفاً بالأفكار الأصولية للمرحوم الآخوند الخراساني أو الشيخ مرتضىٰ الأنصاري.

(١) آية الله الشيخ محمد هادي معرفت، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

أمّا الإمام فقد كان له منهجٌ آخرٌ أزالت معرفتنا له عنا تلك التصورات وعرفنا حقيقة أنّه يوجد عالم له نظريات أصولية أقوىٰ وأغنىٰ من نظريات المرحوم النائيني. ورغم أننا كنا قد درسنا نظريات وآراء المرحوم النائيني وعرفنا أفكاره إلاّ أننا عندما كنا نسمع من الإمام مناقشاته العلمية التحقيقية لهذه النظريات والأصول التي كان يعتقد بها المرحوم النائيني كنا نجد أنفسنا أمام بحر من العلمِ حقّاً[(١)]!

المناقشة الجذرية للنظريات العلمية

لم يكن للإمام ـ قبل بدأ النهضة ـ شغلٌ سوىٰ النشاط العلمي والبحث والتحقيق والتدريس والتأليف، فكان يخصص جميع أوقاته لذلك، وكان درسه الفقهي يستغرق أحياناً ساعة ونصف الساعة دون أن يشعر هو أو التلاميذ بالتعب! فقد كانت التحقيقات والالتفاتات العلمية الدقيقة النابعة من ذهنه النقي السليم لذيذة ومقبولة إلىٰ درجة لا تبقي في أذهان التلاميذ أي غموض، خاصة وأن منهجه في البحث كان يتميز بخصوصية مهمة هي أنّه كان يبحث في القضايا العلمية خاصة مسائل علم الأصول بصورةٍ معمقة ويتناولها بالمناقشة الجذرية، ولذلك كان يتضح لنا في أغلب البحوث أن الطريق والنهج الذي سلكه الآخرون لم يكن سليماً من الأساس، وأن الرأي السليم هو ما كان يبينه الإمام[(٢)].

مناقشة موضوع البحث من جميع الجهات

كان الإمام ينقل ويناقش آراء جميع الأكابر من العلماء، فيقض كلاً منها بأدلةٍ قوية ويكمل الصحيح منها، وبمنهجية تجعل الذين يستوعبون دروسه من تلاميذه قادرين علىٰ الصمود بوجه أي نقاش علمي مهما كان

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحسان بخش، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٩٦.

(٢) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

الطرف المقابل فيه متبحراً، وقد دخلتُ بنفسي في مثل هذه النقاشات مراراً ومع شخصيات علمية جليلة بعضهم كانوا بمستوىٰ المرجعية في التقليد ـ وقد انتقل عدد منهم إلىٰ رحمة الله ـ، فكانوا يسألونني: عند مَن تدرسون؟ فكنتُ أقول: عند الإمام، فكانوا يقولون: وما هو الموضوع الذي تدرسونه الآن؟ فأقول: الموضوع الفلاني، وعندها يبدأ النقاش حول هذا الموضوع: فيبذلون كل جهدهم في النقاش دون أن يستطيعوا التغلب علينا رغم أنّهم كانوا بمستوىٰ المرجعية ومطلعين علىٰ المسائل العلمية بالكامل، وكنا نحن في طبقة تلاميذهم، ومع كل ذلك لم يكونوا يستطيعون التغلب علينا في نقاش علمي بشأن موضوع شرحه لنا الإمام بجميع أبعاده، ولا أتذكر ولا حالة واحدة كانت الغلبة لهم علينا في نقاش بشأن موضوع علمي استندنا في النقاش علىٰ المباني والأدلّة التي بينها لنا الإمام في دروسه ـ.

لقد امتاز الإمام بمناقشة كل موضوع من جميع الجهات وتناول جميع الاستفهامات والإشكالات وردها وإثبات رأيه، وهذه خصوصية مهمة في الحوزة وعالم التدريس والتعليم، ولذلك نا نعتقد مُنذ تلك الأيام أن الإمام أفقه مراجع العصر[1].

تكرار الأفكار الجديدة

كان الإمام يؤمن بقوةِ الشخصية العلمية لتلاميذه الذين درسهم في قم لأنّه قام بتدريسهم علىٰ مدىٰ سنين طويلة وربّاهم علىٰ وفق ما أراد، فقد قلت له يوماً: إن تلامذتكم محرومون من دروسكم، فقال: «لقد بلغوا مراتب في العلم يستغنون بها عني عندما يجلسون للتباحث العلمي فيما بينهم».

---

(١) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص: ٢٦٥.

وعندما بدأ الإمام التدريس في النجف، كانت البحوث والأفكار التي يشرحها جديدة للغاية علىٰ حوزتها ولذلك كان من الصعب علىٰ العديد فهمها واستيعابها، وقد قال يوماً عن هذه الأفكار: «هذه الآراء من الآراء العادية التي أعرضها في حوزة قم، وإنني سأكررها عليكم هنا ـ في النجف ـ حتىٰ تصبح عادية بالنسبة لكم أيضاً»[1].

عرض المسائل بصورة قطعية جزمية

من مميزات منهج الإمام في التدريس هي أنّه كان يعرض المسائل بصورةٍ قطعية جزمية، فنحن لدينا منهجان في التدريس: الأول، المنهج الديالكتيكي (الجدلي)، وفيه يكون تناول المسألة بطريقة السؤال والجواب وينتهي البحث والتدريس بذلك، وكان آية الله المرحوم البروجردي يعمل بهذا المنهج، فكنا نعرض عليه في جلسة الدرس أسئلتنا وكان هو يقول شيئاً في الإجابة عليها، أي انه كان في الواقع يستعين بالتلاميذ في تفهيم المسائل وشرحها، وهذا المنهج هو المعروف بالمنهج السامرائي.

أما المنهج الثاني فهو منهج عرض المسائل بصورةٍ جزمية صريحة، وكان الإمام يعمل بهذا المنهج في دروسه فكان يعرض المسألة بلغةٍ حازمة واضحة ثم يتناول آراء العلماء ويضيف عليها رأيه، ثم يبدأ بعرض وشرح استدلالاته، فهو لم يكن يطرح المسائل بلغة الترديد[2].

البحث في أدلة المسائل أولاً

كانت دروس الإمام تحقيقية معمقة، فقد كان يولي البحث والتحقيق

---

(١) آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٨/ ٣/ ١٣٧٣هـ.ش.

(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢١٢.

والتبحر في الموضوعات أهمية كبرىٰ، ولذلك كان يبدأ أولاً بالبحث في مدلولات أدلّة كل مسألة قبل عرض أقوال الفقهاء بشأنها ويقول: «ينبغي أولاً أن نعرف ما الذي نفهمه نحن من أدلة المسألة»، وبعد ذلك يبدأ بمناقشة آراء الآخرين[١].

اجتناب الأطناب

من الممزيات التي امتاز بها قلم الإمام ومؤلفاته الإيجاز والخلو من الإطناب، فهو يشير إلىٰ المسألة ويبينها بإيجاز دون تفصيل في شرحها، وهو عادة ما يذكر آراء جميع أساتذته في كل مسألة ثم يبين بعد ذلك رأيه هو[٢].

قبول الرأي الصحيح أياً كان صاحبه

رغم أن الإمام كان بمنزلة الأب لتلامذته وجميع طلبة الحوزة، إلاّ أنّهم كان يعاملهم وكأنه من أترابهم وأصدقائهم، فلم يكن يإنف من سماع الكلام والرأي الصحيح من أي منهم، كان يصغي لآراء الجميع ويأخذ بالصحيح منها ويعرض عن الرأي غير الصحيح. كما لا تلاحظ فيه ـ وهو في مقام الأستاذية والتدريس ـ أبسط مظاهر الغرور العلمي، كان يقول دائماً: يحتمل أن يكون الرأي صحيح علىٰ هذا النحو أو ذاك[٣].

---

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٥.

(٢) الدكتور غلام رضا الأعواني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الإصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:٩٠.

القسم الرابع

النظم الجدية والإخلاص في التدريس

يجيب علىٰ الأسئلة وهو يمشي

كان درس الإمام الصباحي يبدأ في الساعة الثامنة، وكان حساساً للغاية في الالتزام بعدم التأخر عن هذا الموعد، ولذلك لم يكن يسمح لأحد بأن يوثقه وهو في طريقه إلىٰ الدرس للتحدث معه بشأن أمر ما، فكان يتحدث ويجيب علىٰ الأسئلة وهو يمشي باتجاه محل إلقاء الدرس، ولم تكن توجد يومها في قم حافلات للنقل لا الصغيرة منها ولا الكبيرة، أجل كان يوجد عدد محدود من العربات الصغيرة التي تجرها الخيول، ولذلك كان بعض تلامذته يضطرون للمشي حدود الساعة للوصول إلىٰ محل إلقاء الدرس وقد تعلموا من أستاذهم أن يقضوا هذا الوقت في التباحث العلمي مع زملائهم وهم يسيرون[1].

يحضر الدرس قبل تلاميذه

عندما كنا نحضر دروس الإمام في مسجد السلماسي، كنا قليلاً ما ندخل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفىٰ الزماني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:١٧٧.

المسجد قبل موعد بدء الدرس ونجد الإمام مستعداً لإلقاء الدرس، وقد حضر قبل أكثر تلاميذه وجلس علىٰ المنبر أو السجادة استعداداً للتدريس[1].

إن روح الله هو روح الله حقاً

حضرت دروس الإمام الفقهية والأصولية علىٰ سطح البحث الخارج علىٰ مدىٰ حدود ثمانِ سنين، وكنت ألاحظ التزامه بالحضور في ساعةٍ معينةٍ لإلقاء الدرس، وكان بعض الطلبة يتأخرون دقائق عن موعد الدرس ـ أيام تدريس الإمام في مسجد السلماسي ـ بسبب مجيئهم لدرسه من درس آخر كانوا يحضرونه قبل ذلك، وكان هذا التأخير يؤذي الإمام وينبه المتأخرين أحياناً. وكان الإمام معروفاً ـ في أيام دراسته ـ بشدة التزامه بالنظم وحضور الدرس في الموعد المحدد، وقد أشاد بذلك أستاذه في الأخلاق آية الله المرحوم الشاه آبادي وقال: إن روح الله هو روحُ الله حقاً، لم أره ولا مرة واحدة يحضر للدرس بعد البسملة، إنه يحضر دائماً قبل أن أبدأ الدرس بالبسملة[2].

يوصي بالحضور للدرس في موعده

إتذكرُ أن الإمام قال مرة بشأن الحضور للدرس: «إذا كان هدفكم من الحضور إلىٰ هنا هو الدراسة فالتزموا بالحضور في الوقت المحدد لبدء الدرس، أمّا إذا كان هدفكم الحصول علىٰ ثواب الجلوس في المسجد، فإنّه توجد مساجد أخرىٰ لذلك»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٥، ص: ٢٣.

(٢) آية الله الشيخ مرتضىٰ بني فضل، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٩، ص: ٣٩.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

يتأذىٰ من التأخير

بسبب حضورهم لعدة دروس، كان بعض الطلبة يتأخرون أحياناً في حضور درس الإمام، الأمر الذي كان يؤذيه، وقد قال يوماً: «أنا لا أدعوكم لحضور درسي، لكنني أقول: إسعوا للحضور في الموعد المحدد لأي درس ترغبون في حضوره، فالدرس ليس مجلس تعزية لكي تكونوا فائزين بثوابه متى وصلتم إليه»(١).

حضوركم درسي ليس واجباً

إن الذي جذبني إلىٰ الإمام شدة التزامه بالنظم الدقيق، فمثلاً كان يحضر دائماً في الساعة الثامنة صباحاً لإلقاء درسه الصباحي، وكان بعض الطلبة يطلبون منه أحياناً التأخير أو التعجيل في بدء الدرس فكان يرفض ويقول: «لا يجب عليكم حتماً حضور درسي، إذهبوا إلىٰ مجالس أخرىٰ للتدريس، لا حاجة لأن يحضر طالب العلم جميع هذه الدروس»(٢).

من أبرز خصوصيات دروس الإمام

يُعد النظم من الخصوصيات المهمة لدروس الإمام، فقد كان ملتزماً بنفسه بالحضور في الموعد المحدد لبدء الدرس وكان يتوقع من تلاميذه الالتزام بذلك، وكان يتأذىٰ من دخول بعضهم وسط الدرس أحياناً ويقول: «ليحضر طالب العلم درساً واحداً لا أكثر في اليوم ولكن عليه أن يجيد دراسته ويلتزم بحضور الدرس مُنذ بدايته»(٣).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنجرودي، مجلة (حوزة)، العدد: ٥٥.

(٢) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٣، ص: ٥٢.

(٣) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٥، ص: ٥٠.

ينبغي أن يقترن حضور الدرس بالتفكر

من المألوف أن يحضر طلبة العلم عدة دروس في اليوم ولكن الإمام لم يكن مرتاحاً لذلك فكان يقول: «إذا أراد طالب العلم أن يحالفَهُ التوفيق في دراسته، فلا ينبغي له أن يكثر من الدروس المتعددة التي يحضرها، يكفيه حضور درس واحد أو درسين، وأكثر من ذلك لا ينفعه بشيء، بل هو مضرٌ له، لأنّ حضور الدرس يجب أن يكون مقترناً بالتفكر والتعمق والابتكار لا أن يقتصر علىٰ مجرد الحضور والسماع والكتابة»[١].

الالتزام بالدرس في ظل هجوم السافاك

إمتاز الإمام ـ ضمن ما امتاز به ـ بشدة الاهتمام بأمر الدرس، ولذلك كان يلتزم الحضور في موعده المحدد دون أدنىٰ تأخير ولا لدقيقةٍ واحدة، كان يقوم بالتدريس في المدرسة الفيضية في أعوام الإرهاب، وفي أحد الأيام هاجم جلاوزة منظمة الأمن الشاهنشاهي (السافاك)، وكان الإمام وجميع تلاميذه قد حضروا للدرس، ولما رأينا هجوم هؤلاء الجلاوزة تصورنا أن الإمام سيُعطل الدرس، لكن الإمام ـ وخلافاً لتصورنا ـ جلس علىٰ التراب في صحن حرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام عليها السلام] وبدأ بإلقاء درسه[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنجرودي، مجلة (حوزة)، العدد: ٥٥، ولا يخفىٰ أن المقصود هنا هم طلبة البحث الخارج الذين أكملوا دراسة المقدمات وتأهلوا لحضور الدروس العالية التي يتمرنون فيها علىٰ الاستنباط الفقهي والاجتهاد الأصولي. [المترجم].

(٢) آية الله الشيخ حسين النوري، مجلة (زن روز)، العدد: ٨٥١.

يأمر ـ من السجن ـ باستئناف الدراسة

عندما زرت الإمام للمرة الأولىٰ في سجن «قصر» أردت اطلاعه علىٰ الأوضاع بصورةٍ غير مباشرة، فقلت له: هل تأذنون يا سيدي ببدأ الدراسة في الحوزة؟ قال: وهل توقفت الدراسة في الحوزة؟! قلت: بلىٰ، قال: «قولوا لهم أن تستأنف الحوزات دروسها»[١].

لا تعطلوا الدرس حتىٰ إذا لم نستطع الحضور

كان الإمام ملتزماً بعدم تعطيل الدروس لأي سبب، وكان يتأذىٰ بعمق إذا تعطلت لذريعة ما ويقول لنا: «إذا لم نستطع نحن الحضور للدرس، فلا تعطلوه، تابعوا أنتم الدراسة»[٢].

النظم يبارك الأعمال

كان الإمام ينقل عن أستاذه المرحوم آية الله الشيخ الشاه آبادي أن صاحب كتاب الجواهر كان قد وضع برنامجاً لتأليف هذا الكتاب، فكان يكتب كل ليلة مقداراً منه، وكان له ابن من أهل العلم والفضيلة يحبه كثيراً وقد توفي هذا الإبن، وتأخر تشييع جثمانه ليلةً فوضعوه في غرفة وقد جلس والده في تلك الليلة إلىٰ جانب الجنازة حيث كتب من كتابه الجواهر المقدار الذي اعتاد كتابته كل ليلة!!

وكان الإمام يقول بعد نقل هذه الحادثة: «علىٰ السادة أن يجتهدوا في العمل ويتحملوا الشاق وينظموا أعمالهم فإن النظم وتقسيم الأوقات يؤدي إلىٰ مباركة الأعمال ومضاعفة ثمارها»[٣].

---

(١) آية الله السيد مرتضىٰ بسنديدة، أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٥٣.
(٣) آية الله الشيخ حسن القديري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ١٠١.

درس تربوي من سيرة صاحب الجواهر

دخل الإمام ذات يوم مسجد الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف في الموعد اليومي المعتادَ لإلقائِهِ الدرس، لكنه وجد أن عدداً من الطلبة لم يحضروا بعد، توجه كعادته إلىٰ المنبر وجلس عنده دون أن يرتقيه تمهيداً لإلقاء الدرس، لأنّه لاحظ غيبة عددٍ من الطلبة، ثم قال: «أريدُ أن أحدثكم اليوم بشيء، بدلاً من إلقاء الدرس، القضية التي سأحدثكم بها أنقلها لكم عن أستاذي المرحوم الشيخ الشاه آبادي ـ رضوان الله عليه ـ وهو بدوره ينقلها عن والده الذي كان من تلامذة المرحوم الشيخ صاحب الجواهر، قال: كان للشيخ صاحب الجواهر ابنٌ من مشاهير فضلاء حوزة النجف الأشرف، وقد توفي في حياة أبيه، وفي يوم تشييع جنازته استثمر الشيخ صاحب الجواهر ـ ورغم أنه كان صاحب العزاء ـ الفرصة المحدودة إلىٰ حين اكتمال حضور المشيعين من علماء الحوزة وطلبتها وأهالي النجف، وجلس لكتابة نصف صفحة من كتاب الجواهر»!!

ثم قال الإمام: «إنني لا أقولُ لكم: احضروا دروسي، ولكنْ إذا رغبتم في حضورها وقررتم ذلك فالتزموا بهذا القرار علىٰ الأقل»[١].

نضبط ساعاتنا علىٰ وقت حضور الإمام

كنا نضبط ساعاتنا أحياناً علىٰ وقت حضور الإمام للدرس لما عرفناه من دقةِ التزامه بالحضور في الوقت المحدد بالضبط، ولذلك كنا نضبط ساعاتنا علىٰ وقت حضوره إذا لاحظنا حدوث إشكال فيها[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، مجلة (اطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

إلتزام التحضير للدرس قبل الحضور

أهم مميزات الإمام دقة نظمه، إنني لم أرَ طوال فترة دراستي نظيراً له في نظمه وجديته، لم يحدث أبداً ان جاء للدرس دون أن يبحث في موضوعه مسبقاً، كان شديد الالتزام بالحضور لإلقاء دروسه، فمثلاً لم يعطل تدريسه اليومي لدورة الأصول في مسجد السلماسي في قم والتي استمرت أربعة أعوام ونصف سوىٰ يومين مرض فيهما، واستمر طوال هذه المدة يلقي دروسه اليومية دون انقطاع باستثناء أيام العطلة[١].

الناجحون هم الملتزمون بنظم أمورهم

كان الإمام ملتزماً بالحضور إلىٰ محل إلقائِهِ الدرس في الوقت المحدد، وكان يؤذيه ما يلاحظه علىٰ الطلبة من انعدام النظم في حياتهم وحضورهم الدرس بصورةٍ غير مرتبة، وكان ينبههم إلىٰ أن الذين استطاعوا بلوغ المقامات والنجاح في حياتهم في هذه الدنيا كانوا يلتزمون بالانضباط ونظم أمورهم[٢].

يلقي درسه المعتاد يوم اعتقال نجله

لم تؤثر الحوادث حتىٰ المهمة منها علىٰ البرنامج الحوزوي للإمام وتدريسه للفقه الإسلام، ولم تؤدِ إلىٰ توقفه عن ذلك أو القيام به ببرود ودون نشاط، لقد كنا نحن والكثيرون من تلاميذ الإمام نتغيب عن حضور دروسه عند وقوع الحوادث السياسية المهمة أو نحضر ولكن بحالةٍ من القلق وعدم الإقبال علىٰ الدراسة، أمّا هو فكان يقوم ـ في خضم أهم الحوادث السياسية

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، صحيفة رسالت، بتاريخ ١٤/٤/١٣٦٨هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج:١، ص:٣.

وغيرها التي مرت به ـ بالتدريس وعرض المسائل الفقهية بعمقٍ وتبحر وكأنّه لم يحدث شيء أصلاً! فمثلاً لم يطرأ أدنىٰ تغيير علىٰ برنامج الإمام في يوم اعتقال الحكومة البعثية لنجله السيد مصطفىٰ ونقله إلىٰ بغداد، بل إنّه ألقىٰ درسه في ذلك اليوم بصورة أعمق وأوسع(١)!!

اجتهدوا في الدراسة وتهذيب النفس

كان علماء حوزة النجف قد قرروا مواصلة إقامة المجالس التأبينية للشهيد السيد مصطفىٰ الخميني إلىٰ اليوم الأربعين الإستشاهده فقال لهم الإمام: «لا ينبغي تعطيل الدراسة، ليستأنف السادة دروسهم»، كما بعث رسالةً شفهية لتلامذة الشهيد مصطفىٰ ومحبيه قال فيها: «عليكم أن تكونوا بناةً للحياة ولا تضطربوا في مثل هذه الوقائع، اجتهدوا في الدراسة والبحث وتهذيب النفس وتزكيتها»(٢).

تابعوا دراستكم وبحوثكم العلمية

قرّر جميع الأخوة في النجف إقامة مجالس تأبينية بمناسبة استشهاد السيد مصطفىٰ بعد إقامتنا لمجلس هذه المناسبة، فكانوا يأتون تباعاً ويطلبون الإذن من الإمام لإقامة هذه المجالس، وكان السيد الدعائي هو المسؤول عن أخذ الإذن من الإمام وتعيين وقت لهذه المجالس، وقد قال له الإمام يوماً: «إتركوا الانشغال بالموت، وتابعوا دراستكم وبحوثكم العلمية ولا تصرّوا على هذا العمل»(٣).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٦.

(٢) موسوعة «كوير»، ج: ١، ص: ٢٩٤.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٤، ص: ١٣٠.

يكفيه علم الأديان

جئت من قم إلىٰ طهران في أحد الأيام التي تلت إجراء العملية الجراحية للإمام ودخلت عليه لعيادته بعد أن ارتديت احتياطاً الملابس الطبية البيضاء، وكان السيد الدكتور الطباطبائي في غرفته، فأشرت إليه وأنا أدخل بيدي عندما اقتربت من سرير الإمام من جهة رجليه، فقال الإمام وهو مستلق: «مَن هذا الذي يشير بيده؟»، قال السيد الطباطبائي: إنّه مسيح، فقال: «وهل مسيح هنا؟»، فاقتربت منه وسلمتُ عليه فقال: «وعليكم السلام، ماذا تفعل أنت هنا؟!»، قلت: لقد جلبتُ معي كتبي وأنا أتابع هنا دراستي، فقال بعد لحظات: «لا تغيروا برامجكم الدراسية بسببي» ثم التفت إلىٰ السيدة الطباطبائي ـ وكانت موجودة في الغرفة في ذلك الوقت ـ وقال لها: «قولي لفريدة[1] والبقية أيضاً أن لا يغيّروا برامجهم الدراسية من أجلي».

ولمّا رأيت تغير مجرىٰ الحديث إنسحبتُ جانباً مخافة أن يأمرني السيد بالعودة إلىٰ قم، فهذا ما كان يأمرني به بصورة، مشددة كلما جئت إلىٰ طهران وزرته، وذلك لكي لا تنقطع دروسي. وفي اليوم التالي دخلتُ عليه بتلك الملابس البيضاء نفسها، فوقفت عند رأسه وبحالة لا يراني معها، وكان السيد الدكتور الطباطبائي واقفاً إلىٰ جانب سريره يرتب وضع أنابيب المغذي الطبي الموصل به، وكانت حالة السيد تبدو أفضل مما كانت عليه في اليوم السابق، وفي تلك اللحظة وقعت عينه عليّ، فقال الدكتور الطباطبائي ممازحاً: يبدو أن الشيخ مسيح آخذٌ بتعلم الطبابة تدريجياً! فقال السيد بلهجة المنزعج: «وهل مسيحٌ موجودٌ هنا؟!»، أجاب السيد الطباطبائي: بلىٰ يا سيدي؛ وأفسد

---

(١) السيدة فريدة المصطفوي ابنته، والسيدة الطباطبائي المذكورة، هي زوجة ولده السيد أحمد الخميني.

بذلك عليّ الأمر، فقد قال الإمام إثر ذلك: «أنا لا أرتاح لمسيحٍ هذا»!! فسأله: ولماذا؟ أجاب: «لقد ترك دراسته وجاء إلىٰ هنا»!

وهنا تقدمت إليه وسلّمت عليه فأجاب: «وعليكم السلام، ماذا تفعل أنت هنا؟!»، قلت: أنا هنا في خدمتكم، قال: «لا حاجة لذلك، إرجع إلىٰ قم وتابعْ دراستك»، قلت: لقد جاء السيد السلطاني إلىٰ هنا أيضاً وأنا أدرس عنده، قال: «كلا إرجع إلىٰ قم»، قلت: إنني أعلم يا سيدي أنك توصينا دائماً بالدراسة، ولذلك لن أسمح لأي شيءٍ بالتأثير عليها، قال: «كلا، إرجع إلىٰ قم، ولا تأتي إلىٰ هنا ثانية»!.

في هذه اللحظة تدخل السيد الدكتور الطباطبائي وقال ممازحاً: إنّ العلم ـ يا سيدي ـ علمان، علم الأبدان وعلم الأديان، والشيخ مسيح يدرس في قم علم الأديان، وقد جاء إلىٰ هنا لتعلم علم الأبدان! فأجاب الإمام: «يكفيه علم الأديان»!!

ولم أقل أنا شيئاً وسكت الدكتور الطباطبائي أيضاً.. وفي فجر اليوم التالي سأل الإمام ثانية: «هل لا زال مسيحٌ هنا؟!»، فقلت ـ لكي أطمئنه ـ: سأذهب إلىٰ قم في الساعة الخامسة صباحاً يا سيدي. وعندها قال: «وأنا سأدعو لك»[1].

تقدموا نحوي قليلاً يتسع المكان

عندما كان الإمام يلقي دروسه في مسجد السلماسي كان المسجد يضيق بكثرةِ الطلبة الذين يحضرون درسه، وقد طالبناه مراراً بتغيير المكان والتدريس في مكان أوسع، ولم يكن هدفنا من هذا الطلب

(١) حجة الإسلام والمسلمين ميح البروجردي (حفيد الإمام) أرشيف مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

الدعاية له بل لأنّ المكان كان لا يتسع حقاً للذين يحضرون دروسه؛ لكنه رغم ذلك كان يقول: «تقدموا نحوي قليلاً يتسع المكان»، واضطر هو إلىٰ الجلوس علىٰ المنبر وكان بعض التلاميذ يجلسون علىٰ رفوف المسجد وهو يلقي درسه!.

إستمرّ الحال علىٰ هذا المنوال إلىٰ أن تدخل المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي ـ وكان من أنصار الإمام وأصحابه ـ وأقنعه بالتدريس في المسجد الأعظم بعد إلحاح شديد. وعلىٰ أي حال لم يكن الإمام يوافق علىٰ التدريس في أماكن يكون التدريس فيها استعراضاً لمكانته العلمية والحوزوية[١].

إرتعش بدنه وخنقته العبرة عندما ارتقىٰ المنبر

كانوا قد وضعوا المنبر في المسجد السلماسي قبل فترة وجيزة من بدء الإمام بالتدريس فيه، وكان يجلس أثناء التدريس علىٰ الأرض، ثم ارتقىٰ المنبر في أحد الأيام إثر طلبات ملحة من قبل تلاميذه لكنه امتنع عن إلقاء الدرس في ذلك اليوم واستبدله بموعظة، قال: «كان الميزرا الكبير يبكي ويرتعش بدنه عندما يرتقي المنبر»، وهنا أخذ بدنُ الإمام يرتعش وخنقته العبرة، ثم أضاف: «هذا مكان النبي ﷺ وعلي الوصي عليه السلام، فأين نحن وأين هم؟»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٦، ص: ١٢٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين شيخ الإسلام، صحيفة (همشهري)، بتاريخ ١٣/٣/١٣٧٢هـ.ش، ويبدو أن «الميرزا الكبير» الذي يذكره الإمام هنا هو آية الله العظمىٰ السيد محمد حسن الشيرازي الملقب بالمجدد الشيرازي صاحب الفتوىٰ التأريخية التي فجرت ما عُرفت بثورة التبغ في إيران في القرن الهجري المنصرم. [المترجم].

تزكية المرء لنفسه عملٌ قبيح

في سنة ١٣٤٢هـ. ش، [١٩٦٣م] سلّمني أحد السادة رسالة لكي أقدمها للإمام، وكان قد كتب في هذه الرسالة: سماحة السيد روح الله الخميني، هل ترون أنفسكم «أعلم العلماء» أم لا؟ أرجو الإجابة علىٰ هذا السؤال، فكتب الإمام الجواب في ذيل الرسالة قائلاً: «بسمه تعالىٰ، تزكيةُ المرءُ لنفسه [عمل] قبيح، روح الله الموسوي الخميني».

ومع الأسف فإنّ هذه الرسالة قد ضاعت. فلاحظوا دقة جواب الإمام، فقد أجاب علىٰ سؤال ذلك السيد ولكن دون أن يستخدم كلمة «لا»، ولا «نعم»[١].

لزوم تحلي العالم بالتواضع

في بداية انتقال مجلس تدريس الإمام إلىٰ مسجد السلماسي، كان يجلس علىٰ الأرض أثناء إلقاء الدرس، ثم أخذ عدد الطلبة الحاضرين يزداد يوماً بعد آخر حتىٰ كان بعضهم يضطر للجلوس علىٰ درجات سلم باب المسجد فيما كان آخرون يضطرون للوقوف في الزقاق خارج المسجد، ثم طلبوا من الإمام أن يرتقي المنبر ويجلس علىٰ الدرجة الثالثة له لكي يستطيع الطلبة سماع صوته، فوافق، فكان اليوم الأول لارتقائه المنبر حافلاً بمشاهدٍ لا تُمحىٰ من سجل أيام دراستي.

في ذلك اليوم بدأ الإمام درسه بالتذكير بحقيقةِ أن الجلوس في مكان أعلىٰ بدرجتين لا يكسب الإنسان كرامة أو وجاه فلا ينبغي أن يصيب الإنسان بالكبر، ثم بدأ حديثاً أخلاقياً مطولاً تحول به درسه الأصولي الفقهي إلىٰ درسٍ أخلاقي عرفاني، فلم يتطرق في ذلك اليوم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ١٥٥.

إلىٰ بحثه الأصولي أصلاً، بل عرض نقاطٍ دقيقة للغاية بشأن حقيقة التكبر وآثاره السيئة علىٰ العالم، وقيمة التواضع وثماره الطيبة علىٰ حياة العالم[١].

الاهتمام بضبط النصوص الشرعية

قال الإمام يوماً أثناء إلقائِهِ الدرس في النجف: «كان من المتداول بين علماء السلف عقد حلقات علمية لقراءة الروايات والأحاديث الشريفة، وكان هدفهم منها ضبط نصوص الأحاديث ومنع التصرف فيها ولو بمقدار زيادة أو نقصان حرف «واو» واحد، والاستفادة من الأحاديث الشريفة طبق النصوص التي وصلتنا».

ثم نقل عن العلامة محمد خان القزويني أنه قال: «لولا الملامة لقرأتُ في المصحف حتىٰ سورة الحمد والسورة التي بعدها وأنا أقيم الصلاة»[٢]!

ضرورة منهجة الدراسة علىٰ أسس صحيحة

في بدايات إقامة الإمام في العراق، قمنا بزيارته برفقةِ عدد من الطلبة وطلبنا منه تدريسنا، فاستجاب وقال: «إسعوا إلىٰ اتقان دراسة بابين من أبواب الفقه، ولتكن في البداية من نظائر أبواب الطهارة والصلاة التي تشتمل علىٰ أحاديث كثيرة لكي تتعلموا سبل الجمع بين ما ثبت من الروايات المتعارضة أو تأويلها، ثم ادرسوا الأبواب الفقهية التي ورد بشأنها عددٌ محدود من الروايات الشريفة مثل باب البيع لكي تتعلموا سبل استنباط الكثير من القواعد الفقهية من هذا العدد المحدود من

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ـ٦.

الروايات، فعلىٰ هذا الأساس ألف المرحوم الشيخ الأنصاري كتابه الموسوعي»[1].

التفقه والتزكية

كنا يوماً ـ بمعية عدد من العلماء والفضلاء ـ عند الإمام فقال لنا: «ينبغي حفظ وجود أمرين في الحوزات العلمية، الأول: التفقه، والثاني: التهذيب والتزكية»، ثم قال ـ ما مضمونه ـ: «إحذروا من أن تسمحوا بخمود شعلة التفقه والفقاهة»[2].

محور التفقه

قال الإمام يوماً ـ وهو يوصي بلغة مشددة بالتفقه: «ليكن جهادكم في ظل التفقه»[3].

«إذن لم تفهمه»!!

سألت الإمام يوماً: أي العلوم أحبُّ إليك؟ قال: «أحب الفقه أكثر»، فقال أحد الأكابر: لا يوجد شيء مهم في علم الفقه يا سيدي! أجاب الإمام: «وأنت لم تتعلم علىٰ الفقه»، فقال: بل تعلمته، فقال الإمام: «إذن لم تفهمه»[4].

إنتفعوا من القرآن والحديث

سألتُ الإمام يوماً: أي الكتب تنفعنا في دراسة الأخلاق؟ أجاب:

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ـ٦.

(٢) آية الله السيد علي الخامنئي، صحيفة اطلاعات بتأريخ ٢٣/ ٣/ ١٣٦٨هـ. ش.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين السيد مسيح البروجردي، مجلة (حضور)، العدد الأول.

«القرآن وكتب الحديث» قلت: ما رأيكم بالاستفادة من كتاب إحياء العلوم؟ قال: «لقد راجعته في بداية الأمر ولكن لم يعجبني منهجه في البحث»[١].

هنا مجلس تدريس وبحث

قال بعض الطلبة للإمام يوماً قبل البدء بإلقاء الدرس: حبذا لو تنقلون لنا في بداية الدرس أحد الأحاديث الشريفة، فأجاب: «إذهبوا أنتم واقرأوا الأحاديث الشريفة، أنتم متعلمون، هنا مجلس تدريس وبحث»[٢].

راجعوا الرسالة العملية

كان الإمام يعلمنا ـ بأسلوبه الخاص ـ لزوم رعاية النظم وسلسلة المراتب في العمل، فمثلاً سُئل يوماً: إذا كان في ذمة شخص قضاء صوم فهل يمكنه القبول بصوم الأجرة إذا كان الوقت موسعاً؟ أجاب: «راجعوا الرسالة العملية»، فقيل له نقلاً عن السائل ـ: لا توجد هذه المسألة فيها، أجاب: «اسألوا مكتب الاستفتاءات»[٣].

علمني درساً مهماً

كنتُ أسيرُ برفقةِ الإمام في طريق العودة من مسجد الشيخ الأنصاري إلىٰ منزله في النجف، فخطر علىٰ ذهني سؤال شرعي، فسألته عنه، أجابني: «راجعوا الرسالة العملية»! تعجبت كثيراً من هذا الجواب،

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.
(٢) آية الله الشيخ الشهيد فضل الله المحلاتي، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ١٠٨.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص: ١٩٨.

لكنني عرفت بمقدارٍ من التأمل أنّه علمني بذلك درساً مهماً إضافة إلىٰ أنّه هداني إلىٰ المصدر الذي أجد فيه الإجابة علىٰ سؤالي[1].

موعظة بدلاً من الدرس

من الأيام العزيزة علينا عادة هي الأيام الأواخر من كل سنةٍ دراسية، لأنّ الإمام كان يخصص عادة أحد الأيام قبل بدء العطلة الحوزوية موعظة بدلاً من درسه العلمي المعتاد، فكانت هذه الموعظة تشكل زاداً أخلاقياً يتزود به الطلبة الذين ينتشرون في أرجاء البلاد للتبليغ، فيحصلون من هذا الزاد الأخلاقي علىٰ النصائح التي ينطلقون منها في عملهم التبليغي. كنا نسمعه من الإمام في هذه الموعظة نصائح بليغة، وكانت توجيهاته مفيدة ومؤثرة للغاية تعينُ الطلبة علىٰ التعامل بالصورة السلمية مع القضايا الاجتماعية ومع الناس[2].

ماذا يبقىٰ لكم في الأصول؟!

زارنا الإمام يوماً في منزلنا بمعية أحد علماء تبريز الكبار إسمه الميرزا رضي وهو من تلامذة المرحوم الآخوند ولكن لم يكن له تلامذةٌ كثيرون بسبب حالاتٍ خاصة امتاز بها، أما الإمام فقد كان عارفاً بسوابقة ومنزلته العلمية ولذلك كانت تربطه به علاقة صداقة وثيقة.

وقد جاءت هذه الزيارة أيام الشتاء وكنا نضع في المنزل جهاز التدفئة «الكرسي»، وكانت توجد عليه حاشية المرحوم الكمباني في الأصول، ورغم أن الميرزا رضي كان من تلامذة المرحوم الآخوند إلاّ

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص: ١٩٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

أنّه كان يقول بلزوم تنقية البحوث الأصولية من المباحث الفلسفية، لذلك فإنّه عندما رأىٰ حاشية الشيخ الكمباني قال بلهجةٍ معترضة: أي كتاب هذا؟! لقد خلطوا الفلسفة بالأصول، فأجابه الإمام: «لو عزلتم هذه البحوث من الأصول فماذا يبقىٰ لكم فيها؟!»[١].

تنظيم وضع الدروس

كان الإمام يقول: «ما أحسن أن يرتب السادة الأساتذة دروسهم بصورة يكون إلقاء الدروس الفقهية جميعاً في ساعةٍ معينة، والدروس الأصولية جميعاً في ساعة أخرىٰ، لكي يكون بالإمكان تنظيم هذه الحالة غير المناسبة من حضور الطلبة للدروس المتعددة»[٢].

تدريس خصوصي للكتب العرفانية

كان الإمام متبحراً في المسائل العقلية أيضاً، ويبدو أنه كان يقوم أيضاً بتدريس الكتب العرفانية ولكن في مجالس خاصة، وقد حدثني أحد الأخوة ـ لا أتذكر بالضبط أي الأصدقاء هو ـ أن الإمام قال له يوماً: «كنتُ سابقاً أقوم بتدريس كتبا لبعض أهل المعرفة فرأيت صاحب هذا الكتاب ليلةً في عالم الرؤيا، وقال لي: لا تدرس كتابي»[٣].

(١) آية الله السيد عز الدين الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:١٨٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنجرودي، المصدر السابق، ج:٤، ص:١٣٩.
(٣) آية الله الشيخ عباس الإيزدي النجف آبادي، المصدر السابق، ج:٢، ص:٢٩٠.

القسم الخامس

سيرته في التعامل مع تلاميذه

تفضلوا بالذهاب

كان الإمام يتجنب مُنذ البادية أي عمل فيه شائبة السمعة وطلب الوجاهة والمناصب، فمثلاً لم يكن يسمح لأحدٍ بالمشي خلفه، فإذا كان لأحد الطلبة سؤال أراد أن يعرضه عليه في الطريق توقف الإمام وأجاب علىٰ السؤال ثم قال: «تفضلوا بالذهاب»[١].

إنّه حرٌ في القبول، لا إلزام في الأمر

جاء خادمٌ في بيت الإمام يوماً إلىٰ منزلي وقال: إن الإمام يستدعيك لأمرٍ، فذهبت إليه ولما دخلت غرفته وجدت عنده أحد العاملين في بيت أحد المراجع، وقد قام إثر دخولي وودع الإمام وذهب، ثم لاحظت قرب الإمام دفترين كانت تُكتب فيهما أسماء طلبة الحوزة بهدف دفع الرواتب الشهرية لهم، وعندما رآني الإمام قال لي: «لقد ضغطوا عليّ من أجل أن أدفع الرواتب الشهرية للطلبة، فأرجو أن تكتبوا في هذا الدفتر الأسماء الموجودة في هذا الدفتر [أي الدفتر القديم] المتعلق ببيت

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٥، ص: ٥٣.

المرجع الفلاني (وهنا عرفت أن الشخص المذكور قد جاء من طرف هذا المرجع لتسليم الدفتر للإمام)، أرجو أن تخططوا أوراق الدفتر». فقلت: سمعاً وطاعة، فأخذت الدفترين فقال لي الإمام ـ وهو الحريص علىٰ عدم صرف أوقاتنا ـ نحن الطلبة ـ في مثل هذه الأمور ـ: «إشتغل بهذا العمل متىٰ ما سنحت لك الفرصة».

وكنت أقوم بهذه المهمة ليلاً، وفي الليلة الثالثة جاءني الخادم مرةً أخرىٰ وقال لي: إنّ الإمام يستدعيك؛ فذهبتُ إليه وقد انقضىٰ من الليل شطر منه فسألني: «أين وصلت في كتابة الأسماء؟»، قلت: إلىٰ حرف الياء، قال: «إذن انتهىٰ العمل»، قلت: نعم، قال: «أردتُ أن أطلب منكم أن توافقوا علىٰ القيام بمهمة توزيع الرواتب علىٰ الطلبة»، قلت: إنْ كان هذا أمراً فإني مطيعٌ لأمركم، أمّا إن كان الأمرُ باختياري فإنني أقول: إنني غير قادر علىٰ القيام بذلك! فقال: «إنني أعلمُ أن شأنكم أسمىٰ من ذلك، ولكنني استشرتُ الأخوة بشأن مَن يُمثلني في توزيع الرواتب فأجمعوا على اختيارك».

وكان الشيخ الصانعي واقفاً عند باب الغرفة فخاطبني بالقول: يا فلان، هذا هو أمرُ السيد، فقال له الإمام بلهجة حادة: «كلا، إنّه حرٌ في القبول أو عدمه، لا إلزام في ذلك»، ثم قال لي: «يا حبذا لو تقومون بتوزيع الرواتب شهراً واحداً إلىٰ أن أجد خياراً آخراً». أجبت: إنني لا أتمردُ عليكم يا سيدي، ولكنني لا أطيق القيام بهذه المهمة، قال: «فمَنْ تقترحُ لهذه المهمة؟»، فذكرت إسم أحد السادة، فقال الإمام فور سماع إسمه بفراسته الخاصة: «إنّه جافٌ في تعامله، والذي يوزع الرواتب ينبغي أن يكون ليناً في أخلاقه للغاية»[1].

---

(١) آية الله الشيخ محمد المحمدي الجيلاني، مقابلة تلفزيونية.

مواعظ دروس

المظهر المهم لتقوىٰ الإمام، استقلاله وتحرره الفكري. إنّه لم يكن يفرح لإقبال الطلبة عليه كما لم يكن يحزن لإدبارهم عنه؛ وكان الطلبة يحبونه بعمق، عندما كان يعظنا في نهاية السنة الدراسية أو عند حلول شهر رمضان أو أيام محرم الحرام أو العطلة الصيفية، كنا ـ نحن الطلبة ـ نرىٰ في هذه المواعظ درساً نسجله كما نسجل دروسه الأصلية[1].

تواضعه لتلاميذه

كان تعامل الإمام مع تلاميذه غايةً في التواضع، فمثلاً قام في الأيام الأولىٰ لانتصار الثورة وبعيد عودته إلىٰ قم بزيارة عدد من تلاميذه إثر زيارته لعددٍ من كبار علماء الحوزة، وقد شعرتُ في الليلة التي زارني في بيتي المتواضع بأن غرفتي قد علت إلىٰ سماء العرش لأن «روح الله» قد دخلها، لقد وجدتها ليلة مباركة للغاية[2].

حياة العلماء

كان الإمام شديد الاحترام للعلماء وطلبة العلم، كان يوقرهم ويقول: «يجب أن تكون حياة العلماء قرينة بالتقدس»[3].

يعود المرضىٰ من تلاميذه

كان الإمام يولي طلبة العلم رعاية خاصة، ويتفقد أوضاعهم إذا

---

(١) آية الله الشيخ عبد الله الجوادي الآملي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٤، ص:١١.

(٢) آية الله الشيخ مرتضىٰ بني فضل، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٣) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٨.

مسهم أذىً، فمثلاً كنت أنا أحضر دروسه وأثير الإشكالات العلمية أثناء الدرس، وقد مرضت ولم أستطع الحضور مرتين، وكنتُ أرقدُ في المنزل عندما زارني الإمام فجأة وهو يحمل كتاب «وسائل الشيعة» بمجلداته الثلاثة الكبار يرافقه السيد جلال الدين الآشتياني، كما جاء لعيادتي في المرة الثانية يرافقه السيد نجم الدين اعتماد زاده[١].

يزور طلبة العلم في مدارسهم

كان المتعارف في حوزة النجف العلمية أن يقوم العلماء الكبار الذين يأتون إلىٰ النجف وبعد استقبال العلماء لهم بردّ زيارة المراجع والعلماء الكبار من طبقتهم فقط، فلا يذهبون لزيارة الطلبة والعلماء الذين هم في مرتبةٍ علمية دون مرتبتهم، وهذا العرف لا زال حاكماً في حوزة النجف، أمّا الإمام فقد نقض هذا العرف بتواضعه الإسلامي المتمير، إذْ أنّه قام ـ إضافة إلىٰ زيارة بيوت المراجع الكبار ـ بزيارة طلبة الحوزة أيضاً، فقد زار مختلف المدارس الحوزوية في النجف والتقىٰ طلبتها وشكرهم علىٰ استقبالهم له، وشملت زياراته الطلبة الأفغان والباكستانيين وغيرهم[٢].

دفع أموال إمام العصر للمتأهلين للدراسة الدينية

استدعاني الإمام يوماً وقال لي: «إن الحكومة البعثية تسعىٰ لتدمير حوزة النجف العلمية، وأنا هنا أرىٰ أن واجبي الشرعي يقتضي أن أقومَ بكل ما أستطيعه للحيلولة دون ذلك، وأحد الأساليب المؤثرة هو السعي لتحسين أوضاع طلبة العلوم الدينية وزيادة رواتبهم الشهرية. لكنّ هذه الرواتب التي أسعىٰ لزيادتها أعطيها من سهم الإمام من الحقوق

(١) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٥٨.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

الشرعية، فهي من أموال إمام العصر عليه السلام، ومسؤوليتها جسيمة فيجب إعطاؤها للذين يتحلون بأهلية الدراسة في الحوزة العلمية والقدرة علىٰ التطور وبلوغ المقامات العلمية السامية، وقد سمعت أنّه توجد في دفتر الرواتب التي أدفعها أسماء أشخاص غير صالحين يستلمون من هذه الرواتب، لذلك يجب حذف أسمائهم والتحقيق في أوضاع الذين يستلمون الرواتب».

وإثر ذلك بدأنا بالتحقيق في أوضاعهم فوجدنا صحة ما قاله الإمام: ووجدنا ـ مع الأسف ـ أسماء أشخاص كانوا يتسترون بزي طلبة العلم ويتعاونون مع منظمة الأمن للنظام البعثي في العراق ويتجسسون لها علىٰ الحوزة، ولذلك قمنا بحدف أسمائهم من سجل أسماء الذين تدفع لهم الرواتب الشهرية[١].

يشجع الطلبة علىٰ التبحر في الفقه والأصول

كان الإمام الخميني يستخدم أساليب متنوعة لتشجيع طلبة العلوم علىٰ تعلم علوم الفقه والأصول والتبحر فيها، فمثلاً كان يمتنع عن تقديم شيءٍ من السهم المبارك للإمام عليه السلام لمن يقضي أيامه بالبطالة والتهاون في طلب العلم الديني من الحوزويين[٢].

دعم الجادين في طلب العلم

كان الإمام يقدمُ الدعم ـ بأي وسيلة ممكنة ـ لمن يراه جاداً في طلب العلم والدراسة الحوزوية سواء كان في حوزة قم أو في حوزات المدن الأخرىٰ، وسواءٌ أكان يعرفه أو لا يعرفه، فكان يبادر لتقديم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد جعفر الكريمي، مجلة (پاسدار إسلام)، العدد: ٩٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٢، ص: ٢٨٦.

.لعون له بأساليب مختلفة ـ عبر وكلائهِ أو مقلديه الذين يقدمون له الحقوق الشرعية ـ إذا شعر أن انشغال هذا الطالب بالدراسة يصده عن الكسب[1].

يجب تقوية الأكفاء

كان الإمام يقول ـ إذا رأىٰ طالباً كفوؤاً وجاداً في الدراسة ـ: «يجب تقوية هؤلاء وإعانتهم علىٰ التطور والرقي»[2].

الامتحان قبل دفع الرواتب

بدأ الإمام بتدريس الفقه (المكاسب) علىٰ مستوىٰ البحث الخارج في مسجد الشيخ الأنصاري بعد استقراره في النجف الأشرف، ثم أخذ بدفع الرواتب الشهرية لطلبة الحوزة ولكن بعد نجاحهم في امتحان علمي من قبل علماء اختارهم لذلك، وكان لأسلوب دفع الرواتب بعد النجاح في الامتحان آثارٌ في دفع الطلبة للدراسة بصورة جادة[3].

الحرص علىٰ ترسيخ عزة النفس

كان الإمام يسعىٰ إلىٰ أن لا يؤدي توزيع الحقوق الشرعية بين طلبة الحوزة إلىٰ بعث روح طلب الزيادة فيهم وسلبهم العفة وعزة النفس والتخضع والتذلل من أجل الحصول علىٰ المال[4].

إعانة الذين تحسبهم أغنياء من التعفف

كان الإمام يتوقف عادة للحظات عند باب الغرفة التي كان يلقي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الثقفي، المصدر السابق، ج:١، ص:١٤٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الثقفي، المصدر السابق، ج:١، ص:١٤٣.

(٣) آية الله الشيخ محمود اليوسفي الغروي، مجلة (حوزة)، العدد:٤٨.

(٤) آية الله الشيخ محمد المحمدي الجيلاني، مقابلة تلفزيونية.

دروسه فيها في النجف ثم يدخل بعد أن يلقي نظرة علىٰ المكان، وفي أحد الأيام لاحظ بين الأحذية التي خلعها الطلبة عند باب الغرفة حذاءً بالياً ممزقاً فآذاه ذلك، وبعد انتهاء الدرس قال لأحد السادة: «قف صباح غدٍ في زاوية لكي تتعرف علىٰ صاحب هذا الحذاء ثم احصل علىٰ عنوان محل سكنه وأخبرني بالنتيجة».

يقولُ هذاالسيد: نفذت في اليوم التالي أمر الإمام وعثرت علىٰ عنوان هذا الطالب وكان من أهل يزد، وعندما أخبرتُ الإمام بذلك قام بما من شأنه إيصال ملابس جديدة مناسبة وحذاء جديد له[١].

أنا أيضاً عباءتي ممزقة!

كان الإمام يقول لي أحياناً بعد ذهابه إلىٰ الحرم أو خروجه من المنزل لأمر ما: «يا فلان، اشتر عباءة لفلان»! أي أنّه كان ينتبه إلىٰ أوضاع الطلبة حتىٰ وهو يسير في طريقه، فإذا لاحظ مثلاً أن عباءة أحدهم غير مناسبة أمَر فوراً بشراءِ عباءة له، ولكن في مقابل هذا الاهتمام والعون الفوري كان يتعامل مع آخرين بطريقة معاكسة، فمثلاً جاءه يوماً أحد الأشخاص وعرض عليه عباءَتهُ وقال له: إن عباءتي ممزقة يا سيدي! فسحب الإمام ذيل عباءته وعرضه علىٰ هذا الشخص، وقال له: أنظر إلىٰ عباءتي، إنّها ممزقة أيضاً[٢]!!

رعاية خاصة للشباب من طلبة العلوم الدينية

كان الإمام يولي دائماً رعاية خاصة لطلبة العلم خاصة الشباب منهم، ويتفقد أوضاعهم باستمرار ويقدم لهم العون عند الاحتياج رغم

---

(١) أحد العاملين في بيت الإمام في النجف الإشرف، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٢، ص:١٢٩.

أنّه كان في معرض ضغوط مستمرة من قبل منظمة السافاك [الأمن الشاهنشاهي] وحكومة الشاه التي كانت تسعىٰ إلىٰ منع إيصال الحقوق الشرعية والأموال له، لكنه ـ رغم ذلك ـ كان يقدم المساعدات للطلبة بكل ما استطاع؛ فمثلاً اصطحبت مرة ابن عمٍ لي من قم إلىٰ النجف وكان فتىً يافعاً، وفي اليوم الثاني لوصولنا النجف جاء أحد السادة من طرف الإمام وسألني عن هذا الطالب الحوزوي الشاب فأخبرته أنه ابن عمي فقال: لقد أمر الإمام بتخصيص راتب شهري له بدءً من هذا الشهر! وهذا الأمر يكشفُ شدة اهتمام الأمام بطلبة العلوم الدينية وسعيه لحل مشاكلهم(١).

توفير إمكانات تفرغ الطلبة للنشاط العلمي

رغم أن الإمام كان قادراً علىٰ بناء العشرات من المدارس الدينية والمستشفيات من أموال الحقوق الشرعية، إلاّ أنّه لم يقم ببناء ولا مدرسة دينية واحدة أو مستشفىٰ أو حتىٰ مكتبة عامة واحدة مع قدرته علىٰ تأسيس العشرات من المكتبات العامة، والسبب هو أنّه كان يعتقد أن هذه الأموال يجب أن توضع تحت تصرف طلبة العلوم الدينية لضمان حالة معيشية مناسبة يستطيعون في ظلها التفرغ لمتابعة نشاطهم الدراسي والعلمي، وبهذه السيرة كان الإمام يشجع الطلبة عملياً علىٰ التعلم والدراسة والبحث والتحقيق(٢).

هو عطاءٌ نفسه علىٰ الطلبة

كانت أوضاع رواتب الحوزة سيئة للغاية عند وصول الإمام للنجف

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد إبراهيم الأنصاري الكرماني، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني.

الأشرف، فقد كان طالب الحوزة يستلم من السيد الحكيم ديناراً ونصف ومن السيد الشاهرودي والمرحوم الميرزا عبد الهادي الشيرازي ديناراً شهرياً، ولم يكن السيد الخوئي يومها قد بدأ بدفع واتب لطلبة الحوزة، ولذلك كانت الأوضاع المعيشية لطلبة الحوزة سيئة للغاية فلم يكن الراتب الشهري الذي لم يكن يتجاوز الدينارين والنصف يكفي لمستلزمات الضرورات المعيشية في وقت كان بدل الإيجار الذي يدفعه الطالب لمنزلٍ صغيرٍ في النجف حدود الدينارين، وهذه الأوضاع كانت تضطر الطلبة لطرق هذا الباب وذاك لتوفير حاجاتهم المعيشية، فكان بعضهم ـ وبالدرجة الأولىٰ من غير الإيرانيين من الطلبة الهنود والباكستانيين ـ يضطرون مثلاً إلىٰ قضاء الليل مع الجنائز التي كانوا يأتون بها لدفنها في النجف ويبقونها ليلة في أحد مساجدها لكي يدفنوها في اليوم التالي، ويتلون القرآن علىٰ الجنازة إلىٰ الصباح لكي يحصل الواحد منهم علىٰ دينار من أصحاب الجنازة!

وعندما جاء الإمام النجف كان أول راتب وزعه علىٰ طلبة الحوزة هو ثلاثة دنانير لكل منهم، وبعد انقضاء شهر علىٰ ذلك قال: «لا تصفوا هذه الرواتب بأنها شهرية، ففي ذلك إحراج إذا لم تصلنا غداً الأموال، بل وزعوها كعطاءٍ نقسمه علىٰ الطلبة كلما وصلنا».

ثم أخذ الإمام بزيادة هذه الرواتب تدريجيّاً، ففي الشهر الثاني صار الراتب ستة دنانير ثم أخذ يرتفع حتىٰ وصل إلىٰ ثلاثين دينار[١].

إلغاء التمييز بين طلبة الحوزة علىٰ أساس قومي

كانت حوزة النجف تشهد بعض أشكال التمييز قبل مجيء الإمام، وقد أزالها عند وصوله انطلاقاً من قيمه الأخلاقية، فأزال التمييز في دفع

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محي الدين الفرقاني، مقابلة تلفزيونية.

الرواتب بين الطلبة الأفغان والعرب والإيرانيين وغيرهم، وقال: «إذا تقرر دفع رواتب لطلبة الحوزة، فإن دفعها يجب أن يكون بالسوية لكل طالب علم تتوفر فيه شروط استلامها، لا فرق في ذلك بين أن يكون عربياً أو أفغانياً أو هندياً أو باكستانياً أو إيرانياً»[١].

أخبروني بالمحتاجين من طلبة العلم

قال الإمام ـ أيام إقامته في النجف الأشرف ـ: «لو كان بين جيرانكم من طلبة العلم فقيراً محتاجاً ويشهد علىٰ ذلك إثنان من الأشخاص الذين أعرفهم، فإنني سأقدم المساعدة له»، وكان بالفعل يقدم هذه المساعدات. فقد ذهبنا مراراً ـ أنا وشخصٌ آخر ـ وشهدنا عنده بأن طالب العلم الفلاني بحاجة مثلاً إلى مروحة سقفية، أو أن ذاك الطالب بحاجةٍ إلىٰ ملابس، أو أن أحد جيراننا بحاجة إلىٰ توفير شراء الأثاث لزواج ابنته، فكان الإمام يقدم المساعدات في كل هذه الحالات.

وقد توسط المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ نجل الإمام بنفسه لدىٰ والده للحصول علىٰ مساعدة لطالب فقير لكن الإمام ـ وبدلاً من أن يرحب بهذه الوساطة ـ قال لولده: «عليك أنت بالاهتمام بدراستك ودع هذه الأعمال للآخرين»[٢].

إن كنت مستعداً لتحمل عذاب جهنم

روىٰ المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ الحادثة التالية، قال: توسطتُ يوماً لدىٰ الإمام للحصول علىٰ مساعدة مالية لأحد الطلبة لكنه لم يستجب لوساطتي، فعاودت المحاولة ثانية دون جدوىٰ الأمر الذي أثار تعجبي! ثم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الإصفهاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢٣٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ إسماعيل فردوسي بور، مجلة (بيام انقلاب)، العدد:٤٥.

توسطت للمرة الثالثة فقال لي: «هذا ـ يا مصطفىٰ ـ الصندوق الذي فيه المال، وهذا هو مفتاحه أضعه تحت تصرفك، فخذ منه ما شئت من المال واعطه لذلك الطالب، لا أمنعك من ذلك ولكن بشرط واحد هو أن تتحمل أنت عذاب جهنم المعد لهذا العمل! فأنا لا أطيق تقديم شيءٍ من سهم الإمام عليه السلام لهذا الطالب غير الجدير بهذه الأموال، فإن كنت مستعداً لتحمل عذاب جهنم فهذا الصندوق والمفتاح تحت تصرفك»[1].

لا يحب لطالب العلم أن يضيع وقتَهُ

قبل سنة من نفي الإمام عن إيران، وقعت الحادثة التالية، وهي أن أحد فضلاء طلبة الحوزة في قم ـ الذي كان يحب الإمام بعمق ـ استدعي إلىٰ بلدته من أجل إجراء مراسم زواجه، وكان قد تقرر قبل ذلك دفع راتب شهري له، وقد توسطت أنا لدفع هذا الراتب له، وكان الإمام قد أمر حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الصانعي بدفع الراتب بداية كل شهر قمري لهذا الطالب الذي كان عاشقاً لعلم الإمام وتقواه؛ وإلىٰ درجة، لم يكن يطيق مرور يوم عليه دون أن يرىٰ الإمام ولذلك كان يأتي كل يوم إلىٰ قسم البراني في بيت الإمام حيث يأتي المراجعين للإمام.

وعندما علمتُ بأمر قراره الذهاب إلىٰ بلدته للزواج قررت ـ دون أن يعلم هذا الطالب بذلك ـ أن أطلب من الإمام زيادة راتبه لتغطية النفقات التي يستلزمها الزواج عادة، ولذلك قلت للإمام: إنه طالبٌ مجدٌ في دراسته فلو كان بالإمكان يُرجىٰ زيادة راتبه، فأجابني: «ليست لديّ زيادة لراتبه، ولو كان طالباً مجداً في دراسته فلماذا يضيع وقته كل يوم في قسم البراني من منزلي ولا يوجد فيه عمل خاصٌ به؟!».

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٢٣.

هذه الحادثة تكشفُ أن الإمام كان يراقب بدقة المترددين علىٰ بيته دون أن ينتبهوا لذلك، كما أنها تكشف أن الإمام لم يكن يرغب في أن يضيع طالب العلم وقته رغم أن هذا الطالب الفاضل كان يأتي إلىٰ بيت الإمام بهدف النظر إلى وجه العالم ومرجع التقليد[١].

يهدي عمامته لأحد طلبة العلم

كتب أحد طلبة العلم رسالة طلب فيها أن يهدي له ـ إن رأىٰ مصلحة في الأمر ـ عمامة له أقام وهو يرتديها صلاة الليل، فلما عرف الإمام بذلك بعث عمامته ـ بواسطة أحد وكلائِهِ ـ هدية لهذا الطالب[٢].

هل هو مستحق؟

إتصل المرحوم السيد مصطفىٰ يوماً هاتفياً بي في المنزل وقال: لقد سلّمني أحد طلبة العالم المازندرانيين من زملائك رسالة طلبتُ منه أن يسلمها لك؛ ولما استلمتُ الرسالة وجدتُ أنّه ذكر فيها أنه يريد الذهاب إلىٰ مازندران ولكنه لا يملك النفقة اللازمة لذلك وإنه لا يملك العباءة المناسبة، ولذلك طلب الحصول على عباءة مناسبة. وفي صباح اليوم التالي أخذت الرسالة وذهبتُ بها إلىٰ بيت الإمام، وهناك وجدت السيد مصطفىٰ ينتظرني، فلما رآني قال لي: يا فلان، أنت تعرف السيد [الإمام]، وتعلم أنه لا يعطي حتىٰ نصف تومان دون حساب ودون مسوغ شرعي، وقد بعثت هذه الرسالة لك لأنّ الإمام يثق بك، فقلت: أنا في خدمتكم.

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٢، ص:٢٨٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٢، ص:٩٦.

وكان الإمام مريضاً في ذلك اليوم فلم يخرج إلىٰ القسم البراني من منزله، لذلك قال لي السيد مصطفىٰ: سأدخل أنا أولاً إلىٰ القسم الداخلي من البيت ثم أرجع لندخل عليه معاً، وعندما دخلنا علىٰ الإمام غرفته وجدته جالساً تحت لحاف «الكرسي»[(١)] لأن الجو كان بارداً، فسألني عن أحوالي. وقد منعتني هيبتُهُ من التحدث عن الأمر الذي جئتُ من أجله، فأشار إليّ السيد مصطفىٰ بعينه بعرض طلب ذلك الطالب علىٰ الإمام؛ فأجبته ـ بالإشارة أيضاًـ: أن يبدأ الحديث هو، فقال جملة واحدة هي: ثمة شخص من الأخوة يعرفه السيد الجيلاني، فتابعتُ أنا الحديث قائلاً: نعم إنه طالب علم فاضل يحضرُ دروسكم أيضاً، وقد طلب من نجلكم الكريم طلباً متواضعاً هو: عباءة وعقبت علىٰ ذلك بالقول: من الأجدر بالإنسان عندما يطلب أن يطلبَ شيئاً مهماً وليس عباءة!!

إبتسم الإمام لما قلته وسألني: «هل هو مستحق؟»، أجبتُ: لو لم يكن مستحقاً لما كتب رسالة، فأدخل يده في جيبه وأخرج خمسين توماناً وأعطاها للسيد مصطفىٰ، فأخذها السيد ونظر إليّ نظرة أفهمني بما أن هذا المبلغ لا يكفي لشراء عباءة جيدة تناسب شأن هذا العالم الفاضل، ولذلك قلت للإمام ثانية: يا سيدي، إن هذا الرجل عالمٌ جليلٌ، ومن عائلة محترمة وقد طلب من ولدكم عباءة، أفلا ينبغي أن تعطوه ما يكفي لشراء عباءة مناسبة؟! فتبسم الإمام مرة أخرىٰ، وسألني: «هل هو مستحق؟»، قلت: نعم، فأدخل يده في جيبه ثانيةً وأخرج خمسين توماً أخرىٰ وأعطاها لنا، ولم نتجرأ على متابعة الحديث بهذا الشأن[(٢)].

---

(١) تقدم أنّه جهاز للتدفئة كان يستخدم سابقاً. [المترجم].

(٢) آية الله الشيخ محمد المحمدي الجيلاني، مقابلة تلفزيونية.

دفع مبلغاً لإعانة طالب العلم علىٰ تسديد قرضه

كان بعض الأشخاص يوسطوني للحصول علىٰ مساعدات مالية لهم من الإمام لتسديد قروض بذمتهم أو دفع تكاليف العلاج، وغير ذلك، فمثلاً اشترىٰ أحد طلبة الحوزة منزلاً صغيراً ولذلك كان بذمته قرضٌ هو ثلاثمائة دينار، فعرضت الأمر علىٰ الإمام، فلم يجب بشيءٍ، ثم تابعت هذا المسعىٰ عبر طرق أخرىٰ في الليالي اللاحقة، فطلبت من السيد مصطفىٰ التوسط في الأمر لدىٰ الإمام، وفي اليوم التالي قال لي السيد مصطفىٰ: لقد شكىٰ الإمام منك وقال: «إن السيد خاتم يتوسط كثيراً ويأتي قائلاً: إن فلانا مدين بأربعمائة ديناراً أو ثلامائة دينار»! قلت: قولوا لسماحته إنني لا أقصد أن يدفع سماحته المبلغ كاملاً، فذهب السيد مصطفىٰ ونقل للإمام ذلك، فضحك الإمام وقال: «إن السيد خاتم يتوسط كثيراً ولكن..» ثم قدم مبلغاً جيداً للغاية لدفعه إلىٰ ذلك الطالب لإعانته علىٰ تسديد قرضه[1].

(١) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، مقابلة تلفزيونية.

الفصل الثالث

الإمام واجتنابه المرجعية التي تزينت به

لم ينضم إلىٰ جمع كبار العلماء يوم وفاة السيد البروجردي

تم تعطيل دروس الحوزة في صباح اليوم الذي انتشر فيه خبرُ وفاة السيد البروجردي، وذهبنا إلىٰ بيت السيد فوجدنا الكثير من السادة المراجع مجتمعين فيه وقد جلس كلٌ منهم في زاوية في القسم الداخلي من منزله، وقد سعينا بكل جهدنا لكي يأتي الإمام وينضم إلىٰ هؤلاء العلماء الكبار ولكن دون جدوىٰ، فقد كان ملتزماً بالاعتزال في مثل هذه الحوادث رغم أنّه كان يحظىٰ بمكانة متميزة، وهكذا كانت سيرته في مراسم تشييع جنائز العلماء، فقد كان يشارك فيها إلىٰ باب الحرم ويرجع لكي لا يعرض نفسه لفتنة أن يطلب منه بعض الطلبة التقدم لإقامة صلاة الميت علىٰ جنازة المُتوفىٰ فيما يقول آخرون لا يصلي السيد الفلاني علىٰ الجنازة، وتجنباً لذلك كان الإمام لا يتدخل في هذه القضايا من الأساس[1].

المرجعيةُ أمرٌ إلهي

زرت الإمام في الصباح الباكر لليوم الأول الذي أعقب وفاة آية الله

---

(١) آية الله الشيخ صادق الخلخالي، مجلة (باد)، السنة الأولىٰ، العدد: ٤.

السيد البروجردي لكي أسأله عن رأيه بشأن البقاء علىٰ تقليد الميت، ولما عرضت سؤالي عليه قال: «أرىٰ جواز ذلك»، فسألته عن الدليل فشرح لي دليله.

وقد بقيتُ عنده في ذلك اليوم إلىٰ صلاة الظهر وأقمتها مقتدياً به، وقد قال لتلاميذه في ذلك اليوم: «حذار من أن تندفعوا للدعوة إلىٰ مرجعية أحد، فالمرجعية أمرٌ إلهي وسيتم تعينها بدون تأثير من هذه المداخلات»[١].

لا يحق لكم التفوة بكلمة واحدة في تأييدي

أخذت يوماً مبلغاً من المال كسهم الإمام عليه السلام من الحقوق الشرعية وتحت عناوين معينة من إحدىٰ الجهات وحملته للإمام وسلمته له، فوعظني في البداية وقال: «لا تتصوروا ـ وقد توفي آية الله البروجردي ـ أنه كان رازقنا مثلما لم يكن آية الله الشيخ عبد الكريم (الحائري) من قبل رازقنا، إن رازقنا هو الله. عليكم أن تحفظوا عزة علماء الدين، وحذار من أن تقوموا بما يجعل الناس يتصورون أن علماء الدين محتاجون، احفظوا عزة العلماء، لا تتفوهوا بكلمةٍ واحدة يُشم منها أي نقص لا يناسب العلماء، لا يحق لكم ـ في ظل هذه الأوضاع التي يتدافعون فيها لصنع مراجع!! ـ أن تتفوهوا بكلمةٍ واحدة في التأييد لي أو في اغتياب عالم آخر. عليكم أن تقوموا بواجباتكم بأفضل ما يمكن وتخدموا الناس وتجاهدوا»[٢].

يجب الامتناع عن أي ذكر لي، المهم حفظ وحدة الحوزة

أخذت الوفود تتقاطر علىٰ قم من جميع المحافظات الإيرانية إثر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ لطف علي الفقيهي، مجلة (اطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) آية الله الشيخ الشهيد فضل الله المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

وفاة آية الله البروجردي تكريماً له وبهدف المشاركة في المراسم التي أقيمت بمناسبة مرور سبعة أيام ثم أربعين يوماً علىٰ وفاته. وقد تقرر أن أرتقي المنبر في إحدىٰ الليالي لإلقاء خطاب في هذه المراسم فتشرفت بزيارة الإمام وقلت له: لقد طلبوا مني إلقاء كلمة في هذه المراسم فهل توصونا بشيء؟

وهنا عرفت عظمة روح الإمام، إذْ أن المألوف في مثل هذه الحالات أن يمدح التلامذة أستاذهم ويعرفونه للناس، أمّا الإمام فقد قال لي: «إن المهم والضروري الآن هو التأكيد علىٰ وحدة الحوزة، يجب حفظ الحوزة، يجب الامتناع عن أي ذكر لي أو إشارة إلي في الخطاب، بل يجب التأكيد علىٰ حفظ وحدة الحوزة»[1].

لكن الذي حدث هو أننا لم نعثر علىٰ الإمام!

كان الجميع إثر وفاة آية الله البروجردي يسعون للتعرف علىٰ مرجع التقليد الذي يخلفه، وقد سعينا ـ نحن تلاميذ الإمام ـ لتوضيح مكانة الإمام في مراسم تشييع جثمان السيد البروجردي وذلك من خلال التجسيد العملي في هذه المراسم لحقيقة أن الكثيرين من طلبة الحوزة يؤيدون زعامة ومرجعية السيد الإمام، ولذلك كنا نتحين الفرصة لكي نحيط به بكثافة خلال مراسم التشييع ونرفع أصواتنا بالصلوات علىٰ محمد وآله والتسليم علىٰ السيد الإمام لكي نعبّر من جهة عن تأييدنا القلبي لسماحته من جهة ونعرفه للناس من جهة أخرىٰ.

ولكن الذي حدث هو أننا لم نعثر علىٰ الإمام في مراسم التشييع رغم طول بحثنا عنه!! وقد تحدث بنفسه فيما بعد عن هذا الموضوع قائلاً: «إن مرضي لم يكن بالدرجة من الشدة التي تمنعني من الحضور

---

(١) آية الله الشيخ أبو القاسم الخزعلي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٤٠.

في مراسم تشييع جثمان السيد البروجردي، لكنني لم أحضر المراسم لأنني رأيت أن حضوري تبعات لا أرغب فيها وأن بعض الأمور ستجري أثناء ذلك ولذلك أحجمت عن الحضور لكي أكون بعيداً عن هذه الأمور».

ثم قال: «علىٰ كل محبٍّ لي أن يبقي حبه لي في قلبه، فلا يقوم بأبسط حركة من أجل التبليغ لزعامتي»(١).

يوجد ولله الحمد من العلماء مَن يقوم بهذه المهمة

لم يسعَ الإمام طوال عمره إلىٰ الزعامة والمرجعية ولا بمقدار تحريك قدم واحدة. وقد شهدت قم ـ إثر وفاة آية الله البروجردي ـ الكثير من التحركات والنشاطات علىٰ صعيد الوصول إلىٰ رئاسة الحوزة وبالتالي المرجعية الدينية، تلاميذُ كل عالم من العلماء الكبار ومحبوه يسعون للدعاية له، وكنا نحن أيضاً نرغب في التبليغ لصالح أستاذنا ـ أي الإمام الخميني ـ لكن الإمام نفسه كان يعارض بشدة هذه التحركات ويجتنب بحزم القيام بأبسط خطوة علىٰ هذا الطريق، ولذلك كان يشارك ـ بهيئةِ الفرد العادي ـ في مراسم تشييع العلماء والمجالس التأبينية التي كانت تعقد علىٰ أرواحهم ويجلس في زاوية وحده، وكان يجتنب حضور بعضها بالكامل.

ولذلك أيضاً قرر عدم إقامة مجلس تأبيني لآية الله البروجردي وكان يصر علىٰ هذا القرار لكنه اضطر بسبب شدة إلحاح الطلبة وبسبب مصالح معينة إلىٰ القبول بإقامة مثل هذا المجلس ومع ذلك فقد أخر إقامته إلى ما بعد انتهاء المجالس التأبينية التي أقامها العلماء الآخرون.

---

(١) آية الله الشيخ محمد مهدي الرباني الأملشي، مجلة (بيام انقلاب)، العدد:٧٨.

أمّا فيما يرتبط بالتصدي لإدارة شؤون الحوزة ودفع الرواتب الشهرية لطلبتها فقد إعتزل ذلك بالكامل وكان يقول: «يوجد ولله الحمد من السادة العلماء مَن يقومُ بهذه المهمة، لذلك فنحن نتابع مهمتنا العلمية». وقد إقترحنا عليه ـ أنا وأحد الأخوة ـ البدء بدفع الرواتب للطلبة وقلنا إن الأموال اللازمة سيتم توفيرها لكنه رفض الاستجابة لهذا الاقتراح[1].

لم يرغب أبداً في التصدي للمرجعية

كان الإمام يقضي أيام الصيف بمعية عائلته في منطقة «إمام زاده قاسم» في طهران في السنين التي تلت وفاة آية الله البروجردي، وفي تلك الأيام كان التوجه لمرجعية آية الله السيد هادي الشيرازي أقوىٰ من التوجه لمرجعية آية لله الحكيم، لكن السيد الشيرازي توفي ـ مع الأسف ـ بعد عدة شهور، ولذلك جاء عددٌ من العلماء من قم إلىٰ الإمام وضغطوا عليه لإقامة مجلس تأبيني لآية الله السيد الشيرازي لكنه رفض وقال: «لن أقيم مجلساً تأبينياً ولن أشارك في أي مجلسٍ تأبيني»، وكان سبب هذا الموقف هو مثل هذه الأعمال تعني ـ في العرف الحوزوي ـ التصدري للمرجعية وهذا ما لم يكن يرغب فيه الإمام أصلاً، وأتذكر أن المرحوم الشيخ الإشراقي (صهر الإمام) قد زار الإمام وعرضَ عليه هذا الاقتراح مرةً أخرىٰ وقال: لقد أرسلني فضلاءُ حوزة قم لكي أطلب منكم القيام بهذا الأمر، ولكن الإمام أصرّ علىٰ موقفه الرافض. وقد استمرت الضغوط عليه من طلبة الحوزة والأهالي فيما بعد حتىٰ اضطر إلىٰ طبع رسالة فقهية عملية[2].

---

(١) آية الله الشيخ إبراهيم الأميني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ١٠٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (حضور)، العدد الأول.

أريدُ التفرغ للنشاط العلمي ولكن هذا هو حال الدنيا

زرنا الإمام بمعية عدد من طلبة الحوزة المؤيدين له في منزله بعد وفاة السيد البروجردي وطلبنا من السماح بطبع حاشيته العربية علىٰ كتاب العروة الوثقىٰ وقلنا: إن عدداً منّا يريدون الرجوع إليكم في التقليد. وكان عددٌ منا مترددين في الأعلمية بين الإمام وبين المرحوم آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي الذي شاع الحديث كثيراً عن زهده وتقواه وأعلميته وقد أدىٰ هذا الحديث إلىٰ إيجاد تلك الحالة من الترديد بين هذين العَلَمين ولذلك أردنا العمل بالاحتياط في الأخذ بفتاويهما.

وعلىٰ أي حال فقدتوفي السيدعبد الهادي الشيرازي بعد خمسة أو ستة شهور من وفاة آية الله البروجردي، وقد تحدث الإمام لنا في ذلك اللقاء مطولاً وكان مما قاله: «أريدُ التفرغ للنشاط العلمي والتدريس، ولكن هذا هو حال الدنيا».

لقد اضطر الإمام في النهاية إلى الموفقة علىٰ طبع تعليقاته علىٰ كتاب العروة الوثقىٰ، ثم علىٰ طبع كتبه العلمية الأخرىٰ التي لم يكن قد سمح ـ إلىٰ ذلك اليوم ـ بطبعها، فكان أول ما طُبع منها كتاب «المكاسب المحرمة» بمجلديه[(١)].

لم يسع للمرجعية طوال حياته

كان عمر الإمام يوم وفاة آية الله البروجردي حدود (٦٢) عاماً، وقد قام عددٌ من العلماء يومذاك بطبع رسائلهم العملية التي كانوا قد كتبوها من قبل وقاموا بتوزيعها، كما وافقوا علىٰ التصدي لدفع الرواتب الشهرية التي كان السيد البروجردي يدفعها لطلبة الحوزة تحت عنوان أن من غير

---

(١) آية الله السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٣١٨.

الصحيح أن تبقىٰ الحوزة بلا راعٍ بعد وفاة السيد البروجردي، أمّا الإمام فلم يتدخل في هذه التحركاتً أبداً، واقتصر الأمر علىٰ حضوره في اجتماعٍ أو اجتماعين لكبار العلماء في الحوزة، ثم انسحب وتابع نشاطه العلميَّ والتدريس وتربية الطلبة كما كان حاله قبل ذلك دون تغيير.

إن الإمام لم يسعَ طوال حياته لمقام المرجعية ولا بخطوةٍ واحدة، وخير مَن يشهد علىٰ ذلك تلامذتُهُ، فمثلاً قام سماحة الشيخ الميرزا جعفر السبحاني ـ وهو صاحب تقريرات دروس الإمام في الأصول وقد تتلمذ علىٰ يده أربعة عشر عاماً ـ؛ قام يومذاك بجمع مبالغ من المال من طلبة الحوزة وجاء بها للإمام لكي يقيم مجلساً تأبينياً علىٰ روح السيد البروجردي ـ رحمه الله ـ، وهو يتصور أن الإمام لم يعقد مثل هذا المجلس لعدم توفر المال اللازم لذلك لديه، ولا شك أن الذين قدموا هذه الأموال إنما فعلوا ذلك بنوايا خيرة، ولكن الإمام لم يجتنب إقامة مثل هذا المجلس لدوافع مالية، بل لأنّ إقامة مثل هذه المجالس كانت تحمل دلالات خاصة في الحوزات العلمية يُفهم منها ادعاء المرجعية من قبل الطرف الذي يقيمها، والإمام لم يتحرك أبداً نحو المرجعية وكانت جهوده تنصب باتجاه تعليم وتربية الطلبة من أجل إعدادهم لمستقبل الحوزة والإسلام[١].

لم يخرج من بيته إثر وفاة السيد البروجردي

لم يتحرك الإمام ولا خطوة واحدة بهدف الوصول إلىٰ المرجعية، بل كان يجتنب بشدة الأعمال التي يمكن أن يُفهم منها تصديه للمرجعية، ولذلك لم يشارك في مراسم تشييع جثمان المرحوم السيد البروجردي ولم يشارك في إقامة المجالس التأبينية علىٰ روحه، بل ولم يخرج في

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مقابلة تلفزيونية.

تلك الأيام من منزله علىٰ الرغم من أنّه كان يحب آية الله البروجردي بعمق[1].

لا أرضىٰ بحدوث أبسط تشتت في صفوف الحوزة

حزن الإمام بعمق لوفاة آية الله البروجردي، لكنه لم يحضر مراسم تشييعه ولم يعقد مجلساً تأبينياً له!! وقد سأله عددٌ من السادة العلماء وطلبة العلم عن سبب ذلك وألحوا عليه من أجل عقد مجلس تأبيني للسيد البروجردي، فاكتفىٰ بالقول: «أرىٰ أن من المحتمل أن يؤدي حضوري في مراسم التشييع إلىٰ حدوث تشتت في صفوف الطلبة، فقد يلتفُ عددٌ منهم حولي، وأنا لا أرضىٰ حتىٰ بهذا المقدار من التشتت، يجب أن يكون جميع السادة في صف واحد»، فقال أحد فضلاء الحوزة للإمام: ولكن قد يُفسّر عدم حضوركم مراسم تشييع جثمان السيد البروجردي وعدم إقامتكم لمجلس تأبيني بأنكم معارضون له، فأجاب الإمام: «أقسم بجدي أنني لا أعرف شخصاً يحب آية الله البروجردي مثلما أحبه، ولكنني لا أشارك في هذه المراسم دفعاً لأبسط أشكال الاختلاف والنزاع المحتمل». وعندها قال أحد السادة الحاضرين: ولكن من المحتمل أيضاً أن يفهم الناس عدم مشاركتكم في هذه المراسم بأنكم تعارضون إقامة مراسم التأبين والعزاء لفقد آية الله البروجردي، وهذا التصور قد يؤدي بحدٍّ ذاته إلىٰ بث الاختلاف والتشتت! فقال الإمام: «قد يقول البعض ذلك، ولكن لا ضير في ذلك»!

ثم اجتمع فضلاء الحوزة وطلبتها [من تلاميذ الإمام] وعقدوا مجلساً تأبينياً باسم الإمام بمناسبة وفاة آية الله البروجردي، وقد ألقىٰ الشيخ الفلسفي كلمة في هذا المجلس، وقبل أن يرتقي المنبر قال له الإمام:

---

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٥.

«لا تذكر إسمي في كلمتك»، فأجاب الشيخ الفلسفي: هذا الموقف يقتضيه واجبٌ ترون أن عليكم القيام به، وأنا أيضاً أشعر بأنّ عليّ واجباً سأقوم به!

ثم ارتقىٰ الشيخ الفلسفي المنبر وتحدث مفصلاً في مدح مقام الإمام[1]!!

لا أحبّ أن يُفسر حضوري بأنني أعرض نفسي للزعامة!

حضر الإمام ـ بعيد وفاة آية الله العظمىٰ البروجردي ـ بعض المجالس التأبينية التي عقدت علىٰ روحه، ثم قلل المشاركة في المجالس اللاحقة الأمر الذي أثار الاعتراضات فأجاب الإمام عليها بالقول: «لا أحب أن يُفسر حضوري بأنني أعرض نفسي للزعامة». ولذلك فقد صبر الإمام ولم يعقد مجلساً تأبينياً لآية الله البروجردي إلاّ بعد أن انتهت المجالس التي عقدها العلماء الكبار بل وحتىٰ علماء الطبقة الثانية والثالثة، أي بعد سبعة عشر أو ثمانية عشر يوماً من وفاة السيد البروجردي[2]!!

كان يحلق في معارج الجهاد الأكبر

نشطت بعض الأيدي المشبوهة بعد وفاة آية الله البروجردي لمنع ذكر إسم أي من مراجع قم في المجالس التأبينية التي أُقيمت علىٰ روحه، وبعد (١٨) يوماً من وفاته أرسل نظام الشاه برقية تعزية بهذه المناسبة إلىٰ حوزة النجف علىٰ أمل نقل المرجعية من قم إلىٰ النجف كمقدمةٍ لإنحلال الحوزة العلمية في قم. والعمل الوحيد الذي كان بالإمكان القيام به

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:١٤٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنجرودي، المصدر السابق، ص:١٤٠.

يومذاك هو أن تُعقد المجالس التأبينية لآية الله البروجردي في المسجد الأعظم في قم ـ والذي كان مركزاً لمراسم العزاء طوال أربعين يوماً بعد وفاة السيد ـ بأسماء الشخصيات العلمائية في حوزة قم، وأن تذكر هذه الأسماء في هذه المراسم أو في الإعلانات الورقية التي تلصق علىٰ الجدران بشأن هذه المراسم، ولكن الإمام اجتنب حتىٰ هذه الباب المفتوحة والتي كان من الممكن التبليغ له، فجلس في بيته وأغلق بابه أيضاً!

لقد اتخذ هذا الموقف في وقت كان الحضور في وسط الناس وخاصة أبناء المدن الأخرىٰ الذين تدفقوا يومها علىٰ قم يشكل فرصة مهمة لتعرف الناس عليه أو علىٰ الأقل سماع بعضهم لإسمه، لكن الإمام أغلق هذا الباب أيضاً بل وكان يجتنب حتىٰ إقامة مجلس تأبيني باسمه للسيد البروجردي مثلما فعل جميع العلماء الكبار يومذاك، وقد آذىٰ هذا الموقف محبيه الذين غفلوا عن حقيقة الإمام يحلق في معارج الجهاد الأكبر ومجاهدة النفس: فهنا تكمن علة موقفه، ولذلك أغلق علىٰ نفسه كل تلك الأبواب حتىٰ مضت (١٥) يوماً علىٰ وفاة آية الله البروجردي ولم يتم تحقيق أي شيءٍ علىٰ صعيد تعريف الناس بشخصية الإمام، وقد انتهت المجالس التأبينية التي عقدها كبار العلماء الأمر الذي أقلق بعض الأخوة من عدم عقد الإمام لمجلسٍ منها باسمه؛ ولذلك جاء آية الله الشهيد السعيدي مع عدد من فضلاء مشهد إلىٰ الإمام في يوم (٢٥) شوال ذكرىٰ وفاة الإمام الصادق عليه السلام وقد خُصص هذا اليوم لمجلس تأبيني للسيد البروجردي يُعقد باسم الطلبة المشهديين، وأثناء هذا اللقاء قال هؤلاء السادة للإمام: «لقد أقمتم إثر وفاة آية الله الكاشاني مجلساً تأبينياً علىٰ روحه وفي المسجد الأعظم استمر يومين، لذلك فإن عدم إقامتكم مجلساً تأبينياً بمناسبة وفاة آية الله البروجردي سيكون له انعكاسات غير مناسبة».

ومع التذكير بهذه القضية وتنازل طلبة مشهد عن الوقت المخصص لهم لصالح الإمام، عُقد في يوم (٢٥) شوال مجلس تأبيني باسم الإمام علىٰ روح آية الله البروجردي؛ وعندما دخل الإمام ـ وهو المقيم لهذا المجلس ـ المسجد، أعلن عريف المجلس عن دخوله وقال: يُقام هذا المجلس من قبل آية الله العظمىٰ السيد الخميني، وعندما سمع الإمام بهذا الإعلان استدعىٰ عريف المجلس وقال له بحالةٍ من عدم الرضا: «لا يحق لكم أن تذكروا إسمي إلىٰ حين انتهاء عقد هذا المجلس عصراً»[١].

إقامة مجلسه التأبيني علىٰ روح السيد البروجردي بعد (١٢) يوماً

توفي السيد البروجردي يوم (١٣) شوال [سنة ١٣٨٠هـ.ق] سنة ١٣٤٠هـ. ش، [١٩٦١م]، وأقام الإمام مجلسه التأبيني علىٰ روحه يوم (٢٥) شوال، وكان هذا أول مجلس تأبيني يحضره الإمام من المجالس التأبينية التي أقيمت علىٰ روح السيد البروجردي وقد شارك بعد ذلك في مجالس أخرىٰ[٢].

يقيم المجلس التأبيني بضغطٍ من طلبته

كان الإمام يرفض أن يعرض نفسه للزعامة. فمثلاً عندما توفي آية الله البروجردي لم يخرج الإمام من بيته علىٰ الرغم أن المتعارف في الحوزة أن يقيم المرجع اللاحق مجلساً تأبينياً للمرجع المتوفىٰ فور وفاته ولذلك تحدث طلبته معه بهذا الشأن ولكن دون جدوىٰ، إلىٰ اليوم السابع والثلاثين أي اليوم الذي كان طلبة مشهد قد حصلوا على موعدٍ لإقامة مجلسهم التأبيني علىٰ روح السيد البروجردي فيه، فقام طلبة الحوزة

(١) آية الله الشيخ غلام رضا الرضواني، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ١٢٩.

(٢) آية الله السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، وهذا القول هو أدق الأقوال بهذا الشأن.

بالضغط علىٰ الإمام لإقامة هذا المجلس باسمه رغم أن مجلسه التأبيني كان ينبغي أن يعقد بعد يومين أو ثلاثة من وفاة آية الله البروجردي[1].

يرفض توزيع رسالته العملية مجاناً

لم تكن في الإمام أدنىٰ رغبة في الدنيا والرئاسة والمرجعية، لقد كان آخر من أقام مجلساً تأبينياً بعد وفاة آية الله البروجردي رغم أن التسابق في ذلك كان وسيلة لكسب المكانة الاجتماعية. كما أنه كان يرفض توزيع رسالته العملية مجاناً رغم أن هذا الأمر كان ظاهرة مألوفة وعادية في بيوت المراجع، حتىٰ أن السيد البروجردي ـ ومع عظمته المرجعية ـ كان يعطي نسخاً من رسالته العلمية مجاناً للذين يراجعونه[2].

عليكم الحصول علىٰ الرسالة العملية من غير هذا المكان

نقل والد زوجتي الشهيد محمد حسين الصاحبي ـ الذي استشهد هو وزوجته إثر إحدىٰ الهجمات الصاروخية لنظام صدام الكافر علىٰ مدينة دسفول ـ الحادثة التالية، قال: سافرت قبل انتصار الثورة إلىٰ العراق لزيارة العتبات المقدسة لأهل البيت عليهم السلام، وذهبت في غضون ذلك ألىٰ قسم البراني في بيت الإمام في النجف لزيارته وتقديم مقدارٍ من الحقوق الشرعية لسماحته، وقد أثارت إعجابي في هذا اللقاء قضيتان جديرتان بالتأمل، الأولىٰ هي أنني عندما قدمت الحقوق الشرعية لسماحته لم يستلمها وأمرني ـ بحالةٍ خاصة من اللامبالاة يمتاز بها في مثل هذه الحالات ـ بأن أسلمها لأحد الأشخاص.

أمّا القضية الثانية فهي أنني طلبت منه نسخة من رسالته العملية ولم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:٩٧.

(٢) آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة إطلاعات، بتأريخ ١٤/٣/١٣٦٩هـ.ش.

يكن ثمنها غالياً وكان من المألوف لدىٰ جميع المراجع أن يقدموا مجاناً لمقلديهم ـ الذين يراجعونهم ـ نسخاً من رسائلهم العملية، لكن الإمام أجاب علىٰ طلبي بلهجةٍ مفعمة بالرأفة واللطف قائلاً: «ليس لدي هنا نسخ من الرسالة العملية، عليكم أن تحصلوا عليها خارج هذا المكان»! وبعد التشرف بلقائهِ زرت أحد مراجع التقليد في النجف فبادرنا هو بالحديث عن الحقوق الشرعية وكان يقدم للمراجعين نسخاً من رسالته العملية مجاناً[١].

كان يتعامل معنا ببرودٍ كاملٍ

كلفني السيد الدكتور السنجابي ـ بعد وفاة المرحوم السيد البروجردي ـ بمهمةِ الذهاب إلىٰ قم لمعرفة المجتهد الأعلم الذي يجب الرجوع إليه في التقليد، وكان السيد الشريعتمداري هو المرشح الأول لذلك في رأي السيد الدكتور السنجابي والجبهة الوطنية، لكنني وبحكم التزامي الديني كنت أقول: يجب أن أعرف مَن هو الأعلم والأعدل.

ذهبت أولاً إلىٰ سماحة السيد الشريعتمداري وكانت تربطنا به علاقة من قبل، كان يعرفني جيداً وأعرفه جيداً أيضاً، لكنني عندما زرته لم أشعر بأنّه يمكن أن يكون مرجعاً جيداً، فلم يتلائم مع ذوقي الخاص، ثم ذهبت إلىٰ سماحة السيد المرعشي وسماحة السيد الكلبايكاني، ولم أقتنع بهما أيضاً. سألنا: ألا يوجد آخرون مرشحون للمرجعية؟ قالوا: يوجد سيد آخر إسمه روح الله! فذهبنا إلىٰ منزله وانتظرنا قدومه، ثم جاء كعادته ـ أي وهو مطرق إلىٰ الأرض لا ينظر إلىٰ أحد ـ رد السلام ودخل إلىٰ القسم الداخلي من منزله ثم عاد بعد دقائق وجلس فأخذ المراجعون الذين كانوا بانتظاره يعرضون عليه قضاياهم تباعاً، ولما

---

(١) السيد حميد حلمي، الآرشيف الخاص بمؤلف الكتاب.

خرجوا، جلسنا نحن بالقرب منه وقلنا: لقد جئنا إلىٰ قم ممثلين للجبهة الوطنية بهدف معرفة مرجع التقليد ومن أجل هذا جئنا لسماحتكم. أجاب: «حسن جداً»! لكنه كان يتعامل معنا ببرودٍ كامل!! بل وقال لنا بصراحة: «ليست لدى نسخٌ من الرسالة العملية، يمكنكم شراءها من المكتبات»!! نعم، لم يعطنا حتىٰ نسخة واحدة من رسالته العملية في حين أننا عندما كنا نزور باقي المراجع كانوا يقدمون لنا رسائلهم العملية، بل وطعام الغداء، بل والمال وكل شيء!!![١].

إطمئن بالي فقد وجدت الحوزة مَن يتكفل بأمورها

نقل لي المرحوم الشيخ الإشراقي أنّه وبعد وفاة السيد البروجردي لم يكن لحوزة قم زعيم معين، فتم عقد اجتماع ضم مراجع التقليد الحاليين وعدد من العلماء الذين توفاهم الله فيما بعد، وكان الهدف من الاجتماع هو تعيين مسؤول عن الحوزة، وكان من الطبيعي أن مَن يتولىٰ مسؤولية إدارة الحوزة ستكون له مرجعية التقليد أيضاً. تبادل الحاضرون في الاجتماع الأحاديث فوافق أحد السادة علىٰ تكفل دفع جزء من رواتب الحوزويين، ووافق آخر علىٰ تكفل دفع قسم ثانٍ منها، ووافق ثالث علىٰ التكفل بتوفير الخبز لطلبة الحوزة، ولمّا وصل الدور إلىٰ الإمام طلبوا منه أن يتكفل بشيءٍ من الاحتياجات المادية للحوزة فقال: «ليس لدي إمكانية التكفل بشيء، فليس لدي مالٌ لكي أوزعه كرواتب للحوزويين، ولا يمكنني أيضاً توفير الخبز للطلبة».

وكان من الطبيعي أن لا يكون للإمام سهم في مرجعية التقليد مع هذا الموقف، ولذلك كان يفترض أن لا تكون نتائج هذا الاجتماع

---

(١) السيد مدير الشانجي، كتاب (تدوين التأريخ الشفوي للثورة الإسلامية الإيرانية)، تأليف السيد عماد الدين الباقي.

مريحة له وكان من المفترض أن يخرج منه وهو غير مرتاح ولكن الذي حدث علىٰ العكس بالكامل، يقول الشيخ الإشراقي: لقد أمعنت النظر إلىٰ الإمام لحظة خروجه من الاجتماع فوجدته منعماً بحالة من الارتياح والسرور أثارت تعجبي واستغرابي، فقلت له: كيف يمكن أن تكونوا بهذه الحالة من السرور والفرح؟ أجاب: «إن سبب سروري هو أن بالي قد اطمئن، فقد وجدت الحوزة مَن يتكفل بأمورها، ووافق السادة علىٰ التكفل بتوفير رواتبها وخبز طلبتها ولذلك زال قلقي وارتاح بالي»!

يقول الشيخ الإشراقي: فسألته: وأنتم بماذا تكفلتم؟ أجاب: «لم أتكفل أنا بشيء»[1]!!

الله تعالىٰ هو حافظ الحوزة

عقد علماءُ الطبقة الأولىٰ في حوزة قم اجتماعاً بعد أيامٍ من وفاة السيد البروجردي بهدف اتخاذ الاجراءات اللازمة لحفظ الحوزة، وقد دُعي الإمام أيضاً لهذا الاجتماع، وبعد عودته من هذا الاجتماع قال: «كان عقد هذا الاجتماع ضروري لترتيب دفع الرواتب وحفظ الحوزة»، فسأله سماحة الشيخ الإشراقي: وهل تكفلتم أنتم بشيء؟ أجاب: «كلا»، فسأله ثانية: ولماذا؟ يمكنكم أن تقترضوا ما يلزم إذا لم يكن لديكم شيءٌ من الحقوق الشرعية، فقال الإمام: «هذا ما لا أفعله أبداً، متىٰ ما وصلت الأموال أعطيتها للسادة، وإذا لم يصلني شيءٌ منها فلا حاجة لكي أوقع نفسي في أسر الديون، والله تعالىٰ هو حافظ الحوزة»[2].

---

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مقابلة تلفزيونية.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٤، ص:١٤٦.

دعوني أبقىٰ مدرساً في الحوزة لا أكثر

بقي الإمام مصراً علىٰ موقفه الرافض لطبع رسالته العملية علىٰ الرغم من مرور فترةٍ طويلة علىٰ وفاة المرحوم السيد البروجردي وعلىٰ الرغم من كثرة طلباتنا الملحة والمكررة منه للموافقة علىٰ ذلك، حتىٰ إننا كنا نقول له: يا سيدي، إن عيالاتنا وأولادنا يقلدونكم وهم بحاجة لرسالتكم العملية للتعرف علىٰ فتاويكم؛ فكان يجيب بالقول: «دعوني أبقىٰ مدرساً في الحوزة لا أكثر».

كما كان يمتنع عن توزيع رواتب علىٰ الحوزويين ـ مثلما يفعل بقية مراجع التقليد ـ علىٰ الرغم من إمكانية توفير هذه الرواتب ووضعها تحت اختياره لكي يوزعها باسمه، كان يقول: «كل مَن شاء أن يحضر الدرس فليحضر». ثم وافق علىٰ توزيع الرواتب مضطراً بعد تكرر الضغوط والطلبات المحلة منه[1].

لن أسمح بطبع الرسالة العملية ما لم أرَ المقلدين

كان الكثير من مراجع التقليد قد استعدوا للقيام بالواجب بعد انتقال آية الله العظمىٰ السيد البروجردي إلىٰ رحمة الله، وقد أُعدت لهم من قبل المقدمات اللازمة للقيام بذلك، ولذلك تكفل إثنان أو ثلاثة منهم بتوفير ودفع الرواتب التي كان يدفعها مكتب آية الله العظمىٰ للبروجردي لطلبة الحوزة والتي كانت تبلغ يومذاك (١٢٨) ألف تومان شهرياً، أمّا الإمام فلم يتدخل في ذلك يومذاك واكتفىٰ بمتابعة التدريس والبحث العلمي؛ وكان إذا حضر المجالس التأبينية التي كانت تعقد علىٰ روح الله السيد البروجردي حضرها بصورةٍ غير واضحة متعمداً أن لا يُلاحظ حضوره ـ.

---

(١) آية الله الشيخ محمد المحمدي الجيلاني، مقابلة تلفزيونية.

وبعد انتهاء هذه المجالس عزم طلبة الحوزة ـ الذين لم يهدأوا عن متابعة قضية تصدي الإمام للمرجعية لإيمانهم بمؤهلاته العلمية والأخلاقية ـ علىٰ طرح هذه القضية عليه فذهبوا إلىٰ زيارته؛ وأتذكر أن عددهم كان ثلاثين شخصاً، زاروه يومَ الخميس وطلبوا منه رسالته العملية فكان جوابه هو: «لن أسمح بإعداد وطبع الرسالة العملية ما لم أرَ المقلدين». ومع هذا الجواب لم يستطع هؤلاء الطلبة متابعة طلبهم، وكان مقصود الإمام هو: إنني لست من الذين يطبعون رسائلهم العملية قبل رجوع المقلدين إليهم، ولا يمكنني أن أعمل بهذه الصورة، فإذا رجع إليّ المقلدون صار الأمر واجباً شرعياً؛ وبعبارة أخرى: «إنني لا أرتب مقدمات مرجعيتي بنفسي»[1].

نحن مقلدوك ونريدُ رسالتك العملية

لم تكن للإمام رسالة عملية مطبوعة عندما توفي المرحوم آية الله العظمىٰ البروجردي. وقد أقنعناه بصعوبة، بالغة بطبعها بعد ذلك، ولعلنا كنا حدود المائة من تلامذته اجتمعنا وذهبنا لزيارته وقلنا: يا سيدي نحن نرجع في التقليد إليكم ونريدُ الحصول علىٰ رسالتكم العملية، وبذلك جعلناه أمام الواجب الشرعي لكي يوافق علىٰ طبع رسالته العملية، وحصلنا ـ بعد المزيد من الإلحاح ـ علىٰ إذنه بطبعها، وتم طبع أول رسالة عملية له تحت عنوان «نجاة العباد» وقد قام بتنظيمها عددٌ من طلبته علىٰ ضوء فتاويه[2].

هل نطرق بابكم كلما احتجنا لمعرفة فتواكم

اجتمع عددٌ من تلامذة الإمام في منزله بعد وفاة المرحوم السيد

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد سروش المحلاتي، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) آية الله الشيخ محمد مهدي الرباني الأملشي، مجلة (بيام انقلاب)، العدد:٧٨.

البروجردي وطلبوا منه بإلحاح إعداد وطبع رسالته العملية باللغة الفارسية وطبعها، ولكنه لم يكن يوافق علىٰ السماح بذلك. لقد احتشدنا ـ نحن وبمعية عدد من الطلبة ـ في غرفة القسم البراني من منزله، وقلنا له: ما الذي نفعله يا سيدي ونحن نرىٰ أن واجبنا هو الرجوع إليكم في التقليد الشرعي ودعوة الآخرين أيضاً لتقليدكم؟ هل يمكن أن نطرق بابكم في الأوقات المناسبة وغير المناسبة ونسألكم عن فتواكم في كل قضية تمرُّ بنا؟! وهل يمكن أن نطلب من مقلديكم أن يطرقوا بابكم كلما احتاجوا لمعرفة فتواكم في مسائلهم الشرعية؟! أم أن الوضع الطبيعي هو أن تكون رسالتكم العملية متوفرة بأيدي المقلدين لكي يتعرفوا بواسطتها علىٰ فتاويكم كما هو العرف الشائع بين جميع مراجع التقليد؟!

بعد هذه الاستدلالات وافق الإمام علىٰ أن يقوم بعض الطلبة بإعداد وطبع رسالته العملية[(١)].

السادة موجودون وهم يتكفلون أمور الحوزة

عقد علماء الطبقة الأولىٰ [في حوزة قم] إجتماعاً بعد وفاة آية الله البروجردي، ووافق كلٌ منهم علىٰ التكفل بقسم من أمور الحوزة، وبعد انتهاء الاجتماع وجه المرحوم الإشراقي (صهر الإمام) سؤالاً إليه هو: ما الذي وافقتم أنتم علىٰ تكفله من أمور الحوزة؟ أجاب: «لم أتكفل بشيء، السادة موجودون وهم يدبرون أمورها»؛ فانزعج الشيخ الإشراقي من هذا الجواب وذهب، فقلنا للإمام: إن تلامذتكم ـ يا سيدي ـ كثيرون وهم يتوقعون منكم غير هذا الموقف، فقال: «لا معنىٰ لهذا التوقع»[(٢)].

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي، مقابلة تلفزيونية.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي الخميني، مجلة (نور علم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.

خادم لطلبة الحوزة

إجتمع العلماء بعيد وفاة المرحوم السيد البروجردي في منزله لاتخاذ قرارات بشأن تدبير أمور الحوزة وتكفل دفع الرواتب الشهرية التي كان يدفعها ـ رحمه الله ـ لطلبة الحوزة، وقد سألوا الإمام عما يتكفله هو من هذه الأمور فقال: «أنا باق علىٰ حالي خادم لطلبة الحوزة مشتغل بالتدريس والبحث العلمي»[1].

لم يفكر بالرئاسة أبداً

لم يكن الإمام ـ ومع ما تميّز به من عظمة الشخصية والمكانة الاجتماعية المرموقة ـ يفكّر أبداً بالرئاسة والترأس، ولم يقم بأبسط خطوة لتعريف الآخرين بشخصيته أو الحصول علىٰ أي منصب، وكان يجتنب حتىٰ الحضور في الاجتماعات التي تُعقد بشأن هذه الأمور، كما كان يتجنب أن يحيط به أصحابه ومؤيدوه وهو يخرج من منزله، بل ورفض حتىٰ طبع رسالته العملية بعد وفاة المرحوم آية الله البروجردي إلىٰ أن راجعه عددٌ من فضلاء الحوزة وأساتذتها وعددٌ كبيرٌ من طلبتها ولعدة مرات وألحّوا في الطلب منه السماح بطبع رسالته العملية لأنّهم تيقنوا من أعلميته ورجعوا إليه في أمر التقليد الشرعي.

وبعد أن أعطىٰ رسالته العملية رفض طبعها علىٰ نفقة الآخرين، فتكفل عددٌ من الفضلاء بطبعها علىٰ نفقتهم الخاصة، وبذلك وضعت فتاويه بين أيدي مقلديه فطبعت أولاً حاشيته علىٰ كتاب وسيلة النجاة لآية الله السيد أبي الحسن الإصفهاني ثم حاشيته علىٰ العروة الوثقىٰ ثم رسالته العملية المستقلة[2].

---

(١) آية الله محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٣، ص:١١٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، كتاب (قبسات من الأبعاد المعنوية والأخلاقية والعرفانية للإمام الخميني)، ص٧٢.

إذا احتاج المسلموم يوماً لمرجع..

طلبوا من الإمام مراراً أن يتصدىٰ للمرجعية الدينية بعد وفاة آية الله البروجردي وأن يطبع رسالته العملية لأنّ الناس يريدون الرجوع إليه في أمر التقليد الديني فكان يقول: «خطوا حولي بخط أحمر، ودعوني أتفرغ لعلمي التدريسي، إذا احتاج المسلمون يوماً لمرجعٍ في التقليد فسأتصدىٰ يومها لذلك، أما الآن فيوجد مَن بهم الكفاية فدعوني وشأني».

وكان هذا الموقف سبباً لازدياد حبنا ـ نحن والعارفين بحاله ـ له[1].

إذا استطاع المتصدون النهوض بالأمر..

نقل الي المتولي لمرقد السيدة المعصومة الحادثة التالية، قال: ذهبتُ بعد يوم من وفاة السيد البروجردي إلىٰ السيد الخميني ودعوته أن يتصدىٰ للمرجعية فقال: «لا حاجة لذلك الآن، لا يقع علىٰ عاتقي اليوم واجبٌ شرعي في هذا المجال، إذا استطاع السادة المتصدون النهوض بأعباء الأمر فهم جديرون بذلك وأنا قانع بالاقتصار علىٰ مهمة التدريس، أمّا إذا لم يستطيعوا ففي هذه الحالة...»[2].

أجدر من الجميع

بعد وفاة المرحوم السيد البروجردي، كان تلامذةُ الإمام المخلصون يرونَهُ أجدرَ من الجميع بمقام المرجعية الدينية لكنه كان يرفض بحزم القيام بأي تحركٍ علىٰ هذا الطريق، فكان يرفضُ طبع رسالته العملية ويرفض إقامة المجلس التأبيني علىٰ روح السيد البروجردي ويرفض أمثال هذه التحركات التي يُفهم منها تصديه للمرجعية.

---

(١) آية الله السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:١٠٧.

(٢) أبو الحسن بني صدر، كتاب (تدوي التأريخ الشفوي للثورة الإسلامية الإيرانية) ص:١٤٧.

وقد زرناه يوماً برفقةِ أحد الأصدقاء واقترحنا عليه طبع رسالتَهُ العملية فكان يأبىٰ ذلك حتىٰ قال صاحبي كلمة تُشمّ منها رائحة بعض المغالاة في شخصية الإمام الأمر الذي أثار غضبه وقال لنا بلهجةٍ حادة: «ما هذا الذي تقولونه عني، لست أنا الذي تصفون»[١].

إجتناب ما يمهد للرئاسة

كان الإمام يسعىٰ ـ قدر المستطاع ـ في اجتناب التحركات لاضرورية للتمهيد للوصول إلىٰ المرجعية والزعامة الشيعية، كان يرفض دفع الرواتب الشهرية لجميع طلبة الحوزة ويقول: «ما لدينا يكفي فقط لدفع رواتب المدرسة الفلانية وإذا لم يصلنا هذا المقدار من المال فلن ندفع حتىٰ هذه الرواتب»!

لقد طلبنا منه ـ باقتراح من السادة حجج الإسلام المسعودي والصانعي ـ أن يدفع رواتب الحوزة فأبىٰ، ثم طلبنا من آية الله المنتظري أن يطلب منه ذلك، فذهب إليه لكنه أبىٰ أيضاً، وقد ذهبتُ إليه أنا ثلاث مرات وكررت عليه هذا الطلب بإلحاحٍ شديد حتىٰ استجاب[٢].

إهتمامه بإعطاء ذخائر العلم

في تلك الأيام التي كان الجميع في الحوزة يفكرون بطبع رسائلهم العملية وزيادة ما يحصلون عليه من سهم الإمام عليه السلام من الحقوق الشرعية ودفع رواتب الحوزة. في تلك الأيام كان الإمام يتعامل بطريقة مناقضة لهذا التيار بالكامل، كان المألوف يومذاك أن يسعىٰ أساتذة الحوزة

(١) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بالذكرىٰ السنوية الأولىٰ لوفاة الإمام الخميني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ٥٠.

والمرشحون للمرجعية والساعون لها إلىٰ توفير ما يمكنهم من دفع رواتب الحوزة الشهرية، أما الإمام فلم يكن يرغب ـ لعظمة روحه ـ سوىٰ بإعطاء ما لديه من ذخائر العلم(١).

كان معرضاً عن التصدي للمرجعية

كان الإمام قد كتب حاشية تعليقية علىٰ دورة كاملة من كتاب وسيلة النجاة للمرحوم السيد أبي الحسن الإصفهاني وكذلك علىٰ كتاب العروة الوثقىٰ، ورغم كثرة ترددنا علىٰ منزله إلا أننا لم نعرف بذلك في حين أن مَن يرغب في أن يصير مرجعاً للتقليد يعمد عادة إلىٰ اطلاع المقربين منه علىٰ الأقل بأنّه صنف مثل هذه المؤلفات الفقهية، لكن الإمام امتنع عن الإفصاح عن ذلك حتىٰ لنا نحن، فلم نعرف بتأليفه لهذين الكتابين إلاّ بعد أن راجعه طلبة الحوزة بعد وفاة آية الله البروجردي من أجل طبع هذين الكتابين(٢).

بلغ من تهذيبه لنفسه..

كان الإمام يقوم بتدريس الأخلاق مدة في حوزة قم العلمية، وقد بلغ من تهذيبه لنفسه درجةً قال معها ـ عندما طلبوا منه بإلحاح أن يطبع رسالته العملية بعد وفاة آية الله البروجردي ـ: «لا يُوجد احتياج لي للقيام بهذه المسؤولية، لقد تولاها آخرون»(٣).

يرفض الاستفادة من الحقوق الشرعية لتوزيع رسالته العملية

كان الإمام يقول: «لا أرضىٰ بالقيام في منزلي بأبسط عمل علىٰ صعيد التصدي للمرجعية والزعامة»، يقول بعض الأصدقاء: كانت الكثير

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحسان بخش، المصدر السابق، ج:٢، ص:٢١٢.

(٢) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٣، ص:٣٧.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ زين العابدين الباكوني.

من الطلبات تصلنا في عامي ٤١ ـ ٤٢هـ. ش، [، ٦٢ ـ ١٩٦٣م] من مدن إيران والبلدان الأخرىٰ خاصة من الباكستان للحصول علىٰ الرسالة العملية للإمام، فسعينا طويلاً لإقناعه بأن يأذن لنا بالاستفادة من الحقوق الشرعية لتلبية هذه الطلبات لكنه كان يرفض بحزم. كان يقول: «الله يشهد أنني لم أتحرك ولا بخطوة واحدة للوصول إلىٰ مقام المرجعية»[١].

لم تؤثر عليه اعتراضات المعترضين

بادر عددٌ من مراجع الحوزة بعيد وفاة آية الله البروجردي في سنة ١٣٤٠ هـ. ش، [١٩٦١م] بل وحتىٰ قبل ذلك، إلىٰ طبع رسائلهم العملية، وأخذ الذين يرجعون إليه في التقليد الديني وغيرهم بالتردد علىٰ منازلهم بالصورة المألوفة باستثناء الإمام فهو لم يطبع رسالته العملية ولم يغيّر شيئاً من برنامجه الحياتي ولم يظهر رغبةً في تردد الناس علىٰ منزله، ولم تؤثر علىٰ موقفه هذا اعتراضات المعترضين وتابع سلوكه المعهود[٢].

لم أتوقع منك مثل هذا الكلام

من المتعارف بين المراجع عقد اجتماعات بحضور عدد من الفقهاء تحت عنوان لجنة الاستفتاء للإجابة علىٰ الاستفتاءات التي تصلهم، وقد شكل جميع العلماء الكبار في حوزة قم لجان خاصة للإجابة علىٰ الاستفتاءات بعد وفاة آية الله البروجردي، أمّا الإمام فلم يقم بهذا التحرك، وكنا نحن ـ بالطبع ـ نرغب أن يشكل لجنة خاصة به من هذه اللجان، لأنّها أحد الشؤون الضرورية للمرجعية الدينية، لكننا كنا نعلم بأنه لن يوافق علىٰ ذلك؛ ولذلك قلت له يوماً: إن الفقهاء وفضلاء

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي الأنصاري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٢، ص:١٠١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، المصدر السابق، ج:٦، ص:١١٢.

لحوزة الذين كانوا يحضرون دروس آية الله البروجردي، لا يحضرون الآن دروس أي من العلماء الأحياء، ولذلك فإن تكاملهم العلمي قد توقف، فحبذا لا تسمحون لي أن أدعوهم للاجتماع في منزلكم بضع ليال كل أسبوع لكي تعرضوا عليهم المسائل والمعضلات الفقهية للبحث فيها وتعينوهم علىٰ حلها لكي يكتمل تسلطهم علىٰ علم الفقه!

كان هدفي من هذا الاقتراح في الواقع هو تشكيل لجنة للاستفتاء خاصة بالإمام لكنني لم أصرّح بهذا العنوان تجنباً لرفضه ـ لكنه نظر إليّ بنظرةٍ خاصة بعد انتهاء كلامي وقال معاتباً: «لم أتوقّع منكم ـ أيها الشيخ الأميني مثل هذا الكلام، كنت أتوقع أن تقول لي: لقد بلغتَ من العمر عتياً واقترب موتُك، فليكن كل فكرك وهمك في الله واليوم الآخر والاجتهاد في إصلاح نفسك ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء. فكيف جئت لكي تخاطبني بهذا الكلام، ما هي حاجتي للجنة للاستفتاء، إذا سأل أحدٌ عن مسألة شرعية أجيبُ عليها بنفسي»[1].

لا أريد أن أكون مرجعاً

كان الإمام يصدرُ ـ في بداية النهضة ـ وهو في قم بيانات متعددة فأرسل له أحد علماء طهران رسالة ـ بواسطتي ـ مضمونها: إن من غير المناسب لسماحتكم الإكثار من إصدار البيانات بحكم أنكم تُعدون من مراجع التقليد، لذلك قللوا إصدار هذه البيانات.

وعندما نقلت للإمام هذه الرسالة قال: «أبلغوا سماحتَهُ سلامي وقولي: أنني لا أريد أن أكون مرجعاً للتقليد، إنما أريد القيام بواجبي الشرعي»[2].

---

(١) آية الله الشيخ إبراهيم الأميني، المصدر السابق، ج:٤، ص:١١٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضى الصادقي الطهراني، المصدر السابق، ج:٥، ص:٤٣.

سنكون أكثر ارتياحاً كلما أبعدتم الناس عن تقليدنا

جاء أحد علماء إيران إلىٰ النجف بعد وفاة المرحوم الحكيم وقال للإمام: لقد حملني بعض علماء طهران رسالة لسماحتكم هي أن تجاهلكم لبعض العلماء والشخصيات العلمائية أدىٰ إلىٰ قيامهم بإرجاع الناس بعد وفاة السيد الحكيم إلىٰ تقليد علماء آخرين غيركم. وكان الهدف من هذه الرسالة تنبيه الإمام إلىٰ لزوم الاهتمام أكثر بهؤلاء لو أراد أن يتحركوا في التبليغ له، فكان جواب الإمام هو: «أبلغوا هذا السيد سلامي وقولي له أننا سنكونُ أكثر ارتياحاً كلما أبعدتم الناس عن تقليدنا، فإن ذلك يجعل واجبنا أخف ومسؤوليتنا أكثر»[1].

سأكون شاكراً لكم إلىٰ يوم القيامة إذا..

بعد وفاة المرحوم آية الله الحكيم كتب وكيلٌ له في إحدىٰ المدن الإيرانية رسالة إلىٰ الإمام وهو في النجف، وطلب منه أن يعينه وكيلاً به بعد وفاة السيد الحكيم، فكتب الإمام وكالة عادية وبعثها له، لكن هذا الشخص لم يقنع بها وطلب حكماً بتعيينه وكيلاً للإمام في تلك المحافظة، وقد توسط السيد مصطفىٰ أيضاً مؤيداً أهلية الرجل لذلك، لكن الإمام لم يوافق وقال: «تكفي الوكالة التي كتبتها له».

ثم أن هذا السيد بعث للإمام رسالة هدد فيها بأنّه سيدعو الناس إلىٰ التراجع عن تقليده إذا لم يستجب لطلبه، فكتب له الإمام رسالة جوابية قال فيها بشأن هذا التهديد: «سأكون شاكراً لكم إلىٰ يوم القيامة إذا قمتم بهذه الخدمة لي، لأنّ تراجع الناس عن تقليدي يؤدي إلىٰ تخفيف مسؤوليتي»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق، ج:١، ص:٩٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، المصدر السابق، ج:٥، ص:١٧.

لست منافساً لكم

من الأساليب المؤثرة والجديرة بالملاحظة التي انتهجها الإمام وهو يعيش وسط حوزة النجف العلمية، أنّه لم يكن يقوم بأي تحرك مفاجىء وذلك لكي لا يثير قلق وخوف الذين حُرموا بركات تهذيب النفس وتزكيتها ولكي لا يجعلهم ينظرون إليه كمنافس لهم، ولذلك لم يقم في السنة الأولىٰ لإقامته في النجف بتوزيع الرواتب الشهرية علىٰ طلبة الحوزة بصورة رسمية، واكتفىٰ بتوزيع مقدار من الحقوق الشرعية عليهم بمناسبة شهر رمضان المبارك. وبعد عام أخذ يوزع الرواتب كل شهرين مرة، وبالتالي أخذ بتوزيعها بصورة ثابتةً ورسمية في شهر أبان من سنة ١٣٤٧ هـ. ش، [شهر تشرين الثاني ١٩٦٨م][(١)].

أنا طالب علم وواجبي في النجف غير الذي كان في إيران

عندما جاء الإمام إلىٰ النجف الأشرف، اجتمعنا مع عدد من الأخوة وطلبنا منه أن يبدأ التدريس ـ وللمرة الأولىٰ ـ في حوزة النجف لكنه أبىٰ.

وكانت السياسة التخريبية للساواك تقومُ علىٰ أساس نقل الإمام من منفىً إلىٰ آخر، وكان الهدف من نقله إلىٰ النجف هو أن إطفاء تفوقه العلمي فيها وسط أساتذة الفقه في حوزتها حيث سيكون غريباً هناك عسىٰ أن يؤدي ذلك إلىٰ تخلي الشعب الإيراني المسلم عنهـ. هذه هي المؤامرة التي حاكتها عقولُ منظمة السافاك المريضة، وقد أدرك الإمام أبعادها وأهدافها، ولذلك فإنّه حرص علىٰ وصف نفسه بأنّه مجرد طالب علم عندما وصل إلىٰ النجف الأشرف، وأتذكر جيداً أن هذا الوصف أبكىٰ يومها الكثير من الأصدقاء وأصابهم بحالة عجيبة من الانكسار،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج: ١.

فكيف يصف الإمام نفسه بهذا الوصف في النجف وهو القائد الجليل الذي هزّ بكلماته شعباً كاملاً وزعزع سلطة جبارة مدعومة من المعسكرين الشرقي والغربي؟!

عندما زرناه للمرة الأولىٰ وطلبنا منه أن يستأنف التدريس وقلنا له: إن تدريسكم لموضوع «المكاسب» لم يكتمل في حوزة قم العلمية في إيران فأكملوه هنا، قال: «أنا طالب علم في النجف، وواجبي هنا يختلف عن واجبي عندما كنتُ في إيران»[(١)].

أجوبة قصيرة

إجتمع عددٌ من السادة العلماء عند الإمام في الأيام الأولىٰ لإقامته في النجف الأشرف وطرحوا عليه مجموعة من الأسئلة فكان يجيب عليها أجوبة قصيرة للغاية، كان قليلُ الكلام كثيرَ الإصغاء[(٢)].

عدم رغبته في التصدي لإمامة صلاة الجماعة

كان من أخلاق الإمام قلةُ الكلام عادة إلاّ أن يوجه إليه سؤالٌ، لكنه قرّر أن يتكلم أكثر في مجالس النجف. سأله المرحوم السيد الحكيم يوماً: هل تأمون صلاة الجماعة في مكان ما؟ أجاب «لم أكن أقيم صلاة الجماعة حتىٰ عندما كنتُ في قم».

وكان هدف السيد الحكيم أن يعرض عليه إمامة صلاة الجماعة في أحد مساجد النجف أو أن يعرض عليه أن يأم المصلين في مكانه، فكان جوابه يتضمن عدم رغبته في ذلك[(٣)].

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٦١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد جعفر الكريمي، مقابلة تلفزيونية.
(٣) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

لا تسموه درساً ولا تدعوا أحداً لحضوره

بعد مضي شهرين من إقامة الإمام في النجف الأشرف وقبل مجيء عائلته إليها، كان يؤم عدداً من حاشيته في الصلاة وهو في منزله، وقد طلب منه يوماً عددٌ من فضلاء حوزة النجف أن يبدأ التدريس فقال: «ليس الآن». وعندما وافق علىٰ بدء التدريس استدعانا إلىٰ داخل منزله، ولم يكن يومها قد اتخذ ما يُعرف بالبراني وقال لنا: «لقد وافقتُ علىٰ أمر الدرس واجتماعكم حولي باعتبار أنني أكبرُ منكم سناً بعض الشيء، لذلك فما نقوم به هو نوعٌ من المباحثات العلمية ولا نسميه درساً وتدريساً، وأنا أطلب منكم طلباً أرجوكم أن تستجيبوا له وهو: أن لا تدعوا أحداً لحضور وأن لا تسمونه درساً أصلاً، لا حاجة لذلك، يكفي هذا العدد المحدود من الأشخاص»[(١)].

يرفض توزيع الرواتب علىٰ الحوزة للمعنىٰ الذي يشتمل عليه

إقترحوا علىٰ الإمام يوماً أن يبدأ بدفع رواتب شهرية لطلبة حوزة النجف فرفض وقال: «ليس بإمكاني القيام بذلك»، فقال الحاج الشيخ نصر الله الخلخالي ـ وهو الذي اقترح ذلك ـ: أنا أضع المبالغ اللازمة لدفع هذه الرواتب تحت تصرفكم كقرض، وعليكم أن تأذنوا بذلك فقط. وكان الإمام يرفض دفع الرواتب للحوزة باسمه بسبب ما يشتمل عليه من معنىً خاص [التصدي للمرجعية الدينية]، ثم اضطر إثر كثرة الطلبات الملحة إلىٰ القبول بتوزيع «معونات» بمناسبة حلول شهر رمضان الذي صادف يومها عرض هذا الاقتراح عليه، ثم أقنعه الشيخ نصر الله الخلخالي ـ وبعد جهد جهيد ـ بمواصلة دفع هذه الرواتب[(٢)].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محي الدين الفرقاني، مقابلة تلفزيونية.

(٢) آية الله عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج: ٣٧ـ٣٨.

كنت أتوقع منك أن تنصحني وتنهاني لو كنت أقول بمثل هذا

ذهبت لزيارة الإمام في منزله في النجف الأشرف في أحد الأيام التي تلت شهر رمضان المبارك في ذلك العام، وكان ذلك بعد انتهاء الدرس، ولما دخلتُ المنزل سألتُ خادم قسم البراني المشهدي نادعلي عنه فقال إنه موجود، فقلتُ: أبلغوه سلامي وأنني أرغب في زيارته لأمر أريد عرضه عليه لو سمح بذلك؛ فذهب المشهدي نادعلي ثم رجع بإذن الدخول علىٰ الإمام دخلت وقد شعرت بومها بجرأةٍ وشجاعة في نفسي أعانتني علىٰ أن أقول له: لقد جئت إلىٰ سماحتكم بعد أن استخرتُ الله فكانت الاستخارة تأمرني بالمجيء وهدفي هو أن أعرض عليكم قضية واحدة. قال: «وما هي؟»، قلتُ أطلبُ منكم أن تحصلوا علىٰ مبلغٍ من المال لدفع الرواتب لطلبة الحوزة حتىٰ لو لم يكن ذلك بصورة رواتب شهرية ثابتةن فقال: «إن هذه الأموال [الحقوق الشرعية] لا تستحصل، بل إذا وصلت للإنسان وجب عليه أن يصرفها في مواردها المشروعة»، فقلت: إنّها تُستحصل في البداية ثم تبدأ بالوصول!

كررت طلبي مرتين والإمام يرفض، فقلت: يبدو أنكم يا سيدي جالسون في المنزل ولا تدرون ما يحدث خارجه! قلت ذلك بهذه اللهجة الصريحة، فقال: «ما الذي يحدث في الخارج؟»، قلتُ: إن بعضهم يبلغون ويدعون المرجعية الأشخاص استناداً لدفعهم هذه الرواتب، وعندما وصل كلامي إلىٰ هذه العبارة نظر لي بنظرةٍ خاصة وقال: «أيّها السيد سروش، لم أكن أتوقع منك هذا الكلام!! كنت أتوقع منك أن تنصحني وتنهاني لو كنتُ أقوم بمثل هذه الأعمال! ما هذا الكلام؟! إنّ همنا هو أن تُدار الحوزة العلمية في قم، فإذا تصدىٰ أحدٌ لتوفير رواتبها انبرىٰ الآخر للتدريس»!

لا زالت كلمته هذه تدوي في إذني: «كنت أتوقع منك أن تنصحني

وتنهاني لو كنت أقوم بشمل هذه الأعمال»! وعلى أي حال حاولت في ذلك اليوم تكرار هذا الطلب بعبارات أخرىٰ فقال الإمام: «أيّها السيد سروش، لو كان لديكم كلامٌ غير هذا فتفضلوا وإلا فإني أرجوكم أن تعرضوا عن هذا الحديث»! ثم أنني خرجت من عنده[1].

سر رفضه إرسال بعثة للحج

كان المألوف ـ أيام إقامة الإمام في النجف ـ أن يرسل كل مرجع للتقليد بعثة إلىٰ مكة في موسم الحج، وكان الحاج الشيخ نصرالله الخلخالي، رحمه الله، ـ وهو من محبي الإمام ـ يلح عليه في أن يرسل هو أيضاً بعثة إلىٰ مكة في موسم الحج لكنه رفض لأنّ ذلك كان يشتمل علىٰ الداعية والتبليغ لمرجعيته، أمّا الشيخ الخلخالي فقد احتمل أن سبب رفض الإمام هو ورعه عن صرف سهم الإمام عليه السلام من الحقوق الشرعية في مثل هذه الموارد لذا قال للإمام: أفدوا انتم سماحة السيد المدني وحده وأنا أتكفّل بتحمل نفقة سفره، لكن الإمام رفض هذا الاقتراح أيضاً[2].

إعملوا بما يقتضيه واجبكم الشرعي

بعد وفاة المرحوم السيد البروجردي بستةِ شهور كنت يوماً في طريق السفر من طهران إلىٰ قم، فالتقيت في الموقف الذي تتوقف فيه حافلات النقل للاستراحة، بأحد أصحاب دور النشر، وبعد تبادل السلام

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد سروش المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي الملحق الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام الخميني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٤٢. والسيد المدني المذكور في هذه الحادثة، هو شهيد المرحاب آية الله السيد أسد الله المدني.

والمجاملات المألوفة أخبرني أنّه لا زال يعمل في مجال الطباعة والنشر وأضاف: إنني عائد الآن من قم وقد زرت فيها السادة العلماء والفقهاء وقلت لهم: إنني عازمٌ علىٰ طبع كتاب العروة الوثقىٰ للمرحوم السيد كاظم اليزدي، فأعطوني تعليقاتكم وحواشيكم عليها لكي أطبعها مع أصل الكتاب. وقد استجاب جميع السادة لطلبي واشتروا سلفاً مقادير من نسخ الكتاب الذي أنوي طبعه مع هذه الحواشي والتعليقات، لكنني عندما زرت السيد الخميني وعرضت عليه اقتراحي وأخبرته بأن سائر السادة الفقهاء قد اشتروا سلفاً مقادير من نسخ الكتاب، ثم عرضت عليه أن يسلمني حاشيته علىٰ الكتاب ويشتري سلفاً مقداراً من نسخه قال: «لا أرغب في طبع حاشيتي علىٰ العروة، ولا أريد شراء نسخها سلفاً، فاعملوا بما يقتضيه منكم واجبكم الشرعي»[١].

لماذا تريدون طبع تحرير الوسيلة

عرض المرحوم الحاج الشيخ نصرالله الخلخالي اقتراحاً علىٰ الإمام بطبع كتاب تحرير الوسيلة الذي ألّفه أيام إقامته منفياً في تركيا، وطلب منه أن يسلمه النسخة الخطية للكتاب تمهيداً لطبعها، فأجاب: «ولماذا تريدون طبعه»، قال: تلبية لحاجة مقلديكم من العرب، فقال: «لا يوجد مقلدون لي بين العرب»، فقال الحاج الشيخ نصرالله: أولاً، يوجد عددٌ من شيعة العراق يقلدونكم، وثانياً يجب أن توضع فتاوى المرجع بين أيدي الناس فلعل سبب عدم رجوعهم إليكم في التقليد هو عدم حصولهم علىٰ فتاويكم، فإذا حصلوا عليها رجعوا إليكم في التقليد.

ولا شك أن كلام الشيخ المرحوم نصرالله كان صحيحاً لأنّ العرب

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضىٰ الصادقي الطهراني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٢، ص: ٣٢٤.

ـ وخاصة في العراق ـ كانوا يحبون الإمام بعمق، ولكن الإمام رفض وقال: «لو كان الذين يرجعون إليّ في التقليد الديني بهذه الكثرة لكانت مراجعاتهم للمكتبات من أجل الحصول علىٰ رسالتي العملية كثيرة، فإذا رأىٰ أصحاب المكتبات كثرة الطلبات تصدوا لطبعها علىٰ نفقتهم الخاصة، فبأي مسوغ نسمح بطبعها من بيت المال العام؟!». فقال المرحوم الشيخ الخلخالي: إسمحوا لنا بطبعها، وأنا سأطبعها من مالي الخاص بدلاً من أصحاب بيع الكتب. ولكن الإمام لم يوافق حتىٰ علىٰ هذا العرض أما الشيخ نصرالله فلم يكف عن الطلب وتابعه فقال الإمام في نهاية الحوار: «إذا كان ما تقولونه صحيحاً فإن كتاب تحرير الوسيلة لا ينفع كله العامة، لذلك سأعطيه لكي يلخصوه». وهنا استدعاني وقال لي: «إن سماحة الشيخ نصر الله يريد طبع كتاب تحرير الوسيلة ولا أرىٰ مصلحة من طبعه بالكامل بهذا الحجم، لذا تولوا مهمة تلخيصه وأخرجوه بصورة رسالة عملية مختصرة باللغة العربية يبلغ حجمها ما بين ٢٥٠ ـ ٣٠٠ صفحة».

ثمّ خصص لي غرفة في منزله للقيام بذلك، وقد تابعت العمل علىٰ مدىٰ حدود ثلاثة شهور ولبضع ساعات كل يومٍ، وقد طبعت هذه الخلاصة تحت عنوان «زبدة الأحكام»[1].

أدفع تكاليف محو هذه الألقاب

كان الإمام يأنف عن الدعاية والتبليغ لهن ولذلك فقد أمر بمحو الألقاب التي طبعت علىٰ غلاف كتاب تحرير الوسيلة في طبعته الأولىٰ في النجف الأشرف وفور رؤيته لها، وكانت هذه الألقاب من قبيل: العلامة، علم الحوزة آية الله العظمىٰ في الأرضين أو في العالمين، زعيم الحوزات

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج: ٣٧ـ٣٨.

العلمية، فقال المسؤولون عن طبع الكتاب: إن من الصعب محو هذه الألقاب المطبوعة. فقال: «لا بأس، سأدفع تكاليف القيام بذلك».

وقد تم تنفيذ أمر الإمام وغُطيت تلك الألقاب بصورة لا يمكن معها قراءتها[1].

أي سيد هو؟!

كتب الإمام إضافات ـ وهو في منفاه في تركيا ـ علىٰ كتابه تحرير الوسيلة الذي كان بمثابة حاشية وتعليقات علىٰ كتاب وسيلة النجاة للسيد أبي الحسن الإصفهاني، فقد أدخل ـ في تركيا ـ الحاشية في المتن وأضاف إليه إضافات، وعندما طبعوا الكتاب في النجف سلموني نسخة منه لكي أريها للإمام وكانوا قد كتبوا علىٰ الغلاف عدة ألقاب تجليلية له فلما رآها ـ عندما قدمت الكتاب له ـ إنزعج بشدة ورمىٰ الكتاب علىٰ الأرض وقال: «ولماذا لا يخبرونني بما يفعلون يجب محو هذه الألقاب».

لم أتجرّأ أن أقول شيئاً وهو في تلك الحالة، فخرجتُ وأخبرت المسؤول عن طبع الكتاب بقول الإمام وقلت له: لا فائدة من مراجعته، فالإمام إذا اتخذ موقفاً لا يتراجع عنه ـ.

لقد تأذىٰ من المدح الذي كتب علىٰ غلاف كتابه إلىٰ درجةٍ ضرب الأرض به! وعندما أخذوا الكتاب إلىٰ المطبعة بهدف محو تلك العبارات تعجب صاحب المطبعة لأنّه لم يرَ ولم يسمع بمثل هذا الموقف وقال: أي سيد هو؟![2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئيني ها، المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٣٨.

ينهىٰ عن الدعوة إلىٰ تقليده

عندما توفي آية الله الحكيم في مدينة الكاظمية وقبل نقل جثمانه إلىٰ النجف، جاءني خادم الإمام وأخبرني أنّه يستدعيني، فذهبت إليه ـ وكان ذلك في الصباح الباكر ـ فوجدته في دهليز المنزل، فقال: «قولوا لرفاقي أن لا يتحدثوا بشيء»، وكان يقصد أن لا يدعو محبوه إلىٰ تقليده بعد وفاة آية الله الحكيم[1].

ما علاقتي بالأمر وأنا مجرد طالب للعلم

عندما رقد المرحوم آية الله الحكيم في المستشفىٰ في بغداد لتلقي العلاج، أخذ العلماء الكبار في النجف يفدون علىٰ بغداد تباعاً لعيادته لكن الإمام رفض القيام بذلك رغم كثرة الطلبات الملحة، قيل له: إن السادة مراجع التقليد في النجف قد ذهبوا إلىٰ بغداد لعيادته، فمن المناسب أن تقومَ أنت بذلك أيضاً، فقال: «السادة المراجع ذهبوا ويذهبون لعيادته فما علاقتي أنا بالأمر وأنا مجرد طالب للعلم؟!».

وكان الإمام قد ذهب لعيادة السيد الحكيم وهو في النجف قبل نقله إلىٰ مستشفىٰ بغداد، لكنه امتنع عن الذهاب إلىٰ بغداد لعيادته دفعاً لأي شبهة محتملة تفسر ذهابه هذا بأنّه حركة لبناء مستقبله المرجعي وهذا ما كان يهرب منه باستمرار، ولذلك اجتنب تقليد علماء الطبقة الأولىٰ في حوزة النجف في الذهاب إلىٰ بغداد لعيادة السيد الحكيم لكي لا يُصنف بذلك ضمن طبقتهم.

ولكن إلىٰ جانب هذا الموقف، فإن الإمام ـ وحسب ما نقله سماحة الشيخ عبد العلي القرهي ـ لم ينم الليلة التي وصل إلىٰ النجف خبر وفاة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٦، ص:١٣٨.

آية الله الحكيم بتأريخ ١٣٤٩/٣/١٢ هـ. ش، [١٩٧٠/٦/٢م]، فقد قضىٰ تلك الليلة بالدعاء والتفكر، ثم قال في الصباح الباكر وبعد إقامة صلاة الفجر: «أبلغوا أصدقائي بأنني لا أرضىٰ بأن يتدخلوا في التحركات التي ستظهر في الحوزات العلمية، ولا أرضىٰ بأن يقوم بأي تحرك بهدف التبليغ لي»[١].

لا تردوا بشيء حتىٰ لو لطموا مصطفىٰ أو شتموني

إثر وفاة المرحوم آية الله الحكيم أعلن خبرُ الوفاة عبر مكبرات الصوت [في حرم الإمام علي عليه السلام]، وكان الإمام، جالساً علىٰ سطح المنزل إذْ كان ذلك أيام الصيف، فانتبه أحد الأخوة إلىٰ صوت بكاء يأتي من جهة السطح، ثم رأينا الإمام جالساً يبكي، وفي صباح اليوم التالي قال: «إجمعوا جميع الأخوة وأبلغوهم قولي وهو: لا يحق لكم أن تدافعوا عني أو تذكروا إسمي في أي مجلس لا تردوا بشيء حتىٰ لو لطموا ولدي مصطفىٰ علىٰ وجهه أو شتموني»!!

هذا ما قاله لنا الإمام، لم يكن يسمح حتىٰ بالتبليغ لمرجعيته، في تلك الأيام جاء أشخاصٌ من مدينتي الموصل وكركوك إلىٰ النجف وزاروا الإمام وسألوه: إلىٰ مَن نرجع في التقليد؟ أجاب: «ومَن كنتم تقلدون؟»، قالوا: السيد الحكيم، فقال: «إبقوا علىٰ العمل علىٰ وفق فتاويه»! ومثل هذا الجواب من مرجعٍ للتقليد يحتاج إلىٰ عظمة روحية عالية[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج:١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٤، ص:١٣١.

يأمر بعدم إضافة الألقاب التجليلية لإسمه

من مصاديق تواضع الإمام وزهده بالدنيا ومظاهرها، أنّه كان يصبر فيما يرتبط بإقامة المجالس التأبينية التي كانت تقام عند وفاة أي من المراجع في النجف، إلىٰ أن يقيمَ علماء الطبقة الأولىٰ في الحوزة مجالسهم التأبينية، ثم يقيمُ مجلسه التأبيني بعد أن يقيم فضلاء الحوزة وطلبتها مجالسهم أيضاً! ولم يكتف بذلك بعد وفاة المرحوم السيد الحكيم، بل إنّه أمر بأن لا يذكر ـ عند الإعلان عن مكبرات الصوت عن مجلسه التأبيني ـ سوىٰ إسم «السيد الخميني» مجرداً عن الألقاب المألوفة[١].

ما كان لهم أن يقوموا بهذا العمل

بعد وفاة آية الله الحكيم قام عددٌ من فضلاء الحوزة بلغ عددهم حدود (١٤) عالماً بينهم: آية الله المنتظري، الشيخ المشكيني، المرحوم الشيخ الرباني الشيرازي، بتوقيع بيان مشترك أيدوا فيه مرجعية الإمام وصرحوا بأعلميته، وقد تم توزيع هذا البيان في جميع المدن.

وعندما سافرت للنجف كنت أتصور أن هذا البيان قد وصل للإمام إذا كان قد مضىٰ علىٰ توزيعه شهران، لكنني عندما زرته علمتُ أن البيان لم يصله، فقد سألني عن أوضاع إيران، فحدثته عنها وذكرت نشر هذا البيان وقلت: لا بد أنّه وصلكم، فقال: «لا، لم يصلني»، فقلت: لم أعلم بعدم وصوله وإلاّ لحملت معي نسخة منه، فقد كانت توجد نسخٌ منه في مدينة كرمنشاه؛ ثم قال بلهجةٍ تكشف عدم رضاه بذلك وبحالةٍ من الأذىٰ الشديد: «لم يكن ينبغي لهم أن يقوموا بهذا العمل، ما كان لهم أن يقوموا بهذا العمل»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق، ج:١، ص:٩٢.
(٢) آية الله الشيخ محمد المؤمن، المصدر السابق، ج:٥، ص:١٧٨.

للتحركات التي ظهرت بعد وفاة المرحوم السيد الحكيم علىٰ صعيد المرجعية وانتخاب المرجع الذي يخلفه نظائر علىٰ طول التأريخ. لقد تحرك أشخاص إثر وفاته وباندفاع من أجل الحصول علىٰ سهم من زعامته ومرجعيته، وكان من الطبيعي أن يلتقوا بهذه الشخصية وبتلك، ويتصلوا بوكلائِهِ بهدف الحصول علىٰ تأييدهم لمرجعياتهم.

أمّا الإمام؛ ومن أجل أن لا يقحم نفسه في هذه المعركة التي كان يراها تافهة للغاية، فقد قال لمحبيه الذين آذاهم قيام بعض الأشخاص بتصنيف ترتيبي للمراجع جعلوا الإمام فيه في المرتبة السابعة أو الثامنة، ولذلك جاء هؤلاء المحبون له وطلبوا منه أن يرفض هذا التصنيف؛ فقال لهم:

«لقد بلغنا من العمر عتياً وبلغنا سن الشيخوخة، وعلينا الآن أن نفسح المجال للشباب لكي يتولوا مهمة إدارة الحوزة، وعلينا من أجل ذلك أن نعرفهم للناس، فإذا كان تصنيف بعضهم في مراتب متقدمة يحقق ما نريده من تعريفهم للناس فإن القيام بذلك من واجبنا، وليس هذا العمل سيئاً بل هو عملٌ جيدٌ للغاية، إنهضوا واذهبوا لشأنكم، فما هذا الكلام الصبياني الذي تقولونه»[1].

(١) آية الله الشيخ حسين علي المنتظري، كتاب (تدوين التأريخ الشفوي للثورة الإسلامية الإيرانية)، ص: ١٦٧.

الفصل الرابع

الإمام المربي الأخلاقي للحوزة

القسم الأول: دروسه في الأخلاق وآثار مواعظه على سامعيها

القسم الثاني: نماذج من مواعظه ووصاياه لطلبة العلم

القسم الأول

دروسه في الأخلاق وآثار مواعظه على سامعيها

العلم الذي به بقاء كل العلوم

كان الإمام يكرر القولَ بأن «علم الأخلاق هو مبدأ جميع العلوم، حتىٰ علم معرفة الله المعبّر عنه بتعبير «آية محكمة»[1] يصبح ظلمة وحجاباً إذا لم يقترن بعلم الأخلاق»، وكان يقول: «ما الذي جرىٰ لكي تُخصص ساعة معينة لتدريس كل علم من العلوم، ولكن العلم الذي به بقاء كل علم غيره لا تخصص فرصة لدراسته؟!».

وقد بادر الإمام بنفسه لتصحيح هذا الوضع، فجسد عملياً ما آمن به وهو يبدأ التدريس في الحوزة، فأخذ بتدريس الأخلاق في المدرسة الفيضية متعرضاً بكل وجوده العزيز لخدمةِ عباد الله، فالتفت حوله الفئات المختلفة للاستفادة من شمع وجوده الجمعي[2].

---

(١) إشارة إلىٰ الحديث الشريف المروي في إصول الكافي مسنداً عن الإمام الكاظم عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ضمن حديث «إنما العِلمُ ثلاثةٌ: آية محكمةٌ أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة، وما خلاهن فهو فضل». (أصول الكافي، ج:١، ص:٣٢، كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله، الحديث الأول. وقد فسّر العلماء قوله «آية محكمة» بأن المقصود منه هو علم العقائد الحقة والتوحيد، والفريضة العادلة هو علم الأحكام والسنة القائمة علم الأخلاق، (راجع كتاب الأربعين حديثاً للإمام الخميني شرح الحديث٢٤). [المترجم].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم حق شناس، مجلة (ندا)، العدد الأول.

العمل أولاً بما يعلمه للآخرين

عندما كان الإمام يقوم بتدريس الأخلاق للطلبة في أيام شبابه، كان ملتزماً بالعمل أولاً بالدروس الأخلاقية ويزكي نفسه ثم يلقيها علىٰ تلاميذه[1].

درسه الأخلاقي يحصن من المعاصي

كان الإمام يلقي درساً أسبوعياً عاماً في الأخلاق، عصر يوم الجمعة أو الخميس، وكان يحضره الكسبة أيضاً، وكان درسه الأخلاقي الأسبوعي هذا يكفي في حفظ الذي يتلقاه من الوقوع في المعاصي لمدة أسبوع كامل[2].

مواعظه تنفر إلىٰ القلوب

كان الإمام يلقي عصر يوم الجمعة من كل أسبوع درسه الأخلاقي في المدرسة الفيضية، وكان درسه هذا يحصن الإنسان حقاً من ارتكاب المعاصي ويترك آثاره في نفوس الطلبة وإلىٰ درجةٍ أننا كنا نغير مسيرنا إذا رأينا إمرأة تسير بالقرب منا لكي لا تقع أبصارُنا عليها. وكان الإمام يتناول بالتفسير في هذا الدرس الآيات المحذرة من النار ونظائرها[3].

درسه الأخلاقي يتسامىٰ بالإنسان

كان الإمام في تلك الأيام يقوم بمهمةِ المعلم والمرشد الروحي في حوزة قم العلمية، أنا لم أدرك درسه الأخلاقي لكنني سمعت من تلامذته

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحسان بخش، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٩٦.

(٢) آية الله الشيخ مسلم الملكوتي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٣، ص: ٤٤.

(٣) آية الله الشيخ الشهيد فضل الله المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

أنّه كان يلقي درساً أسبوعياً في الأخلاق عاد علىٰ الحوزة بالكثير من الثمار المباركة، فقد أدىٰ إلىٰ ترسيخ الحالة المعنوية الروحانية فيها. وقد سمعت المرحوم الشهيد المطهري يقول في لقاءات خاصة كانت لنا معه: لا أبالغ أبداً عندما أقول أننا عندما كنا نتلقىٰ ـ اليوم مثلاً ـ درسه الأخلاقي فإن تأثيره فينا يبقىٰ مستمراً طوال الأسبوع، ولم يكن تدريسه للأخلاق علىٰ وفق الأسلوب التقليدي الجاف المألوف في الحوزات، كان يبين أولاً الموضوع مورد البحث ثم يتعمق في علله وجذوره ويوضح مظاهره الأخلاقية العملية، ويمزج بين العرفان والأخلاق فيحلق بأرواح الحاضرين في درسه إلىٰ الآفاق العالية فيرون أنفسهم وكأنهم في عالم آخر.

هذه هي خصوصيات دروسه الأخلاقية كما جاءت في أحاديث تلاميذه، وكان الشهيد المطهري يقول: هكذا كان حال دروسه بالضبط، كنا نحلق عالياً في درسه ونحفظ في نفوسنا هذه الحالة من التسامي إلىٰ الأسبوع القادم فإذا تأخر مثلاً موعد درسه الأخلاقي يوماً أصابتنا حالة من الاضطراب شبيهه بحالة المدمن إذا لم يحصل علىٰ ما أدمن علىٰ تناوله!! لقد كنّا نحسّ عندها بنقص حقيقي إذا حدث حادث لم نستطع معه حضور درسه الأخلاقي، كنا نشعر معنوياً وروحياً وكأننا قد فقدنا شيئاً عزيزاً[1].

إنّه حقاً «روح القدس الإلهي»

... رغم أنني لم أكن قد أنهيت دروس المقدمات عندما هاجرتُ إلىٰ قم، أي أنني لم أكن مؤهلاً يومذاك لحضور الدروس العقلية إلاّ

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني، صحيفة اطلاعات بتأريخ ١٤/ ٢/ ١٣٦٢هـ. ش.

أنني كنتُ أتأثّر بعمقٍ بالدرس الأخلاقي الذي كانت تلقيه تلك الشخصية التي كنتُ أحبها بعمق في كل يوم خميس وكل يوم جمعة، كانت في الواقع دروساً في معرفة الله والسير والسلوك إلىٰ الله تعالىٰ وليست دروساً في الاخلاق بالأسلوب العلمي الجاف.

أقولُ دون أدنىٰ مبالغة أن كل درس من هذه الدروس كان يبعث فيّ حالة من الابتهاج الروحي تبقىٰ نافذة إلىٰ أعماق قلبي بكل عنفوانها إلىٰ يومي الإثنين والثلاثاء من الأسبوع اللاحق؛ لقد تشكلت وتبلورت مقومات شخصيتي الفكرية والروحية في هذه الدروس التربوية ثم في الدرس الأخرىٰ التي تلقيتها علىٰ مدىٰ إثني عشر عاماً من هذا الأستاذ الإلهي، ولذلك كنت ولا زلت أرىٰ نفسي مديناً له فهو حقاً «روح القدس الإلهي»[١].

دروسه تُشعر الإنسان بالحضور الإلهي

يقولُ مهدي الحائري ـ وهو من قدماء تلامذة الإمام الخميني ـ: كان من عادة الإمام أن يعقد في اليومين الأخيرين من الأسبوع اللذين لا تعقد فيهما الدروس الحوزوية المعتادة، درساً مفتوحاً يحضره كل مَن رغب في حضوره، وكان يتحدث فيه عن القضايا الأخلاقية والمعنوية ويبين المفاهيم المعقدة ببيان واضح سهل، وكان يجعل الحاضر في هذا الدرس يستشعر حضور الله والسر في ذلك هو أن الذي كان يستمع لكلامه كان يحس في الوقت نفسه بأنه ما يقولَهُ يصدر من أعماق قلبه[٢].

هكذا تفعل المواعظ الإلهية

من خصوصيات الإمام في منهجه التدريسي والتي تزيد دروسه جاذبية

(١) آية الله الشيخ مرتضىٰ المطهري، كتاب (الدوافع المادية)، ص: ١٠ من الطبعة الفارسية.
(٢) مراسل مجلة «التايم» الأميركية، صحيفة إطلاعات، ١/٥/١٣٥٨هـ.ش.

وتأثيراً هي النصائح والمواعظ الأخلاقي التي كان يفتتح بها الدرس أو يخصص لها الدرس بالكامل في الأيام التي تسبق العطل الحوزوية، وكانت هذه المواعظ تنفذ إلىٰ القلوب بعمق وتؤثر في الحاضرين إلىٰ درجة تجعل أحياناً بعض الحاضرين يجهشون في البكاء بل وكان بعضهم يُغمىٰ عليه من شدة التأثر[1].

روحه تؤثر بعمق

تميز الإمام بروحٍ مؤثرةٍ بعمقٍ في الآخرين: كان إذا تطرق إلىٰ القضايا الأخلاقية ظهر التأثُر العميق علىٰ أغلب التلاميذ وجرت الدموع من أعينهم بل وكان بعضهم يجهش بالبكاء بصوتٍ عالٍ[2].

مواعظه متميزة عن مواعظ الآخرين

كان الإمام يخصص الدرسين الأول والأخير من دروسه في كل موسم للموعظة، وكانت مواعظه متميزة عن المواعظ الأخرىٰ، فحتىٰ إذا كان يتحدث فيها بصورة عادية بللت الدموع الجارية صدور الفضلاء، حتىٰ مواعظه العادية كانت مؤثرة تؤدي أيحاناً إلىٰ إصابة البعض بالإغماء[3].

دروسه الأخلاقية تشحننا بطاقات معنوية

.. من الذكريات العزيزة لتلك الأيام، هي ذكريات الدروس الأخلاقية التي كان يلقيها الإمام أيام الجمعة في المدرسة الفيضية

---

(١) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:١٣٦.

(٢) آية الله الشيخ محمد مهدي الرباني الأملشي، مجلة (بيام انقلاب)، العدد:٧٨.

(٣) آية الله الشيخ محي الدين الحائري الشيرازي ٨٩.

ويحضرها طلبة الحوزة والكسبة، كانت دروساً قيمة ونقية للغاية، كان يشحننا في ساعة واحدة بطاقةٍ روحية تبقىٰ آثارها فاعلة فينا طوال الأسبوع، وأتذكّر أنّه تناول يوماً قوله تعالىٰ ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾[1] فتحدث عنها بعمق وانطلق منها لتوجيه مواعظ صادرة من أعماق قلبه أبكت كل الحاضرين، ولا زلت ـ بعد كل هذه السنين ـ أتذكرها وأتذكر حلاوتها إلىٰ اليوم[2].

إستمرارية تأثير مواعظه

كان الإمام يلقي دروساً في الأخلاق عصر أيام الجمعة في المدرسة الفيضية يحضرها حدود (٢٠٠ ـ ٣٠٠) من الفضلاء، وكنتُ أنا أيضاً ملتزماً بحضورها لأنّ حضور كل درسٍ منها كان يجهزني بشحنةٍ معنويةٍ تبقىٰ فاعلة إلىٰ الأسبوع القادم، لقد كانت كلماته الإلهية تؤثر بعمق فينا نحن طلبة الحوزة يومذاك[3].

لا زالت آثارها باقية إلىٰ اليوم

لا أنسىٰ أن الإمام كان يلقي دروساً في الأخلاق عصر أيام الجمعة، وقد تزامن ذلك مع بدايات دراستي الحوزوية، لم تكن دروسه هذه خاصة بطلبةِ الحوزة وفضلائها، فقد كان يحضرهاعددٌ من كسبة سوق قم المؤمنين المتعبدين، وكانوا يأتون إليها باندفاع وحب عميق، وكانت هذه الدروس تؤثر في الذين كانوا يحضرونها بدرجةٍ عميقةٍ للغاية بل إننا لا زلنا نرىٰ آثارها فيهم إلىٰ اليوم رغم مرور أكثر من أربعين سنة

(١) سورة: الحشر، آية: ٢١.

(٢) آية الله الشيخ إبراهيم الأميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٠٤.

(٣) آية الله السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٧٩.

علىٰ زمان إلقائها؛ إذْ نجدهم علىٰ مراتب عالية من الإيمان والإخلاص والالتزام بالقضايا الإنسانية[1].

يعظ بتأثر بالغٍ

كان الإمام يشرحُ ـ في دروسه الأخلاقية التي كنّا نحضرها ـ هذه العبارة من الدعاء: «فلا تفضحني يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد»[2]، ويتحدث عنها بتأثر بالغٍ فتنفذ كلماته إلىٰ أعماق قلوبنا[3].

(١) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مقابلة تلفزيونية.

(٢) مقطع من مناجاة الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام في شهر شعبان المروية في كتاب الإقبال للسيد ابن طاووس (راجع مفاتيح الجنان: ١٥٧، الأعمال العامة لشهر شعبان)، وكان الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ شديد الاهتمام بهذه المناجاة الجليلة والحث علىٰ تلاوتها، وهي تشتمل علىٰ الكثير من الحقائق المهمة بشأن معرفة الله وتوحيده الخالص والسير والسلوك إليه تبارك وتعالىٰ. [المترجم].

(٣) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني.

القسم الثاني

نماذج من مواعظه ووصاياه لطلبة العلم

اللهم إجعلنا ننقطع إليه وننقطع عما سواك

أحمل ذكرىٰ عزيزة عن أول درس ألقاه الإمام في النجف الأشرف. بعد مدة من العيش منفياً في تركيا جاء الإمام إلىٰ النجف الأشرف وبعد انتهاء الزيارات المتبادلة [بينه وبين علماء النجف وطلبتها التي جرت بمناسبة وصوله إلىٰ هذه المدينة المقدسة] ألقىٰ درسه الأول في مسجد الشيخ الأنصاري الذي كان مكتظاً بالحاضرين، كان الجميع يترقبون بشوق ما سيقوله بعد الحوادث التي شهدتها إيران وبعد أيام السجن والنفي، لقد قال يومها بعد البسملة: «اللهم اجعلنا ننقطع إليك اللهم اجعلنا ننقطع عن كل ما سواك».

وقد خطر في ذهني يومذاك أن هذا الدعاء قد أستجيب فيما يرتبط بشخص الإمام[1].

---

(١) آية الله الشيخ حسن القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

فكروا في عاقبتكم الآن وهذبوا أخلاقكم

قال الإمام في أول خطابٍ وجهه لطلبة الحوزة بعد وصوله للنجف الأشرف: «عليكم أن تتفكروا بعاقبتكم مُنذ الآن وأنتم شباب، تفكروا في حقيقة أنكم تقتربون من القبر بكل خطوةٍ تخطونها وبكل دقيقة تنقضي من أعماركم الشريفة، تقتربون بذلك من يوم الحساب والأسئلة التي ستوجه لكم، فكروا في قضية اقترابكم المستمر من القبر، وفي حقيقة أنه لم يعطكم أحدٌ موثقاً بأنكم ستعيشون (١٢٠) عاماً، من المحتمل أن يموت الإنسان وهو ابن (٢٥) عاماً، من المحتمل أن يأتيكم الموت الآن ـ لا سمح الله ـ، لم يعطكم أحدٌ موثقاً، فانتبهوا لأنفسكم وأصلحوا أخلاقكم وهذبوها»[١].

بلوغ مرتبة الإنسانية غير التبحر في علم الأصول

قال الإمام ـ في أحد مواعظه التي كان يلقيها في النجف ـ: «إعلموا أنه مهما بلغتم من التبحر في علم الأصول فإنكم تبقون عمالاً فنيين جيدين لا أكثر، وليس معلوماً أن تبلغوا مرتبة الإنسان الحقيقي، فبلوغ هذه المرتبة يحتاج إلىٰ مقدمات أخرىٰ غير تعلم علم الأصول»[٢].

علومنا لم تنفد إلىٰ قلوبنا

قال الإمام في أحد أيام إقامته في النجف: «لا يقدر أيٌ منا علىٰ المبيت لوحده ليلة مع جسد ميتٍ في غرفةٍ مضيئة بالمصابيح، فالخوف والاضطراب سيسلبانا القدرة علىٰ النوم، أم الدفّان أو مكفن الموتىٰ، فهو يبيت مع مائة ميت في الليلة المظلمة وفي المقبرة الموحشة وينام بهناء ويرىٰ أحلاماً جميلة أيضاً!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.

العلة في هذه المفارقة أننا جميعاً نعلم بانفصال الروح عن الجسد بالموت، لكن اعتقادنا بذلك لم ينفذ إلى قلوبنا بعد في حين أنه نفذ إلىٰ قلب ذلك الدفان أو المكفن وصدق به إثر كثرة ممارسته لعمله مع أجساد الموتى»[١].

إعرفوا ما تقومون به من أعمال

كان الإمام يجلس علىٰ الأرض وهو يلقي دروسه في مسجد السلماسي في قم، وبعد مدة طلب منه عددٌ من تلاميذه وبإلحاح أن يرتقي المنبر ويجلس عليه أثناء التدريس لأنّ عدد الحاضرين قد إزداد ومن الضروري أن يجلس علىٰ المنبر لكي يستطيعوا سماع صوته ورؤيته وهو يلقي دروسه، وأظن أنه وافق علىٰ هذا الطلب بعد وفاة آية الله العظمىٰ السيد البروجردي، فأتذكر أنّه لم يجلس علىٰ المنبر للتدريس أيام حياة السيد البروجردي.

وكنت حاضراً درسه في اليوم الذي جلس علىٰ المنبر، وقد انتهىٰ درسه في ذلك اليوم بالموعظة التي خاطب بها تلاميذه ولم يتطرق إلىٰ بحثه العلمي الموعود، وكان أولَ ما قاله بعد البسملة هو: «لقد بكىٰ الشيخ النائيني في اليوم الأول الذي جلس علىٰ المنبر والتدريس وقال: هذا هو المنبر نفسه الذي كان الشيخ الأنصاري يجلس عليه، فكيف يمكن أن أجلسَ عليه أنا اليوم؟!».

ومن هنا بدأ الإمام بموعظة تلاميذه وتنبيههم إلىٰ ضرورة معرفة ما يقومون به[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.

(٢) آية الله السيد علي الخامنئي، مجلة (شاهد)، العدد: ١٩٥.

حذار من الاغترار بالشفاعة

قال الإمام يوماً في أحد مواعظه: «جاء شخصٌ إلىٰ الإمام الصادق عليه السلام وطلب منه أن يشفع له يوم القيامة لكي يدخل الجنة؛ فأجابه الإمام الصادق عليه السلام؛ أنا ضامن لذلك شريطة أن تحشر علىٰ صورة إنسان»[1]. وقد علق الإمام علىٰ هذه الرواية بقوله: «إن قول الإمام الصادق عليه السلام يقصم الظهر حقاً، فهل نحن واثقون من أننا سنحشر علىٰ صورة إنسان أم لا؟»[2].

لا تنفع الزعامة الإنسان إذا رقد تحت التراب

إنتقل الإمام ـ بعد وفاة المرحوم آية الله البروجردي ـ إلىٰ المسجد الأعظم في قم للتدريس فيه لأنّ مسجد السلماسي القريب من منزله والذي كان يدرس فيه لم يعد يتسع لطلبة الذين كان يحضرون درسه، وقد ألقىٰ في اليوم الأول للتدريس في المسجد مواعظ تربوية بدلاً من الدرس العلمي، وأتذكر أنّه كان يوجد عند قبر آية الله البروجردي صورتان معلقتان علىٰ الجدار الأولىٰ لمراسم تشييع جثمانه وفيها يظهر تابوته يحمله الناس عارياً من قطعة القماش التي تغطيه لأنّ المشيعين كانوا قد تقاسموها للتبرك بها، وفوق هذه الصورة علقت صورة للسيد البروجردي وهو يقرأ كتاباً وفي حالة خاصة من التوجه، وأثناء مواعظه في ذلك اليوم قال الإمام: «إنظروا إلىٰ صورة السيد البروجردي وهو يقرأ وانظروا أسفلها إلىٰ صورة جثمانه محمولٍ علىٰ أيدي المشيعين وأسفل هاتين الصورتين يرقد السيد البروجردي تحت التراب لا ينفعه شيء سوىٰ حالة سلامة النفس التي كان يتحلىٰ بها، أما هذه الزعامات

---

(١) الحديث ترجمناه عن اللغة الفارسية بالمضمون، ولم نجد نصه العربي في المصادر التي بين أيدينا. [المترجم].

(٢) مجلة (جهاد)، العدد: ٥٩٧.

والضجيج الملازم لها فلا نفع فيها للإنسان إذا رقد تحت التراب»[1].

وصيته بمعرفة مقامات أولياء الله وعدم إنكارها

أوصىٰ الإمام يوماً في موعظة ألقاها في كلمةٍ له في النجف الشرف الحاضرين بقراءة الزيارة الرجبية لأنّها تذكر مقامات لله تعالىٰ ثم تقول عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بشأن هذه المقامات: «لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك»[2]. وكان يؤكد كثيراً علىٰ الانتباه لدلالات هذه العبارة ويقول: «إن كون الأئمة عباداً لله هو ما يميزهم عنه تعالىٰ، أما باقي القوىٰ الإلهية فهي موضوعة تحت تصرفهم»، ثم أضاف: «إقرأوا هذه الزيارة، لكي لا تنكروا شيئاً يُنقل لكم عن مقامات أولياء الله وتضعونه في دائرة الإمكان علىٰ الأقل»[3].

موعظة الله خير موعظة

عندما كنت في النجف كتبتُ رسالة للإمام رجوته فيها أن يعظني ولو بموعظة عامة وإجمالية، فكتب في جواب رسالتي: «إن خير موعظة هي

---

(١) آية الله السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج:٥، ص:١١.

(٢) لاحظ مفاتيح الجنان «المعرب»: ١٣٤، أعمال شهر رجب العامة، وهذا المقطع ورد في الدعاء المروي عن الإمام صاحب الزمان ـ عجل الله فرجه ـ لتلاوته في كل يوم من أيام رجب والذي يبدأ: «اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك الْمأمونون علىٰ سرك... أسئلك بما نطق فيهم من مشيئتك وجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وأياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها مَن عرفك لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد..».
ويبدو أن الراوي خلط بين هذا الدعاء وبين الزيارة الرجبية اللاحقة التي ليس فيها هذه العبارة وإن كانت تشتمل علىٰ بعض مضمونها. [المترجم].

(٣) آية الله الشيخ محمد المؤمن، مجلة (باسدار إسلام)، العدد:١٠٢.

موعظة الله في القرآن، قال الله تعالىٰ ﴿**قل إنّما أعظم بواحدة أن تقوموا لله**﴾[1]»[2].

الإخلاص لله في العمل

طلبت من الإمام يوماً أن يهديني إلىٰ سبيل التكامل المعنوي وتهذيب الروح، فهداني إلىٰ ما ينبغي العمل به في جملة قصيرة بَيّنَ بهاالقضية المحورية: «اجتهدوا في أن تكون أعمالكم خالصة لله»[3].

الرياء والسمعة والعجب تبطل الأعمال

طلبوا من الإمام النصيحة يوماً فقال: «الآفة التي يبتلي بكل مسلم والتي تؤذي كل مؤمنٍ صالح يقظ هي مشكلة اجتناب الرياء والسمعة والعُجب لأنّ الابتلاء بها يبطل الأعمال»[4].

أديموا ذكر الله

أتذكر أن الإمام قال في درس أخلاقي ألقاه في قم: «تظهر أحياناً للسالكين في طريق تهذيب النفس، قبسات نورانية فإذا حافظوا عليها ازدادت». وقد سألته بعد انتهاء الدرس عن سبل حفظ هذه الحالة النورانية فقال: «يجب حفظها بالارتباط بالله تعالىٰ وذكره، يجب أن يديم الإنسان ذكر الله قدر المستطاع»[5].

---

(١) سورة: سبأ، آية: ٤٦.

(٢) آية الله الشيخ محمد المؤمن، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٠٢.

(٣) آية الله الشيخ أحمد الجنتي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٣، ص: ٤٢.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد جواد علم الهدىٰ، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج: ٤، ص: ١٩.

(٥) آية الله السيد حسين بدلا، المصدر السابق، ج: ٢، ص: ٢٩٥.

واجتنبوا عبدة الأهواء

سألت الإمام يوماً: تظهر للإنسان أحياناً حالة التذكر لكنها سرعان ما تزول فما الذي يجب فعله لحفظها؟ فقال: «يجب حفظها أيضاً بذكر الله واجتناب [مجالسة] عبدة الهوىٰ»[1].

أي شقاء أشدُّ من أن تأنس قلوبنا بمثل هذه الأشياء

كان الإمام يقضي أيام الصيف في بعض الأعوام في مدينتنا محلات، وقد جاء إليها في صيف سنة ١٣٢٥ هـ. ش، [١٩٥٦م] فطلبَ منه علماؤها ـ وهم من محبيه ـ أن يضعوا تحت تصرفه أحد مساجد المدينة لكي يستفيد الناس من بركة وجوده، فقال: «دعوني وشأني وتابعوا أنتم مهامكم». وبعد مضي أيام من دخول شهر رمضان المبارك راجعه عددٌ منهم ثانية وقالوا: إن كنتم ترفضون إمامة صلاة الجماعة فوافقوا ـ علىٰ الأقل ـ علىٰ إلقاء دروس يستفيد منها أهل المدينة. وتكررت هذه الطلبات حتىٰ وافق الإمام وتقرر إلقاء هذه الدروس في الساعة الخامسة عصراً من كل يوم من أيام شهر رمضان في المسجد الواقع في وسط المدنية، فكان يجلس عند أحد أعمدة المسجد علىٰ الأرض ويلتف المستمعون حولَهُ.

وكان من المتعارف أن يرفع الحاضرون أصواتهم بالصلوات علىٰ محمد وآله ﷺ إستجابة لدعوة أحدهم إكراماً لعالم الدين عند دخوله المسجد، وقد فعلوا ذلك عند دخول الإمام في اليوم الأول إستجابة لدعوة أحدهم، وقد استدعاه الإمام بعد انتهاء الدرس وقال له: «إن كنت قد دعوت لرفع هذه الصلوات من أجل الرسول الأكرم ﷺ، فأدعو لذلك

(١) آية الله السيد حسين بدلا، المصدر السابق، ج:٢، ص:٢٩٥.

في وقت آخر غير وقت دخولي المسجدن أما إذا كنت دعوت لذلك من أجلي فإني غير راضٍ بذلك».

وأتذكر الآن موعظة بيّنها في تلك الدروس بلغةٍ بسيطة حيث قال: «إخوتي المسلمين الأعزاء، يا مَن تجدون في أنفسكم تغيّراً وإعجاباً إذا ارتديتم بدلةً من سروال ومعطف حصلتم عليها، هل فكرتم في مصدر الصوف الذي نُسج منه قماشها؟ أليس هو من الصوف نفسه الذي كان قبلاً لباساً للخروف؟! لقد كان للخروف هذا الصوف ولم يصبه غرور بسببه فلماذا يصبكم الغرور ويُغيّر حالكم إذا غُزل ونُسج وتحول إلىٰ قماش وبدلة؟! أيُ شقاء أشدُّ من أن تأنس قلوبنا بمثل هذه الأشياء؟!»[1].

لماذا يقتصر احتياطك علىٰ استخدام الماء المجاني

قال الإمام يوماً وهو يذم الوساوس في أحد دروسه الأخلاقية التي كان يلقيها في مدينة محلات: «أيها السيد أنت تُسرف ـ بدافع الوساوس ـ في استخدام الماء دونما مسوغ وتتوهم أنك من أهل الاحتياط، هل عملت بهذا الاحتياط ولو مرةً واحدة فيما يرتبط بأمر أموالك وأعطيت الخمس مرتين في العام احتياطاً، أو أعطيت الزكاة من مالك مرتين احتياطاً؟! لماذا يقتصر احتياطك هذا علىٰ استخدام الماء المجاني»[2].

إسحقوا أهواء حب المال والنفس والدنيا

كان الإمام يقومُ بوعظ تلامذته ونصيحتهم قبل بدء العطل الدراسية في الحوزة، وكانت هذه النصائح مفعمة بالتوحيد، كان يقول: «عليكم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد سروش المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي الملحق الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.

أن تقوموا بواجباتكم الدينية، عندما ترجعوا إلىٰ بلدانكم إدعوا إلىٰ دين الله. إحذروا تبادل الاتهامات فيما بينكم، إسحقوا أهواء حب المال والنفس والدنيا، وفي هذه الحالة ستكونون أعزة عند الله تبارك وتعالىٰ، ستكونون كذلك إذا نفذتم إلىٰ قلوب الناس. إحذروا المواقف التي تدفع إليها الأهواء، بينوا دين الله علىٰ وفق ماتعرفونه، واجتهدوا في بيان الأمور كما هي».

وكان واضحاً لنا جميعاً أن هذه الوصايا تنطلق من قلب الإمام وهو بنفسه عاملٌ بها[١].

تهذيب النفس أولاً

كان الإمام يعظ تلاميذه عند بدء الدراسة ويقول لهم: «اجتهدوا في تهذيب النفس، فتهذيب الأخلاق ضروريٌ قبل تهذيب العلم وتنقيحه، وإذا أراد الإنسان أن يستفيد من علمه فعليه أن يهذب نفسه أولاً»[٢].

جميع زعماء المذاهب الباطلة كانوا علماء غير أزكياء

لم يكتف الإمام بأنّه هو نفسه كان زكياً مهذباً، بل كان يسعىٰ من أجل تربية تلاميذه علىٰ الاجتهاد في العمل علىٰ طريق تهذيب نفوسهم، ولذلك كان يعظهم بين الحين والآخر ببيانه الخاص وإسلوبه المتميز المفعم بالإخلاص [لله] والرأفة [بعباده]، ولا زلنا نذكر مواعظه بعد كل هذه السنين وبعباراته نفسها، كان يقول: «علىٰ السادة أن يخطوا خطوة إن لم نقل خطوتين في سبيل تهذيب النفس مع كل

(١) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٢) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:١، ص:٢٧٢.

خطوة يخطونها في اكتساب العلوم، إن جميع زعماء المذاهب كانوا علماء لكنهم لم يكونوا قد هذبوا نفوسهم»[١].

خطوتا تهذيب وخطوة تعلم

كان الإمام يقول مراراً لطلبته: «إذا خطوتم خطوة في اكتساب العلم فعليكم أن تخطوا معها خطوتين في تهذيب النفس»[٢].

تحلوا بهمةٍ عالية

تعطلت الدراسة في حوزة قم العلمية أربعين يوماً إثر وفاة المرحوم آية الله البروجردي، وفي اليوم الأول لإستئناف السادة العلماء لإلقاء دروسهم وجه الإمام موعظة في المسجد الأعظم لطلبة الحوزة قال فيها: «لا تحملوا أبداً همّ أرزاقكم». وكانت حالة من القلق قد سيطرت عليهم فيما يرتبط بهذا الجانب بعد وفاة السيد البروجردي فلم يكونوا يعرفون ما يعملون، فكان خطاب الإمام لهم هو «ينبغي أن تكون هممكم عالية إلىٰ درجة تجعل قيمة الدنيا في أعينكم لا تساوي قيمة قشة»[٣].

كثرة تأكيده علىٰ التحرر من حب الدنيا

كان الإمام يكثر من ذم حب الدنيا وعبوديتها في الدروس الأخلاقية التي كان يلقيها، الأمر الذي كان يجعل الإنسان يشعر بحالةٍ خاصة من الزهد في الدنيا بعد انتهاء الدرس إذْ تصبح الدنيا في عينه مثل قطعة الخزف المهشمة التي لا يلتفت إليها أحد[٤].

---

(١) آية الله الشيخ حسن القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن رحيميان.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ زين العابدين الباكوئي.

(٤) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج:٣، ص:٢١٣.

كيف يرتكب الإنسان المعاصي بواسطة نعم الله وفي حضوره؟

كان الإمام يوجه لتلاميذه أثناء دروسه نصائح ومواعظ ـ في مناسبات شتى ـ كان لها أبلغ التأثير في نفوسهم بحيث كانت موعظة واحدة منها تكفي لحفظ حالة المراقبة حية في نفوسهم لمدة طويلة، ومن هذه المواعظ قوله: «إن كل معصية يقع فيها الإنسان إنما يرتكبها بأداةٍ أنعم الله بها عليه، وحيثما يرتكبها إنما يكون قد ارتكبها في حضور الله تعالىٰ، فكم يكون الإنسان وقحاً وهو يرتكب المعصية في حضور الله؟».

وقال في درس آخر: «إن الإنسان لا يقوم ـ عادة ـ بعمل يخجل منه أو فيه هتك لعرضه إذا رأىٰ صبياً مميزاً يراه فكيف يقوم بمثل ذلك في حضور الله تعالىٰ دون أن يستحي منه؟!».

وقد نُقل عن بعض أساتذته: «إن الدنيا ذميمة إلىٰ درجة لم تُذكر باسمها بل يُشار إليها بصفة «الدنيا» أي الوضيعة، فحالها حال الأماكن السيئة التي لا يُصرح باسمها بل يُشار إليها بالكناية»[١].

لتكن دعواتكم خالصة لله

ضمن موعظة ألقاها في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف أكد الإمام علىٰ لزوم أن يكون طلب العلم والتبليغ والإرشاد يجب أن يكون خالصاً لله تعالىٰ وأشار إلىٰ عظمة آثاره في هذه الحالة وقال: «لتكن دعواتكم خالصة لله وعندها ستجدون مَن يستجيب لكم ويضحي من أجلها»[٢].

---

(١) آية الله الشيخ حسن القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (٥ خرداد)، العدد: ٧.

إنتبهوا لمسؤولية الهداية

نقل الإمام يوماً وهو يعظ طلبة العلم حديث رسول الله ﷺ: «شيبتني سورة هود لمكان: ﴿**فاستقم كما أمرت ومَن تاب معك**﴾[1]»؛ وقد شرح ـ مستفيداً من كلام لأستاذه المرحوم الشاه آبادي ـ هذا الحديث الشريف قائلاً: «مطلع هذه الآية موجودٌ في سور أخرىٰ غير سورة هود، فلماذا خصصها ﷺ بالذكر وقال: شيبتني سورة هود؟! إن السبب هو وجود عبارة في آية سورة هود لا توجد في غيرها وهي عبارة ﴿**ومَن تاب معك**﴾، أي أن الأمر بالاستقامة يشمله هو ﷺ والذين معه أيضاً، أي أنّه ﷺ سيُسأل يوم القيامة عن أعمال وأعمال أمته، أي لن يكون مسؤولاً عن أعماله وحده. وهذا يعني المسؤولية عن عمل مَن يرتكب المعصية وهو قادر علىٰ هدايته إذا لم يقم بهدايته»[2].

إجتناب أسباب الحرمان من الموفقية

لم يكن الإمام أستاذاً ومعلماً لا يفكر سوىٰ بالتقدم الفكري لتلامذته، بل كان يولي أهمية خاصة بتربيتهم وتزكيتهم إلىٰ جانب تعليمهم، وكان يذكرهم أن يوفروا أسباب الموفقية باحترام الأكابر ويقول: «ينبغي للسادة أن يحذروا ويتورعوا عن الصغائر ويراقبوا ألسنتهم لكي لا يحرموا التوفيق ـ لا سمح الله ـ بسبب كلمة تصدر منهم، أو يخرجوا بسببها من صف طلبة العلم الحقيقيين أو ينحرفوا عن الصراط الإلهي المستقيم»[3].

---

(١) الآية في سورة هود: ١١٢، والحديث تجده في تفسير كنز الدقائق، ج: ٦، ص: ٢٥٠، وفيه روى عن ابن عباس أنّه قال: «ما نزلت آية كانت أشق على رسول الله ﷺ من هذه الآية» [المترجم].

(٢) آية الله الشيخ الشهيد فضل الله المحلاتي، مجلة (پيام إنقلاب)، العدد: ٦٢.

(٣) كتاب (سيماء الصالحين)، ج: ٣، ص: ٢٥١ من الطبعة الفارسية.

الترويح علىٰ النفس مع اجتناب المعاصي

كان الإمام يقول لتلاميذه: «إذا أكثر الشباب في البداية من أداء المستحبات تخلفوا عن القيام بواجباتهم»، بل وكان يقول: «إن الذين كانوا يفرطون في التقديس والأعمال المعبرة عنه قد تركوا الحوزة العلمية بسبب هذا الإفراط، إن الإفراط في هذا التقدس متعب للأحداث من أبناء (١٥ ـ ١٦) عاماً، ينبغي أن تكون لهم ترويحات سالمة عن النفس شريطة أن يجتنبوا المعاصي»[١].

لا تبيعوا دينكم من أجل دنياي

في بدايات انتصار النهضة الإسلامية المقدسة أي في الأيام التي شهدت بلوغ مرجعيته وزعامته لأوسع نطاق، قال الإمام لأعضاء مكتبه وهو يعظهم: «إذا كان ثمة رئاسة ودنيا فهي ليست لكم، فإنْ كنتم عقلاء فلا تبيعوا شيئاً من دينكم من أجل دنياي أنا، كونوا أقوياء في دينكم مستقيمين في العمل به»[٢].

لا تسمحوا لعواطفكم بالتغلب علىٰ دينكم

عندما كان الإمام مقيماً في النجف، جمع يوماً حاشيتَهُ وأعضاء بيته وقال لهم: «إنّ أهم ما أطلبه منكم برجاءٍ هو أن تنتهجوا ولا تسمحوا ـ في أي وقتٍ ـ لعواطفكم بأن تتغلب علىٰ دينكم، علىٰ الذين يحيطون بي ويترددون علىٰ بيتي أن ينتبهوا لذلك، أطلب منكم أن تجعلوا دينكم دائماً ـ وفي جميع شؤون الحياة ـ مقدماً علىٰ عواطفكم».

---

(١) آية الله الشيخ الشهيد فضل الله المحلاتي، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ١٤٢.

(٢) آية الله الشيخ مرتضىٰ بني فضلن صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

وكانت هذه الموعظة من كلماته التأريخية الكبرى[١].

أحسنوا إستثمار الفرص

أكد الإمام مراراً ـ ولعله لعشرات المرات ـ النصيحة لتلاميذه أثناء تدريسه موضوع المكاسب قائلاً: «اجتهدوا في اكتساب الكمالات المعنوية وغيرها من التأليف والتحقيق والعبادة ونظائر ذلك، إجتهدوا في إنجاز ذلك أيام الشباب وأحسنوا استثمار الفرص»[٢].

بادروا للإصلاح وأنتم شباب

قال الإمام لتلاميذه يوماً: «إجتهدوا ـ ما دمتم شباباً ـ في عدم السماح للأخلاق المذمومة بالتجذر والتأصّل في وجودكم، لأنَّ هذه الأخلاق تتأصل في قلب الإنسان بمرور الأيام إلىٰ أن يمسي عاجزاً عن التخلص منه، روضوا نفوسكم علىٰ العبادة وعلىٰ الأخلاق الفاضلة وأنتم شباب»[٣].

وصية دائمية

كان الإمام يقول لنا ـ نحن الطلبة ـ وباستمرار: «إحذروا من أن يُصاب الإسلام بضربات تأتيه من قبلكم»[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محي الدين الفرقاني، مقابلة تلفزيونية.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد جعفر الكريمي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٨.

(٣) آية الله الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، مجلة (حوزة)، العدد المزدوج.

(٤) آية الله الشيخ حسين المظاهري، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٩.

مصادر الذكريات

وجميعها بالفارسية

أولاً: الكتب

١ ـ (إمام خميني درآينه خاطره ها = الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، الشيخ علي الدواني، دار «مطهر»، طهران، ١٣٧٢هـ .ش.

٢ ـ (باب باي آفتاب، = خطوات في أثر الشمس) ج١ ـ ٤، السيد أمير رضا ستوده، دار «بنجره»، طهران، ١٣٧٤هـ .ش.

٣ ـ (تحرير تأريخ شفاهي انقلاب إسلامي إيران = تدوين التأريخ الشفوي للثورة الإسلامية الإيرانية)، السيد عماد الدين الباقي، دار «تفكر»، طهران ١٣٧٣.

٤ ـ (تحليلي ازنهضت إمام خميني = دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، السيد حميد الروحاني، دار الفكر ـ دار العلم، قم ١٣٥٨هـ .ش.

٥ ـ (درساية آفتاب = في ظل الشمس) الشيخ محمد حسن رحيميان، منشورات، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٠ هـ .ش.

٦ ـ (زندكينامه سياسي إمام خميني = الحياة السياسية للإمام الخميني)، السيد محمد حسن الراجي المكتبة الوطنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، طهران ١٣٧١ هـ .ش.

٧ ـ (سركذ شتاهي ويزه از زندكي إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، السيد مصطفىٰ الوجداني،دار «پيام آزادي»، رقم ١٣٦٢هـ .ش.

٨ ـ (سيماى فرزانكان = سيماء الصالحين)، الشيخ رضا المختاري.

٩ ـ موسوعة صحيفة نور، ج١، ج١٨.

١٠ ـ .(علل كرايش به ماديكري = الدوافع نحو المادية)، الشيخ مرتضىٰ المطهري، دار «صدرا»، قم.

١١ ـ .(فرازهاي أز أبعاد روحي، أخلاقي وعرفاني إمام خميني = قبسات من الأبعاد المعنوية والأخلاقية والعرفانية للإمام الخميني).

١٢ ـ موسوعة «كوثر»، مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني، دار «عروج»، طهران، ١٣٧١هـ .ش.

١٣ ـ .(كلهاي باغ خاطره = أزهار من بساتين الذكريات)، مركز التنمية الفكرية للإطفال والأحداث، طهران ١٣٧١ هـ .ش.

١٤ ـ .(ناكفته ها = أمورٌ لم تُقال) مذكرات الشهيد مهدي العراقي، مؤسسة «رسا» للخدمات الثقافية.

ثانياً: الصحف والمجلات

١ ـ المجلات (أينده سازان = صناع المستقبل، اعتصام، أميد إنقلاب = أمل الثورة، اطلاعات هفتكي = إطلاعات الأسبوعية، بيام انقلاب = رسالة الثورة، باسدار إسلام = حارس الإسلام، ١٥ خرداد، جهاد، حضور، حوزة، راه نور = طريق النور، شاهد، شاهد بانوان = شاهد للسيدات، كيهان فرهنكي = كيهان الثقافية، ندا، نور علم، ياد = الذكر).

٢ ـ الصحف اليومية: (إطلاعات، كيهان، رسالت، جمهوري إسلامي، همشهري = المواطن).

ثالثاً: مصادر أخرىٰ

تُضاف إلىٰ ذلك مقابلات مسجلة علىٰ أشرطة مسموعة ومرئية بُثت عبر مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية ومقابلات خاصة محفوظة في مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني أو عند مؤلف الكتاب.

الفهرست

الفصل الثاني

الفصل الثالث